

الامام موسى الكاظم عليه السلام

اللق الفكر و اصاله الانتما

نبيل على صالح



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الامام موسى الكاظم (عليه السلام) الق الفكر واصاله الانتما

كاتب:

نبيل على صالح

نشرت في الطباعة:

الغدير

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
١١	الامام موسى الكاظم (عليه السلام) الق الفكر واصاله الانتما
١١	اشارة
١١	كلمة المركز
١٢	مقدمة المؤلف
١٢	التعريف بالمنهج العلمى فى البحث التاريخى
١٢	الزمر بين التقديس و الروح العلمىة المجردة
١٣	تاريخ الرمز و مسؤولىة المثقف الاسلامى
١٤	امتداد النبوة و عطر الرسالة
١٤	محطات تاريخىة هامة من حياته
١٤	لمحة موجزة عن سيرته المباركة
١٤	ولادته، عصره، وفاته
١٥	سؤال و جواب (استنتاج عام)
١٦	فعاليته التاريخىة و نشاطاته الفكرىة و العلمىة
١٦	حركيته العلمىة و أبرز تلاميذه و أصحابه
١٦	اشاره
١٧	على بن يقطين بن موسى البغدادى
١٨	يونس بن عبدالرحمن
١٨	محمد بن عمير
١٨	صفوان بن يحيى بياع السابرى
١٨	عبدالله بن المغيرة البجلى
١٨	الطريقة الموضوعىة الفعالة فى كىفية دراسة تاريخ الأئمة و طريقتة و عى فكرهم و استلهم دورهم فى القضايا المعاصرة
١٨	اشاره

- ١٩ مقدمات أساسية في وعى التاريخ الاسلامى
- ٢٠ نموذج تاريخى امامى للاستخدام الفعال للتاريخ
- ٢١ الجانب العملى و التربوى فى حياة الامام الكاظم
- ٢١ مقدمة عامة عن الأجواء التى عاصرها (المتغيرات التاريخية الذاتية فى مسيرة الدعوة الاسلامية)
- ٢١ اشاره
- ٢٢ مظاهر التناوب و الخلل السياسى و صراع الأهواء
- ٢٢ تشكل المذاهب الفقهية الكلامية
- ٢٢ اشاره
- ٢٣ شيوع الانحرافات الفكرية و مظاهر التحريف الخطيرة فى مضامين الرسالة الاسلامية
- ٢٣ اشاره
- ٢٣ الانحرافات فى الواقع الفكرى العقيدى
- ٢٣ الانحرافات فى طبيعة فهم النص القرآنى
- ٢٣ فى مجال التاريخ السلامى
- ٢٣ اتساع ظاهرة الوضع فى الأحاديث الشريفة
- ٢٤ الامام الكاظم فى مواجهة الواقع المنحرف
- ٢٤ اشاره
- ٢٤ مظاهر الخط العلمى و التربوى العام
- ٢٥ اشاره
- ٢٥ العمل على ايجاد حركة علمية وثقافية واسعة و نشيطة جدا
- ٢٥ اشاره
- ٢٥ تحصين الفكر الاسلامى و حمايته من التيارات المنحرفة الفاسدة و لونات الأفكار الجاهلية المشبوهة
- ٢٥ اشاره
- ٢٥ العنوان العقائدى: التصدى لتيار الزندقة و الالحاد
- ٢٤ العنوان التشريعى

- ٢٦ العنوان الروحي و المعنوى
- ٢٦ اشاره
- ٢٦ اهتمامه بالحكم و المواعظ و الارشادات العامة
- ٢٧ تركيزه على الأدعية
- ٢٨ التأسيس لنموذج القدوة
- ٢٩ ممارسة الاصلاح الاجتماعى و محاولة رفع المعاناة و غائلة الظلم عن الناس
- ٣٠ مظاهر الخط العلمى التربوى الخاص
- ٣٠ الشد و الجذب العاطفى العلمى
- ٣٠ تعميق الاحساس بوجود الله و مراقبته و اليقين به
- ٣٠ التركيز على تحلى الأصحاب بالخصال الأخلاقية الرفيعة
- ٣٠ رفضه للكبر و المتكبرين
- ٣٠ مجالسة أهل الدين و الأخلاق و مشاورة العقلاء
- ٣٠ الصمت الايجابى
- ٣١ ضرورة محاسبة النفس بشكل يومى
- ٣١ التربية على الصمود و الصبر و الثبات
- ٣١ الصبر على الحكم الجائر
- ٣١ الصبر على الطاعات
- ٣١ التفقه فى الدين
- ٣١ تأملات حول الواقع الحضارى الاسلامى الراهن (تحديات الواقع و آفاق المستقبل)
- ٣١ اشاره
- ٣٤ فى المجال السياسى و الاقتصادى
- ٣٤ فى المجال الحضارى و الثقافى
- ٣٦ الحياة السياسية للامام الكاظم
- ٣٦ اشاره

- ٣٧ معاصرتة لنهاية الدولة الأموية -
- ٣٧ الكاظم و عهد العباسيين
- ٣٧ اشارة
- ٣٨ موقفه المبدئي من حكام الجور و زعماء (الملك العضوض)
- ٣٨ اشاره
- ٣٩ فى عهد المنصور الدوانيقى
- ٤٠ فى عهد المهدي
- ٤٠ فى عهد الهادي
- ٤٠ فى عهد هارون (الملقب بالرشيد؟)
- ٤٠ اشاره
- ٤١ السبب الرئيسى لاعتقال الامام
- ٤٢ من معالم و اتجاهات الفكر السياسى الاسلامى عند الامام الكاظم
- ٤٢ اشاره
- ٤٢ نموذج من أسلوب و عمل الكاظم فى الخط الاصلاحى والتغييرى
- ٤٢ اشاره
- ٤٣ العمل السرى
- ٤٥ العمل العلنى
- ٤٥ الحفاظ على المفهوم النقى للقيادة السياسية و تثقيف الأمة به
- ٤٦ العمل على اعادة الصيغة السياسية الأصلية الى واقع الحياة الاسلاميه
- ٤٧ مخططات الحركة التغييرية و أسس صياغة برامجها الشاملة
- ٤٧ بناء و تأسيس الوعى الثورى بالاسلام من خلال الحدث الكربلائى
- ٤٧ اشاره
- ٤٨ مناسبة كربلاء بين الاستغراق فى التاريخ و تحريك قيم التاريخ فى الواقع
- ٤٩ عمل الامام الكاظم فى مجال التوعية السياسية و العقائدية

- الامام كاظم نبراس حضارى و رؤيه معاصره ٥٤
- اضواء على شخصيه الامام الكاظم و صفاته الاخلاقيه الرفيعه ٥٤
- خصاله النفسيه العالیه ٥٤
- اشاره ٥٤
- سمو أخلاقه وسعه صدره ٥٤
- كرمه و سخاؤه و زهده فى الدنيا و مغرباتها ٥٥
- عبادته و تقواه ٥٥
- نماذج منتقاء من جوامع كلمه و درر حكمه ٥٦
- اشاره ٥٦
- التقوى و العمل الصالح ٥٦
- اشاره ٥٦
- تقوى الفكر (الخط الفكرى) ٥٦
- تقوى القلب (الخط العاطفى) ٥٦
- تقوى الحركة (الخط الحركى) ٥٧
- محاسبه النفس (النقد الذاتى) ٥٧
- اشاره ٥٧
- النقد الذاتى المرفوض ٥٩
- اشاره ٥٩
- النقد الذاتى الموضوعى المقبول ٥٩
- اشاره ٥٩
- تساؤل و استنتاج نقدى ٦٠
- العلم و المعرفة ٦٢
- الرفق و اللين ٦٤
- اشاره ٦٤

- ٦٧ ملاحظه حول واقعية الأخلاق و القيم الاسلاميه
- ٦٨ القواعد الأساسية لنظام القيم الأخلاقية و العلاقات الاجتماعية الاسلامية على ضوء معطيات الفكر الاسلامي عند الامام الكاظم
- ٧٠ باورقي
- ٨٤ تعريف مركز القائمية باصفهان للتمريبات الكمبيوترية

الامام موسى الكاظم (عليه السلام) الق الفكر واصاله الانتما

اشارة

سرشناسه : صالح، نبيل على

عنوان و نام پديد آور : الامام موسى الكاظم الق الفكر واصاله الانتما/ نبيل على صالح
مشخصات نشر : بيروت : الغدير ، ١٩٩٩ م. = ١٤١٩ ق. = ١٣٧٨ .

مشخصات ظاهري : ص ١٨٢

وضعيت فهرست نويسي : فهرست نويسي قبلي

يادداشت : كتابنامه: ص. ١٧٩ - ١٧٣؛ همچنين بصورت زيرونويس

موضوع : موسى بن جعفر (ع)، امام هفتم، ١٨٣ - ١٢٨ ق. -- سرگذشتنامه

رده بندي كنگره : BP٤٦/ص ٢الف ٨

شماره كتابشناسي ملي : م ٨١-٢٣٦١٤

كلمة المركز

كان الامام موسى بن جعفر، الكاظم عليه السلام، في الخامسة من عمره عندما انتقل الحكم من السلطان الأموي الى السلطان العباسي، و كان المسلمون يأملون في أن يتولى أمورهم «الرضا من آل محمد»، فيمضى بهم وفق النهج الاسلامي القويم، وهذا ما كانت الدعوة للتغيير ترفعه شعارا، غير أن الأمل خاب، و سمع المسلمون، في يوم غرقة، أباجعفر المنصور، الدوانيقي، يخطب فيهم، و يحدد نهجه السياسي فيقول: «أيها الناس، ان بكم داء هذا دواؤه [مشيرا الى السيف] و أنا زعيم لكم بشفائه، فليعتبر عبد قبل أن يعتبر به». و لم يطل الأمر بالسلطان، الحامل سيف النعمة دواء، أن نفذ وعيده، و سلم مفاتيح «كنزه» الى خليفته، و أمره بتغذيته، و كان في هذا الكثر ما يزيد على مئة قتيل من العلويين. في هذه الآونة، كان الامام الكاظم عليه السلام فتى في العاشرة من عمره، يعاني ما يعانيه آله من هذا الطغيان من نحو أول، و ينهل من علوم والده الامام جعفر الصادق عليه السلام من نحو ثان، و قد غدت دارته مدرسة عامرة يؤمها طالبو المعرفة، من مختلف البلدان الاسلامية، يتزودون علوما تجيب عن الأسئلة الكثيرة التي طرحت في تلك المرحلة التي كانت مرحلة تأسيس الثقافة الاسلامية و تكون المذاهب الفقهية الكلامية. كان الامام الصادق عليه السلام يسعى، و قد بلغ طغيان السلطان ما بلغه، الى تكوين الأمة المؤمنة الواعية، و وجد في نجله الامام موسى عليه السلام الصفات التي تؤهله لأن يكون القائم بالأمر من بعده، فقال فيه ما معناه: عنده المعرفة بما يحتاج اليه الناس و الحكمة و الفهم و السخاء. [صفحة ٦] عاش الامام الكاظم عليه السلام عشرين سنة في كنف أبيه و رعايته. و لما تولى الأمر من بعده، مضى على نهجه، في تكوين «الكتلة البشرية المؤمنة، صادقة الايمان»، من دون أن يفرط في حق، فعندما خاطب هارون الرشيد رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم، أما الناس بقوله: السلام عليك يا ابن العم، بادر الامام الكاظم الى مخاطبته صلى الله عليه وآله و سلم بقوله: السلام عليك، يا أبت. فثارت ثائرة السلطان، الحاكم باسم الاسلام، و بسبب قرابته من رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم، و زج بحفيد رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم في السجن... و بقي الامام عليه السلام فيه ينتقل من سجان الى آخر، و كان السجنون يتباركون به، الى أن انتقل الى رحمة الله سبحانه و تعالى. يمثل الامام موسى الكاظم، في شخصيته و سيرته و مواقفه... رمزا من رموز مقاومة الانحراف الذي آل الى الطغيان، و اتخذت مقاومته سبلا شتى، و في مختلف ميادين الحياة. و المؤلف، اذ يعي هذا، و يدرك دور التاريخ و دور قاداته الكبار في تكون شخصية الانسان، يقدم على تأليف هذا الكتاب لعله يسهم في تأسيس مستقبل مشرق للأمة...، فيبحث في قضيتين مركزيتين: أولاهما: الامام الكاظم امتداد للنبوة، و يتمثل هذا

الامتداد في حياته، و المهمات العلمية و التربوية التي نهض بأدائها، و ثانيتهما: الامام الكاظم نبراس حضارى، و يتمثل هذا النبراس فى نظام القيم السياسية - الاجتماعية - الأخلاقية... الذى انتهجه الامام الكاظم... يهدف هذا الكتاب الى تقديم معرفة تسهم فى تأسيس هوية الأمة، و يقتدى مؤلفه، فى سعيه، بنهج الأئمة الأطهار، فعسى أن يكون قد وفق، و الله الموفق فى كل حال. مركز الغدير للدراسات الاسلامية [صفحة ٧]

مقدمة المؤلف

التعريف بالمنهج العلمى فى البحث التاريخى

بسم الله الرحمن الرحيم يمثل المنهج الأسلوب أو الطريقة المنظمة التى يبنى عليها الباحث، فى مجال فكرى و ابداعى، دراساته و أفكاره، و ينظم على أساسها استنتاجاته و نظرياته. و من الضرورى لأى بحث أو دراسة علمية أن تستهدى بمنهجية معينة تبعد الباحث عن متاهات الفوضى و الاضطراب و الاهتزاز فى النتائج و الآراء، كذلك من الضرورى أن يحدد الباحث، لكل موضوع من موضوعات العلم و المعرفة البشرية، نهجه الخاص و أسلوبه المميز و طريقته البنائية التى تناسب وضعه، و حجمه، و حالته الخاصة و العامة، فىكون للعلوم الطبيعية منهجها المناسب لها، و لكل من الفقه و العقائد و الفلسفة و العرفان، منهجه الخاص. أما على الصعيد التاريخى فاننا نجد أن البحث فى هذا الحقل يعتمد على أن للتاريخ طريقته، و منهجيته، و أساليبه، و أدواته الخاصة فى فهم حركة الأحداث، و المواقف، و الأدوار، و العوالم الماضية. فالتاريخ ذاكرة الأفراد و الأمم، تتكون به شخصيتها و معالم هويتها، و اليه تعود فى منعطفاتها، و تقلباتها الخطيرة، و به يتقوى وجودها و يتزايد نشاطها و فعاليتها فى مواجهة متغيرات الواقع و صراعات الحياة داخل الأمة و خارجها، [صفحة ٨] لذلك لم يكن غريبا، و الحال هذه، أن تعرف الأمة بأنها جماعة من الناس تكونت تاريخيا، أى أصبح لأفرادها و مختلف فئاتهم و شرائحهم و طبقاتهم، ذاكرة جماعية مشتركة، أو تاريخ جماعى مشترك ساهم فى صهر تلوناتهم و تنوعاتهم، و ولد لديهم نوعا من التشابه النسبى فى النظر الى أمور الحاضر و فى الحكم عليه و الانفعال بها و الاستجابة لها [١]. من هنا يكون تعاطى الأمة مع ماضيها التاريخى الذى تختزنه ذاكرتها الجماعية كتعاطى الفرد مع مخزون ذاكرته الذى كونه عبر مسيرته فى الحياة، كلاهما يريد أن يتعامل مع البعد التاريخى له - على اختلاف الظروف و المسببات و النتائج - من موقع اهتمامه بواقع الحال الراهن، أى بوحى من متطلبات الحاضر و همومه و شؤونه و شجونه و أحواله المختلفة، فينتقى منه ما يساعد على فهم و وعى ما يواجهه من مستجدات طارئة أو مستديمة، و يعين على اجتراح الحول له و الاستقطاب لانجاز هذه الحلول، لذلك فكلاهما لا يستعيد من الماضى الا ما تكون له هذه الصفة أو القدرة، أما الباقي فانه لا يمضى و لا يزال بل يظل مخزونا احتياطيا، يغترف منه متى دعت حاجات راهنة أخرى. اننا نعيش فى ظل ظروف ضاغطة و قاهرة، أخرج ما نكون فيها الى هذه الاستعادة و ذاك الاعتراف الواعى و المدروس فى أحداث التاريخ و قضاياها، لا على أساس أن يكون ذلك عاطفية من اللوعة و الحنين (بالمعنى السلبي) لأحداث و ذكريات تاريخية مرت، نريد سحبها و تطبيقها فى زماننا الحالى، ولكن على أساس أن تكون استعادتنا تلك، استجابة واعية لمهمة راهنة أو مستقبلية بعد خضوعها لمتغيرات و تحولات تجعلها صالحة للنمو، و الامتداد، و التعمق فى ساحات الحياة الراهنة و المنظورة. بهذا المعنى نحن نريد للتاريخ العربى و الاسلامى النهوض و الارتقاء باتجاه المسؤوليات الجسام فى خضم الحياة المعاصرة، فى حاضر الأمة، من أجل التفاعل مع الصعوبات التى تعترضها، و التحديات التى تواجهها، [صفحة ٩] و الطموحات التى تسعى جاهدة لنيلها أو تحقيق بعض مطالبها الأولية.

الزمر بين التقديس و الروح العلمية المجرده

نعلم جميعاً أنه يوجد في تاريخ كل شعب من الشعوب أشخاص يحيطهم بهالة من التقديس، و الاجلال، و الاحترام، و الهيبة، و يجعلهم نماذج راقية يتطلع نحوها باستمرار، و ينسج حولهم الكثير من القصص و الروايات و الحكايا تختلط فيها أساطير الخيال بوقائع الأرض. أما في تاريخنا الاسلامي فاننا نجد أن هناك كثيراً من تلك الشخصيات و الرموز المقدسة التي اختلطت وقائع حياتهم بما نسجته مخيلة الناس عنهم و حولهم من أساطير و خرافات، يصعب على المرء أن يميز فيها الخيط الأبيض من الخيط الأسود (الواقع من الخيال) [٢]، كما و نجد، في الوقت ذاته، أشخاصاً و رموزاً مقدسة معروفة بوقائع حياتها، و بأفكارها، و مآثرها، و ابداعاتها. و الباحث في مجال تاريخنا الاسلامي يلاحظ أن التقديس و التبجيل الذي تكنه الأمة لبعض رموزها و عناوينها الكبيرة يرتكز على أحداث و وقائع تاريخية ملموسة، مارس فيها الشخص المقدس أدواراً معروفة، و التزم بمواقف حاسمة ساهمت في إنتاج، و بلورة، و صياغة قيم الاسلام و مبادئه و أنساقه الحضارية، و حققت للأمة الكثير من نجاحاتها و انتصاراتها، و عملت على انهاضها من كبواتها و سكناتها السياسية و الفكرية، و الامام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام أحد هؤلاء الأعلام و الرموز العظيمة التي جاءت قيمتها و قدسيتها و عظمتها انطلاقاً من الدور التاريخي الحيوي و الهام الذي قام و مثلته الأحداث، و النصوص، و المواقف في تكوين عناصر شخصيته و بلورة معالم صورته. ان اعتقاد بعض المسلمين بقدسية الامام عليه السلام ليس مانعاً من انجاز [صفحة ١٠] الدراسة العلمية و الموضوعية للتاريخ الذي مارسه و المواقف التي التزمها، لأنه عليه السلام كان يريد للناس أن يفهموا أنه انسان مثلهم يخضع، كما يخضعون، للسنن التاريخية الالهية في كل تصرفاته و أحواله، بما فيها تصرفاته و أفعاله المعرفية الاستدلالية. ان احترامنا لشخصية الكاظم عليه السلام ينبني على الحقيقة الموضوعية العميقة و الدقيقة و المجردة عن النزعات و الأهواء الذاتية، مع ضرورة الأخذ بمبدأي السببية و الحتمية [٣]، لفهم وقائعها و أحداثها و أعمالها التي قامت بها، و التوجه الى العقل و المنطق، بعيداً عن العاطفة و الخيال، و هذه الطريقة [٤] في و عى الشخصية المقدسة، تستهدف أساساً المعرفة و التأسيس العقلاني لمستقبل الأمة في سعيها الحثيث لبناء حاضر أفضل و غد واعد مشرق من خلال تنقية أجوائها التاريخية و تأسيس هويتها العقائدية و الحضارية و الدفاع عنها و الحفاظ عليها. [صفحة ١١]

تاريخ الرمز و مسؤولية المثقف الاسلامي

تحرك امامنا الكاظم على طريق بناء الفكر الحي المنفتح القادر على اثاره النفوس و تحريك العقول نحو الحق و العدالة، لم ينفصل عن محيطه الزماني و المكاني بعيداً عن التأثير أو التفاعل مع حركة الأحداث التي عايشها، بل على العكس من ذلك، كان يتحرك في عمق الأصالة و الانتماء للفكر و الحياة و الانسان في و عى التجربة الواقعية للوجود الانساني الحي، مرتبطاً بحركة الهدف الاسلامي الكبير بكل قوة و ايمان و تخطيط على التحرك في خط الله و رسوله، من أجل السير بالأمة نحو مواقع العطاء و التطور و الكمال الحضاري سياسي و اجتماعي و ثقافي. من هنا نقول: ان و عى تجربته التاريخية عليه السلام و استلهاام دوره و فكره في حجم الحياة كلها هي من أولى واجبات و مهام المثقف الملتزم في ممارسته للنقد التاريخي البناء الهادف الى توليد مجتمع اسلامي حضاري و رسالي قادر على مواكبة التطور و الاستجابة لتحديات الواقع و الحياة لأن نقد التاريخ بأشخاصه، و رموزه، و معطياته المختلفة، يعني أن يبقى الانسان في حالة انفتاح فكري متحرك ليؤكد على مسؤولية كل جيل، في التاريخ، تجاه مكتسباته و أعماله الفكرية و العملية، و هذه المسؤولية الكبيرة مارسها القرآن الكريم في نقده لكل أفكار و تجارب الماضين و خاصة التاريخ الماضي الذي كانت تعيشه الأمة التي نزل فيها القرآن، (تلك أمة قد خلت لها ما كسبت و لكم ما كسبتم و لا تسألون عما كانوا يعملون) [البقرة: ١٣٤] لذلك ان بناء الحضارة الانسانية ليس رهناً بتراث و تاريخ الماضي فقط - على علات و سلبات ذلك التاريخ - و انما بمخترات مدروسة و محسوبة حساباً دقيقاً من التراث، تنسجم و طبيعة العصر و روحه، من حيث امكانها أن تكون حجراً أساساً، أو مناراً هادياً للدخول الى المستقبل بقوة، و و عى، و تخطيط ان المهمة ثقيلة و الواجب كبير في اخراج تاريخنا الماضي في الدهاليز المظلمة و المجاهيل البعيدة بطريقة

مركزة و هادفة، و اطلاقه الى ساحة النقد التاريخي العلمي و الموضوعي. [صفحة ١٢] اننا سنحاول، في الصفحات القادمة، التحرك على هذا المسار العلمي في فهم تاريخ و فكر و حياة الامام الكاظم عليه السلام، و كيفية الارتباط به [٥]، و الاستفادة من خبراته و استلهم تجاربه في واقع الحياة المعاصرة بما يخدم قضاياها و مشاكلنا التي نعيشها حاليا، و ينسجم مع توجهاتنا و تطلعاتنا نحو انجاز مشروعنا الحضاري الاسلامي في دائرة الصراع الحضاري الراهن الذي يجب أن يثير في نفوسنا بواعث الحركة الفاعلة و الطاقة المنتجة من أجل الاسلام المتحرك في الفكر و القلب و الحياة. و الحمد لله رب العالمين نبيل على صالح ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م [صفحة ١٥]

امتداد النبوة و عطر الرسالة

محطات تاريخية هامة من حياته

لمحة موجزة عن سيرته المباركة

ولادته، عصره، وفاته

ولد الامام موسى بن جعفر عليه السلام الملقب بالكاظم في الأبناء [٦] في السابع من شهر صفر سنة ١٢٨ للهجرة [٧]. و قد حفلت تلك المرحلة التاريخية من حياة أمتنا - التي عاصرها امامنا عليه السلام - بالعديد من الأحداث السياسية و التحولات الاجتماعية الخطيرة على صعيدها الذاتي الداخلي المتصل بحركية المضمون الواقعي لرسالة الاسلام، و على صعيدها الموضوعي الخارجي فيما مثلته (و تمثله) حركة الدعوة الاسلامية بامتداداتها الانسانية العالمية في مسيرتها الحضارية [صفحة ١٦] المتصاعدة نحو مواقع أرقى في السلوك، و العمل، و الممارسة الواعية و المنظمة. و الواضح، بالنسبة للباحث في مجال المعارف التاريخية، أن هناك تشابها ملحوظا في النسق العام للظروف التاريخية التي عايشها أئمة أهل البيت عليهم السلام في طبيعة الحدث المستجد و الظرف القائم. على اختلاف مظاهره و أنماطه و خصائصه الذاتية، فالمضمون - كما يبدو - واحد لا يختلف. انه المضمون الرسالي الهادف الى بناء أمة مقتردة لها كيانه و وجودها الحضاري و فعلها الابداعي في حركة الحياة في سبيل تحقيق غاية التكامل الممكن و الوصول الى السعادة و الهناء. و في مقابل ذلك، هناك المضمون الانحرافي الآخر الذي ينزع بقوة نحو الشخصية و الذاتية على حساب مصلحة الأمة حيث نجد - في هذا الاتجاه - كيف عاشت هذه الأمة أجواء الضلال و الانحراف في ممارسة الحكم و السلطة السياسية و الاجتماعية منذ أن نجحت بعض المشاريع التفتيتية [٨] في تحقيق أهدافها و مراميها التي قضت بايصال مشروع الهيمنة و الطغيان النفسي و السلوكي الى سدة الحكم باعتباره مشروعاً، طموحاً غرائزيا شخصياً، لم يتجاوز، في حده الأعلى، أهواء و نزعات واضعيه و القائمين به. ان المتابعة التحليلية الدقيقة لذلك العهد تفيدنا بأنه لم يمض ربع قرن [صفحة ١٧] حتى بدأت الخلافة الراشدة و التجربة الاسلامية - التي تولى جيل المهاجرين و الأنصار قيادتها - تنهار تحت وقع الضربات الشديدة التي وجهها أعداء الاسلام الجدد (أحفاد أعداء الاسلام القدامى) ولكن من صميم و من داخل التجربة الاسلامية لا من خارجها، اذ استطاعوا أن يتسللوا الى مراكز النفوذ في التجربة بالتدريج، و يستغلوا القيادة و يجبروا الأمة و جيلها الطليعي الرائد الواعي و الواعد على التنازل عن شخصيته و قيادته، و تحولت الزعامة الى ملك موروث «ملك عضوض» يستهتر بالكرامات، و يعطل الحدود، و يمجّد الأحكام، و أصبحت الخلافة كرة يتلاعب بها صبيان بني أمية [٩]، و فريسة سهلة يفتك بها طواغيت بني العباس. اذا شهدت تلك المرحلة العصبية اضطرابات و نزاعات اجتماعية، و سياسية اندفعت آثارها المفجعة الى السطح بسرعة من خلال ظهور الأزمات و النكبات العاتية [١٠] التي خطط لها و نظم حركتها زعماء النهج الجاهلي في تاريخنا العربي و الاسلامي، و ذلك بقصد حرف الأمة عن مسيرتها الارتقائية الحضارية في التكامل الروحي و المفاهيمي، و النيل من العمق الواعي للاسلام الرسالي المنفتح المتجذر في وعي أهل البيت عليهم السلام حيث أدت تلك الأفعال المشبوهة، ذات المنطق

العائلى الضيق المخالف لروح و قيم الاسلام الأصيل، الى ابتعاد المسلمين عموما عن ممارسة التجربة الصحيحة و الواعية للاسلام، و ادخالهم فى متاهات الحفر الطائفية البغيضة، المعبرة عن ميل انحدارى شديد نحو كرسى الحكم و عرش السلطنة، حتى لو كلف ذلك الأمة خسارة نهجها المشرق، و طموحات رسالتها الانسانية و منظومتها الفكرية و القيمة. لقد استنزفت تلك الأحداث الكارثية الشىء الكثير من طاقات و مواهب [صفحة ١٨] الأمة، كما و أهدرت مقدراتها و امكانياتها التى كان من المفترض أن تشكل الأساس المتين لبناء قاعدة اسلامية صلبة فى العمل الدعوتى الرسالى على مستوى تبليغ و نشر الاسلام الى كافة الأرجاء و الأنحاء، و بالعودة الى المراجع التاريخية المعتمدة كمصادر دراسية أساسية فى الحقل التاريخى الاسلامى، نجد أن الامام الكاظم عليه السلام عاصر فى حياته عدة خلفاء من العصرين الأموى و العباسى [١١]، ممن اتسم حكمهم - كأسلافهم - بالاستبداد، و الفردية، و التسلط، و الظلم، و شدة الضغوطات الأمنية، و وطأة الخطط السياسية التى كانوا يضعونها، حيث كان امامنا عليه السلام واعيا لها، و مدركا لحجم و أبعاد خطورتها، على المدى القريب و البعيد لقد قضت تلك الخطط بالسيطرة على مقدرات الأمة، و نهب خيراتها من خلال اتباع سياسة الترغيب و التهيب و التأكيد على مبدأ القوة الحديدية و القمعية الذى طبع كل تاريخهم، و ذلك من خلال ما يلى [١٢] . [صفحة ١٩] ١- قتل الناس الأبرياء. ٢- تبذير الأموال العامة فى أماكن اللهو و الطغيان. ٣- هدر ثروات العباد على مظاهر الترف و البذخ الزائل و الزائف. ٤- ملاحقة المؤمنين و الصلحاء و الأتقياء. ٥- الضرب على أوتار العشائرية و القبليّة عبر اذكاء و اشاعة الصراع القبلي. ٦- ممارسة التصفية الجسدية، و الاغتيال السياسى المنظم لأعلام المسلمين الشيعة، و هدم دورهم، و اسقاط جميع حقوقهم المدنية. ٧- تغذية الناس ببغض الامام على و ذريته الطاهرة عليهم السلام. ٨- اتباع سياسة كم الأفواه، و شراء الذمم و الضمائر و تأجير العقول. و بالتالى ادخال الأمة، بكل مواقعها، فى غياهب المجهول الغارق بالضبابية و الصراعات الفتوية و الذاتية الضيقة [١٣] .

سؤال و جواب (استنتاج عام)

فى سياق الاستعراض التاريخى السابق لجملة الظروف الصعبة التى هزت الواقع العام الذى نشأ فيه الامام الكاظم عليه السلام، ما هى ردود الأفعال التى أنتجتها حالة السخط و الغليان و عدم الرضا عن الواقع المعاش، لدى الامام عليه السلام و عامة الناس؟! بمعنى آخر: ما هو حجم المبادرات و آليات العمل الفاعلة التى كرسستها، كنتيجة منطقية، تلك الحالة الضاغطة على واقع المجتمع و الأمة؟! فى الواقع، بعد أن انتهى عصر الخلافة الأموية الذى طبع الحالة العامة [صفحة ٢٠] للدولة بطابع المركزية، و القهر و الاستعباد، و الظلم فى السياق الفكرى و العملى، آلت مقاليد الأمور لبنى العباس الذين مارسوا نفس الدور الذى لعبته سابقا «الأموية» [١٤] و طلبوا الغايات نفسه الاستثنائية الخاصة ذاتها لكن هؤلاء رفعوا شعارا اسلاميا حماسيا عاطفيا على درجة من الزيف و البهتان و الظلم و هو «مناصرة آل محمد، و الانتقام من أعدائهم» [١٥] لك الرياح لم تجر كما تشتت السفن، اذ سرعان ما سقطت أقمعة المودة و الموالاة [١٦] . و انكشفت تحتها تلك السياسة الماكرة للعباسيين، و اتضح حقيقة الشعارات المرفوعة، حيث لم تكن الدولة العباسية، فى سلوكها و أساليب عملها، الا امتدادا جديدا لظاهرة الفرعة الأموية بسلوكها و عقيدتها و التزامها، هنا بالذات انطلقت آليات عمل فكرية حركية من قبل المخلصين و المدافعين عن [صفحة ٢١] الوجود الحضارى للأمة يمكن ملاحظتها من خلال هذا الالتفاف و التحول النوعى الحار فى نطاق الممارسة الامامية من حالة ردة الفعل و الاستجابة الآنية على مستوى الطرح العاطفى الساذج، الى حالة الفعل الايجابى المؤثر و المنتج لنمط واع من العمل الرسالى المقترن بشرائط و ضوابط قانونية متحركة فى اطار ظروفها الواقعية و الموضوعية. و هذا ما نجده واضحا تماما من خلال ملاحظتنا للثورات التى أعقبت (راهننا) استشهاد الامام الحسين عليه السلام. و امتدت (لاحقا) حتى سقوط الحكم الأموى و من ثم انقراض العباسيين على السلطة. لقد حاول امامنا - ضمن هذا الجو المحموم و بعد ادراكه و وعيه الكامل لجملة التغيرات المطردة فى حياة الناس و فهمه لحاجاتهم الآنية - حاول اختيار أقرب الطرق و أسهل الأساليب العملية الموصلة الى نفوس الناس و أذهانهم كالارشاد و التبليغ و الوعظ. ضمن هذه الأجواء المتشنجة و المشحونة بالعصبوية الذاتية و النزعة الفردية

الطغيانية برزت الى العلن شخصية الامام موسى الكاظم عليه السلام كأحد رموز مقاومة واقع الانحراف و قيم الجاهلية، و كقائد رسالي يحمل للأمة أطروحة فكرية اسلامية نيرة، يريد نشر تعاليمها السامية كاستمرار فعال لقيادة و خط الرسول صلى الله عليه وآله و سلم و الأئمة عليهم السلام من قبله في محاولة منه لسد النقص الحاصل في جسم الأمة ثقافيا و اجتماعيا و سياسيا. استمر الكاظم عليه السلام يعمل - بكل تخطيط و وعى - على الخطوط و المحاور نفسها التي سبقه اليها الامام الصادق عليه السلام في مواجهته للواقع الاجتماعي المأزوم الذي انحسرت عنه، و في جانب كبير منه، قيم الاسلام و مضامين رسالته و أفكارها و تصوراتها العامة، مما أدى الى حدوث فراغ تشريعي و فقهي و أخلاقي حاد، اضطر ذلك مدرسة الخلفاء الى استحداث مصادر تشريعية جديدة بديلة يمكن أن تلبى، على حد زعمهم، حاجات الواقع التشريعي المتجددة [١٧]. [صفحة ٢٢] لقد بقي امامنا عليه السلام يمارس دوره الريادي، فكربا و اجتماعيا، في دعوته الى التمسك المبدئي الراسخ بثوابت الاسلام و هدى القرآن، حتى آخر حياته الشريفة التي عانى فيها (بخاصة في أواخرها) ما عاناه من عذاب السجن و التضيق و التنكيل و التكيل بالقيود، لقد مكث الامام عليه السلام - كما سنفصل لاحقا - زمنا طويلا في سجن هارون، و قد هد السجن صحته و أذاب جسمه حتى أصبح، حين يسجد لربه، كالثوب المطروح على الأرض، فيدخل عليه رسول الزعامة المنحرفه فيقول: ان الخليفة يعتذر اليك و يأمر باطلاق سراحك على أن تزوره و تعتذر اليه، أو تطلب رضاه، فيسمح الامام عليه السلام و هو يجب بالنفي بكل صراحة، لا لشيء الا لكي لا يحقق للزعامة المنحرفة هدفها في أن يبارك الامام عليه السلام خطها، فتعكس معالم التشويه [١٨] و هذا ما يبدو واضحا من خلال كلمات الرسالة التي أرسلها عليه السلام لهارون و هو لا يزال في السجن معربا له فيها عن بالغ سخطه عليه، جاء فيها «انه لن ينقضى عنك يوم من الرخاء حتى نفني جميعا الى يوم ليس له انقضاء، و هناك يخسر المبطلون» [١٩]. بعد ذلك، و بفترة قصيرة، كانت وفاته في حبسه بواسطة السندی بن شاهك (أمير السجن العباسي) خلال شهر رجب من سنة ١٨٣ للهجرة [٢٠]. [صفحة ٢٣]

فعاليته التاريخية و نشاطاته الفكرية و العملية

حركته العلمية و أبرز تلاميذه و أصحابه

إشارة

اتجهت جهود الامام الكاظم، في هذا المجال، الى التخطيط الواعي لبناء كتلة ايمانية شعبية ملتزمة و مرتبطة بخط أهل البيت عليهم السلام نهجا و سلوكا، و ذلك بتنمية و عيها، و عقلنة عواطفها الجياشة، و رص صفوف قواعدها الشعبية المنتشرة هنا و هناك باعطاء محددات و ضوابط عامة لمعالمها الفكرية و الاجتماعية في بعض مواقع العالم الاسلامي. لقد كان من الطبيعي، بعد أن تسلط الأشرار على واقع الأمة، أن ينطلق الكاظم باتجاه ممارسة دوره الهام، المحقق لرسالة الاسلام، في انشاء القواعد و الركائز الخاصة اللازمة للوقوف في وجه تلك المتغيرات الانحرافية الذاتية التي أفضت الى انهيار معنوي كبير بين صفوف مختلف شرائح المجتمع. لقد تمثلت تلك الخطوة بداية، في سعي الامام عليه السلام الى بناء هيكلية معرفية عامة تستطيع القيام بمهمة الدفاع عن حصن العقيدة، و ايقاف تلك الاندفاعات الفكرية القشرية الناهضة التي كانت تشكل خطرا كبيرا على الرسالة، و العمل الفاعل على تفكيك أبنيتها و اسقاط مفاعيلها في بداية تشكلها و نشوئها، لا سيما و أنها قد أثرت بشكل سلبي ملحوظ على وعى الناس، لذلك وجد الامام الكاظم أن الحل الجذري الحاسم لعلاج ضعف العقيدة في النفوس، و تحكم النزعات الغرائزية بالناس - كنتيجة للمقدمة السابقة التي أنتجت مجتمعا [صفحة ٢٤] ظالما بكل معنى الكلمة - وجد عليه السلام أن الحل يكمن في نشر الدين، و تعميم معارفه و قيمه، و الدعوة العاقلة الى التمسك بأحكامه و أهديه، و تطبيق مبادئه و معاييره. و هنا بدأ امامنا عليه السلام بحركة علمية نشيطة و واسعة كانت، في

مضمونها، استمرارا ايجابيا مؤثرا لنهج أبيه الصادق عليه السلام الذي عاش الكاظم معه نحو من عشرين عاما، أدرك فيه عهد الأمويين في سن الطفولة، كما و شاهد، في هذا السن و بعده، تقاطر وفود علماء و طلاب العلم و المعرفة من جميع الأقطار تغص بهم المدينة. و قد ازدحموا على أبيه عليه السلام شبابا و شيوخا و هم بين مستمع يأخذ منه العلم الحديث، و بين من يناظر في التوحيد و التشبيه و القدر و الامامة، و غير ذلك من المواضيع التي شاعت في ذلك العصر و تشعبت فيها الآراء [٢١] اذا، قضى الامام موسى أعوامه العشرين كاملة في كنف و رعاية أبيه الصادق عليه السلام، و مضت تلك العشرون و هو الى جانبه يلقيه من فنون العلم و طرائف الحكمة ما يؤهله الى القيادة و الامامة التي كانت تنتظر قدومه. من خلال هذا المنظور يمكننا الدخول الى أهم نشاط فكري و فاعلية عملية عمل عليها الكاظم عليه السلام من أجل ايقاف هذا المد الهائل من حالة الانهيار و الذوبان و المسخ، و هي فاعلية التخطيط المركز و الاشراف المباشر انطلق الامام في هذا المحور معلنا ضرورة ايجاد توعية عقائدية بين صفوف أبناء المجتمع، و الاسراع في معالجة أسباب الانحراف و ظهور اتجاهات عقائدية باطلة، و بالتالي مكافحتها و الوقوف في وجه تلك النزعات و التيارات التي نتجت عنها كالشعبوية و العنصرية و النحل الدينية. و كانت الدعوة الى الأفكار الالحادية [٢٢] من أخطر الدعوات المحمومة [صفحة ٢٥] التي أخذت تنشط، و تبث سمومها في نفوس الناشئة الاسلامية، و كان موقف الامام موسى عليه السلام من هذه الدعوة موقف المتصدى و الناقد لها بالأدلة العلمية الرصينة، و المظهر لتهافتها و بعدها عن منطق الواقع، حتى اعترف قسم كبير من حملة تلك المبادئ بأخطائهم و فساد اتجاههم. في مواجهة هذه المقدره العلمية في اسقاط تلك الدعوات الباطلة التي أثقل، تصدى الامام و أصحابه لها، كاهل المسؤولين و المنتفعين هنا و هناك - وقف هؤلاء الأعيان و كبار رجالات الدولة في وجه هذه الحركة العلمية الدعوية التي لمعت و ذاع صيتها في الآفاق، و تصدوا لها بالتنكيل و الاضطهاد، و منعا قاداتها من الكلام في مجالات العقيدة، الأمر الذي اضطر الامام عليه السلام أن يبعث الى هشام (و هو أحد أصحابه) ليكف عن الكلام و المناظرة نظرا الى خطورة الموقف، فكف هشام عن ذلك حتى مات الخليفة المهدي [٢٣]. لقد كان لتوجه الامام الكاظم عليه السلام نحو بناء و تشييد القواعد الأساسية للكتلة اليمانية الواعية و اعطائها طابعها المميز، أثر ايجابي كبير في التفاف كوكبة من العلماء و رواة الحديث حوله ممن تتلمذوا في جامعه أبيه الكبرى، و زودوا الفقه الاسلامي بطاقات و مواهب كبيرة من آرائه الحصيفة [٢٤]، و قد تولى هؤلاء، مع الامام عليه السلام، مهمة الاشراف المباشر على الموالين و القواعد الشعبية و التنسيق معها في كل المجريات الحياتية [٢٥] و بخاصة في ما يتعلق منها [صفحة ٢٦] بطبيعة الموقف تجاه الحكم السياسي و المشاركة أو عدم المشاركة فيه [٢٦]. لقد أجمع الرواة على وجود شخصيات فكرية روائية عديدة اشتهرت بفقهها و علمها و نقلها الروايات عن الامام الكاظم عليه السلام، كان من أبرزها:

علي بن يقطين بن موسى البغدادي

لم يكن هذا الرجل فقيها بارعا و محدثا بارزا بالمعنى العميق للكلمة، و انما كان من أقرب المقربين (اجتماعيا) للامام الكاظم، لذلك و صنعنا لمحبة عامه سريعة عن حياته في سياق حديثنا عن أهم الشخصيات الفكرية و الفقهية التي نهلت من علم و فكر امامنا الكاظم (ع). كان ثقة، جليل القدر، له منزلة عظيمة عند أبي الحسن الكاظم عليه السلام، عظيم المكانة في هذه الطائفة، روى أنه عليه السلام ضمن له الجنة و أن لا تمسه النار أبدا، و كان وزيرا لهارون، فاستأذن الامام عليه السلام بترك العمل فلم يأذن له، و قال له: «عسى أن يجبر الله بك كسرا، و يكسر بك نائرة المخالفين من أوليائه، يا علي كفارة أعمالكم الاحسان الى اخوانكم» و روى أنه لما قدم أبو ابراهيم موسى بن جعفر عليه السلام العراق، قال علي بن يقطين مخاطبا الامام عليه السلام: أما ترى حالي و ما أنا فيه؟ فقال عليه السلام: «يا علي، ان الله تعالى أولياء مع أولياء الظلمة ليدفع بهم عن أوليائه و أنت منهم يا علي» و روى عنه عليه السلام أنه قال له (لعلي بن يقطين): «أضمن لي خصلة أضمن لك ثلاثا» فقال علي: جعلت فداك و ما الخصلة التي أضمنها لك؟ و ما الثلاث اللواتي تضمنها لي؟ فقال أبو الحسن عليه السلام: «الثلاث اللواتي أضمنهن لك أن لا يصيبك حر الحديد أبدا بقتل، و لا فاقة، و لا سجن»

فقال علي: فما الخصلة التي أضمنها لك؟ فقال عليه السلام: «يا علي و أما الخصلة التي تضمن لي أن لا يأتيك ولي أبدا الا أكرمته»، فضمن له علي الخصلة و ضمن له أبو الحسن الثالث. و روى أنه عليه السلام قال: «انى استوهبت علي بن يقطين من ربي عزوجل [صفحة ٢٧] البارحة فوهبه لي. ان علي بن يقطين بذل ماله و مودته فكان لذلك منا مستوجبا» [٢٧].

يونس بن عبدالرحمن

جاء في ترجمته أنه أخذ (العلم) من الامام موسى بن جعفر، و كان من خلص أصحابه و صفوتهم، و أدرك شطرا من حياة الامام الرضا عليه السلام و قال فيه عليه السلام: «يونس بن عبدالرحمن في زمانه كسلمان الفارسي في زمانه» و قال عنه الشيخ الطوسي في كتابه الفهرست: ان له ثلاثين كتابا في مختلف المواضيع و كان، كما جاء في ترجمته، يزور كل يوم أربعين رجلا- من اخوانه المؤمنين، ثم يرجع الى بيته لا يترك التأليف الا للصلاة و الطعام و قضاء الحاجة، و له مؤلفات في علم الكلام و آراء تدل على سعة علمه و قوة تفكيره [٢٨].

محمد بن عمير

كان من أصحاب الامامين موسى بن جعفر و ولده الرضا عليه السلام، و قد أخذ عنهما الحديث و الفقه، و ألف فيما أخذه عنهما في الفقه و غيره [٢٩].

صفوان بن يحيى بياح السابري

كان من تلامذة الامام الكاظم عليه السلام و لازم بعد وفاته، الامامين الرضا و الجواد عليهما السلام، و روى، كما جاء في ترجمته، عن أربعين من تلامذة الصادق، و ألف من آثار الأئمة أكثر من ثلاثين كتابا كما نص على ذلك الكشي و الطوسي و ابن النديم و غيرهم من المؤلفين في أحوال الرواة و التراجم و السير. [صفحة ٢٨]

عبدالله بن المغيرة البجلي

أكد الرواة و ثاقته في الرواية و الحديث، و أضافوا الى ذلك أنه ممن أجمع الأصحاب على صحة مروياته عن الامام أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام و غيره، و ترك مجموعة من المؤلفات في مختلف المواضيع، و يضاف الى هؤلاء الأعلام جماعة أخرى من العلماء [٣٠] ممن لم يبلغوا مرتبة أولئك، و منهم، صفوان بن مهران الجمال الذي روى عن الصادق عليه السلام و لازم، من بعده، ولده الكاظم عليه السلام و أخذ عنه الحديث و الفقه و ألف فيها كما نسب اليه ذلك الكشي و ابن النديم و الطوسي و غيرهم. و منهم أيضا: عبدالرحمن البجلي الكوفي الذي بشره الكاظم عليه السلام بالجنة كما روى الكشي في رجاله، و كان واسع الأفق، قوى الحجّة و البرهان، و محيطا بعلوم عصره، قال له الامام واضعا ثقته فيه: «كلم أهل المدينة فاني أحب أن يرى الناس في رجال الشيعة مثلك».

الطريقة الموضوعية الفعالة في كيفية دراسة تاريخ الأئمة و طريقة و عى فكرهم و استلهم دورهم في القضايا المعاصرة

يشكل التاريخ أحد المنابع الرئيسية التي تزود الانسان - في المعطى الايجابى - بطاقة الحركة والفاعلية فى الحياة. اضافة الى دوره الحيوى الهام فى نمو الأمة و تقدمها و ازدهارها فى مسيرتها الحضارية الصاعدة، نظرا الى أنه قد يجنبها كثيرا من الأهوال و المصاعب و المزالق التى يمكن أن تتعرض بها فى مراحل انبعاثها و نموها الأولى، على ضوء تلك الفكرة نحاول الانطلاق الى تاريخنا الاسلامى الخاص بأمنا لندرسه بوعى فنفتح على الواقع و الحياة، من خلال أهمية و عينا لطبيعة وجودنا الاسلامى فى العصر الماضى و الحاضر كأمة هادية [صفحة ٢٩] أنشأت، لنفسها و غيرها، حضارة عظيمة أغنت شخصية الانسان المسلم و غير المسلم. اننا نحاول الانطلاق الى هذا التاريخ، بخاصة تاريخ أمتنا عليهم السلام الذى نعتبر أن فيه الكثير من الاشكالات و المواضيع التى تحتاج الى تحليل و تفكيك و استظهار ايجابى جديد، كى نقرأه على هدى من وعى و عمق و معرفة و نقدمه لأجيالنا الحاضرة التى تبحث عن انتماء أصيل، يعيد اليها وجودها و حيويتها و نصارتها و وعيها المسلوب، نقدمه فى اطاره الاسلامى الحقيقى بعيدا عن كل التأويلات و التصورات و المفاهيم الغريبة القلقة، لتعيش هذه الأجيال فى جو نقى تتنفس فيه الصفاء فى هوائها و النقاء فى وجودها، كسبيل عملى من سبل المحافظة على شخصيتنا الاسلامية الكيانية المستقلة فكيف يمكن أن نتوفر على تلك الدراسة الواعية للتاريخ التى نحاول، عبرها، و عى جذوره الخصبة المعطاءة؟ ان القضية الأساسية التى تواجهنا، راهنا، فى طريقنا نحو العمل فى بناء الحاضر الاسلامى، و تلح علينا بقوة و اصرار كونها تتصل بالمرحلة الأولى من مراحل العمل و البناء، هى قضية (مرحلة) الاعداد و التكوين، اعداد الخطط التى يسير عليها العمل، و تكوين الأسس و المبادئ العامة التى يركز عليها البناء. أما كيف تمثل هذه القضية مرحلة البداية للعمل، و كيف تساعد على اعداد الخطط و تكوين الأسس، فهذا ما نتعرفه اذا وعينا طبيعة المعرفة التاريخية التى تقدمها لنا دراسة التاريخ، و علاقتها بالواقع الحياتى الذى نعيشه. من هنا نجد أهمية قصوى لملقاء على عاتق الباحث فى وعيه و فهمه العميق لطبيعة المشكلات الحاضرة بيننا، و التى تسبب لنا أزمات و نكبات متعددة، تجعل واقعنا العربى و الاسلامى يتخبط فيها ليلا و نهارا. اننا لا نرمى من خلال محاولتنا لتلك «اختراع» تاريخ جديد، و انما نريد فهم هذا التاريخ على ضوء الواقع المعاصر، و بما يخدم قضايانا المصيرية الملحة التى تضغط علينا فى موقع هنا و فى موقع آخر هناك، و بالتالى تكوين [صفحة ٣٠] وعى تاريخى كشرط أساسى من شرائط و أسباب النهوض الحضارى، من خلال حفظ تاريخنا من التزوير الفكرى و العقائدى و المنهج الخاطىء فى التحليل و التركيب، و الابتعاد عن طبيعة «السرد القصصى الحرفى» لأحداث ماضية الى الطريقة التى تجعل منه أداة فاعلة تسهم فى عملية بناء الحاضر و صنع المستقبل، الى الطريقة التى تجعل منه معنى يتحرك فى داخل وجودنا الحى ليحرك الحياة من حولنا. ضمن هذا الخط المنهجى و العملى المشرق فاننا لا نرى استخداما نوعيا فعالا - اذا صح التعبير - و وعيا تاريخيا راقيا لقضايا التراث [٣١] و التاريخ و العقيدة الاسلامية، أقوى و أنصح و أظهر و أشرق مما نشاهده و نلمسه يوميا من بطولات و ملاحم المقاومين و المجاهدين الأبطال فى جنوب لبنان فى مواجهاتهم المشرفة ضد المشروع التلمودى للكيان الصهيونى و عملائه فى المنطقة. فجاءت المقاومة الاسلامية - التى نأمل دراسة تجربتها و نشرها و تعميمها ثقافيا و حضاريا و اعلاميا - ردا قاسيا على أولئك المتخاذلين و القانعين بواقع الذل و العار لتجعلنا نشعر بأننا نمتلك قوة استنهاض تاريخية لا مثيل لقوتها و لمخزونها و تراثها التاريخى القيمى الهادف قوة ممانعة و مواجهة اعتراضية اتخذت من ثقافة و حضارة القيم الاسلامية شعارا و مشروعا لها فى حجم الأمة و الحياة كلها. [صفحة ٣١]

مقدمات أساسية فى وعى التاريخ الاسلامى

لا شك بأننا أمة تمتلك مخزونا تاريخيا عريقا، أصبحت مسألة وعيه من الداخلى مسألة ملحة و ضرورية، لأن هذا الوعى أصبح جزءا لا يتجزأ من الوعى للعقيدة، و أصبح تصحيح الكم التاريخى المتراكم شرطا لازما فى مسيرة تصحيح و تركيز الاعتقاد، و من خلال هذا العنوان العريض يمكن أن نضع هنا بعض المقدمات الأساسية فى مسألة و عينا التاريخى: المقدمة الأولى: أن تكون دراسة التاريخ واجبا حيويا، و ضرورة حتمية تستهدف تفكيك البنى الذاتية الداخلية لجملة الحوادث و المواضيع التاريخية، لا أن تكون مجرد ترف

ذهني ساكن، مجردا عن محيطه الزماني والمكاني. المقدمة الثانية: أن نتخلى عن الهالة القدسية التي توطر هذا التاريخ، ونحاول دائما أن نحيطه بها بكل ما فيه من أخطاء و عثرات و انحرافات و اندفاعات [٣٢] لأن هذا التقديس يدفعنا - لا شعوريا- الى الانزلاق في تفاسير و تأويلات خارجة عن مفهومي الزمان و المكان الضروريين في عملية التأسيس و البناء التاريخي، مما يجعلنا ننحرف بالتاريخ عن الغاية التي نسعى اليها فيه، و الهدف الذي نتطلع اليه. [صفحة ٣٢] ان تاريخنا - ككل تاريخ - كان حصيلة أدوار مختلفة من حياة الأمة بين ارتفاع و انخفاض، فهو الصورة التي تنعكس عليها الحياة بما فيها من ارتباكات، فاذا أردنا أن نفهمه على أساس واقعي، فيجب علينا تعريته عن كل لون من ألوان الخيال و الدعاية و الزهو، و ملاحظته كمادة خام لدراسة واقعية عميقة. المقدمة الثالثة: تتمثل في حقيقة نعيشها جميعا، و هي أن تاريخ الأمة الحاضر هو جزء هام أساسي من تاريخها الماضي، انه عملية بناء و نتاج نمو تاريخي طويل، فحاضرنا الذي نعيشه و نراه هو ثمرة ماضينا، لذلك لا بد من معرفة و دراسة الأحداث الممتدة في عمق التاريخ، و نقدها و متابعتها و تحليلها، في اطار قراءة واعية لمجاهل و معالم التاريخ، تكشف قوانين نموه و عناصر الضعف و القوة فيه. المقدمة الرابعة: أن يبني النقد التاريخي على الحقيقة الموضوعية و ان قوضت شيئا من رؤانا و اعتقاداتنا مما قد نظنه من المسلمات القطعية التي لا كلام و لا جدال فيها، و بالتالي ضرورة الابتعاد عن المواقف المسبقة و الرؤى المذهبية الخاصة التي قد تجعل التاريخ مادة مائعة للاستهلاك الفارغ، و مرتعا خصبا لنشوء الانحرافات والأوهام و الأباطيل و البدع. المقدمة الخامسة: التعريف بالحدث التاريخي الاسلامي باعتباره تاريخا عاما لكل الفئات و الشرائع الاجتماعية و ليس تاريخا خاصا بالنخبة السياسية الحاكمة. المقدمة السادسة: تنصب على دراسة قوانين و قواعد التاريخ الاسلامي و (مراجع التاريخ) التي حملت الكثير، و الكثير جدا، من حقائق التاريخ، أو تكاد - في مجموعها - أن تكون قد حفظت جميع حقائقه، فهي بلا شك قد حملت، الى جانب ذلك، أباطيل كثيرة [٣٣]. ١- منها ما هو اسرائيلي الصنع. [صفحة ٣٣] ٢- منها ما هو صنع الزنادقة الذين تستروا بالاسلام فكادوا له شرا، و هؤلاء كانوا أقدر على تزيين أساطيرهم و ترويجها، اذ كانوا يضعون أساطيرهم دائما في أهواء أصحاب الفرق الدينية أو السياسية المتناحرة. ٣- منها أكاذيب القصاصين و الرواة و تحسيناتهم، كذلك منها ما اختصت به المصادر الحديثة، من كتب في التاريخ أو دراسات تاريخية، مما ترشح عن مدارس الاستشراق، أو التفاسير المادية أو القومية للتاريخ الاسلامي.

نموذج تاريخي امامي للاستخدام الفعال للتاريخ

استخدم الامام الكاظم عليه السلام عنصر التاريخ و المادة التاريخية السابقة لعهد في مجال السياسة و الفكر، و مجال الوعظ و الارشاد (التبليغ)، ولكن قبل أن ندخل الى طبيعة هذا الاستخدام نساءل: لماذا أدخل الأئمة عليه السلام، بشكل عام، عنصر التاريخ في أحاديثهم الوعظية و خطبهم أو كتبهم السياسة و الفكرية؟ في الحقيقة. لقد حاول الأئمة عليهم السلام النفاذ الى أعماق التجارب التاريخية التي مرت بها أمتنا لا سيما على صعيد الحكم و السياسة و الوعي الثقافي التغييرى، و وضعوا عليهم السلام علامات استفهام عميقة أمام كل المراحل التاريخية السابقة لهم من حيث مدى علاقتها أو عدم علاقتها بالانتماء الاسلامي الأصيل من الجو الذي نشأت و نمت في أرضه، و عن نوعية النتائج التي حصلت من جراء حدوث هذه الواقعة أو انطلاقة تلك الحركة من حيث اتصالها بالمفاهيم و القيم الاسلامية أو ابتعادها عنها، كل ذلك يندرج تحت عنوان واحد هو وعي التاريخ الذي عاشته التجربة الاسلامية في طريق التعرف على مشاكل و تحديات الاسلام الحاضرة بهدف تأسيس الواقع على أطروحة قيادية عقلانية تأخذ بعين الاعتبار المصلحة الاسلامية العليا فقط، و ربما يمكن أن نفهم ذلك بشكل أكبر من خلال استعراضنا - في سياق بحثنا و متابعتنا لطبيعة الوعي التاريخي عند امامنا الكاظم عليه السلام للمثاليين التاليين: المثال الأول: في دعوته عليه السلام الى ترسيخ الثورة في وعي الأمة [صفحة ٣٤] الاسلامية و في وجدانها و ذهنيته العامة من خلال استحباب زيارة الامام الحسين عليه السلام يقول الكاظم عليه السلام: «أدنى ما يصاب به زائر الحسين بشط الفرات، اذا عرف حقه و حرمة و ولايته، أن يغفر له ما تقدم من ذنبه و ما تأخر» [٣٤]. يؤكد الامام الكاظم

عليه السلام، في هذا الحديث، على ضرورة زيارة الامام الحسين عليه السلام الذي عاش و استشهد قبله بعدة عقود، و ذلك من أجل ترسيخ الحالة التفاعلية و التواصلية الايجابية مع الثورة الحسينية ليكون لها حضور تاريخي مكثف بأهدافها و تطلعاتها الانسانية العادلة في كل المواقع الفكرية و النفسية للأمم المؤمنة بخط الثورة و أهدافها المشروعة. ان حض الكاظم عليه السلام الناس على زيارة الحسين عليه السلام، كبعد تاريخي فعال، يراد - من خلاله - تأصيل الوعي الثوري للتاريخ، و تعميق الروح الاستشهادي الجهادية في نفوس الكتلة المؤمنة. المثال الثاني [٣٥]: حينما سأل هارون [٣٦] الامام الكاظم عليه السلام عن فدك و حدودها لكي يرجعها اليه، فأبى عليه السلام أن يأخذها الا بحدودها، فقال هارون: ما حدودها؟ فقال عليه السلام: «ان حدودها لم تردها»، فأصر هارون عليه أن يبينها له، و لم يجد الامام عليه السلام بدا من اجابته، فقال له: «أما الحد الأول فعدن» فلما سمع هارون ذلك تغير وجهه، و استمر الامام عليه السلام في بيانه قائلا: «و الحد الثاني سمرقند» فأربد وجه هارون، و استولت عليه موجة من الغضب الهائل، ولكن الامام عليه السلام استمر قائلا: «و الحد الثالث أفريقيا» فاسود هارون و قال بنبرات تقطر غيظا «هيه» و انطلق الامام يبنى الحد الأخير قائلا «و الحد الرابع فسيب البحر ما يلي الجزر و أرمينية»، فثار الرشيد، و لم يملك أعصابه [صفحة ٣٥] قائلا: و لم يبق لنا شيء، فأجابه الامام: «قد علمت أنك لا تردها» [٣٧]. اننا نلاحظ - من خلال هذا النص - أن الامام الكاظم استعان بعنصر التاريخ لا كمؤرخ لأحداث و انما باعتباره صاحب رسالة و عقيدة و فكر، و لم يكن يستخدم التاريخ كمادة و عضية فقط، و انما كان يستهدف منه النقد السياسي و التربية السياسية لمجتمعه و التوجيه الحضاري لأمته، ليعطي لقضية الاسلام الفكرية حرارة و حياة، و ليجعل لأطروحة أهل البيت عليهم السلام حركة و معنى فاعلا- في مدى الزمان و في عمق الانسان نفسه، و من خلال رفضه اغتصاب حق التاريخ و الفكر و الرسالة لصالح نزعات و أهواء و مصالح شخصية. لقد اعتبر الامام عليه السلام، من خلال وعيه لحركة التاريخ، أن هارون و أسلافه غاصبون للخلافة و مختلسون للسلطة و الحكم، الأمر الذي أثار غضب هارون عليه و أغلظ في كلامه على الامام عليه السلام بعد أن سمعه يتحداه بموقف لا لين فيه، و هو عليه السلام يريدنا، نحن، أن نفتح بوعي على كل تلك المواقف و الأدوار و الحوادث التي انطلقت في ذلك العهد، لندرسها و نأخذ منها العبرة اللازمة و نستلهم، من خلالها، المعايير و الضوابط التي تساعدنا في حل بعض تعقيداتنا المعاصرة. انها أسئلة و مواقف في التاريخ قد نطالع، في كثير من تفاصيل أجوبتها و أبعادها، الوجه الآخر الحقيقي لطبيعة مشاكلنا المثارة حاليا. على ضوء هذا الفهم الشمولي و الاستيعابي لحقيقة الجوهر و المضمون التاريخي المنتج و الفاعل، نتساءل: ما هي الأمور التي استطاع هذا الوعي أن يحققها على صعيد الدور التاريخي الهام الذي لعبه امامنا الكاظم عليه السلام في عملية التغيير الاجتماعي على مستوى وعي الأمة؟! يمكننا ايجاز الاجابة في النقاط التالية: ١- أعاد هذا الفهم للأمم حقها في ممارسة النقد الايجابي. [صفحة ٣٦] ٢- وعت الأمة حقيقة السلطة و الحكم في الاسلام من خلال معرفتها لحدود الدائرة الواسعة أو الضيقة التي يمكن للخليفة التحرك ضمنها. ٣- تعميق الشعور و الاحساس بالمسؤولية لدى الأمة تجاه قيم و مبادئ الاسلام. ٤- محاولة (اعادة) تصحيح المفاهيم الخاطئة و الظالمية التي كانت تلف طبيعة الحكم و السلطة السياسية و توزيع الثروات و الأموال لتشمل أبوابا واسعة أخرى. ٥- احباط محاولات السيطرة على عقل الأمة و تزييف وعيها و ارادتها، و تبيان حقائق الأمور في اطار رسالة الاسلام. ٦- توضيح مبدأ أساسي و هو أن قيمة الخليفة في الاسلام مرهونة بمدى خدمته للناس و تمسكه بمبادئ الاسلام الصحيحة. [صفحة ٣٧]

الجانب العملي و التربوي في حياة الامام الكاظم

مقدمة عامة عن الأجواء التي عاصرها (المتغيرات التاريخية الذاتية في مسيرة الدعوة الاسلامية)

اشاره

ان الاحاطة ببعض معالم و ميزات الجانب العلمي و التربوي في حياة الامام الكاظم عليه السلام تتطلب استيعاب الظروف و المتغيرات

التاريخية التي عاصرها عليه السلام و استوعب تمثالاتها الواقعية، و بالتالى استطاع أن يمتلك رؤية علمية و منهجا موضوعيا لمواجهتها و معالجتها على ضوء و عيه العميق لرسالة الاسلام. و باستعراض هذه التغيرات و الأجواء التي اتسم بها عصر الامام نجد أمامنا ظواهر بارزة و واضحة لا تحتاج الى جهد كبير للاستدلال على وجودها، نشير اليها فى ما يلى:

مظاهر التناوب و الخلل السياسى و صراع الأهواء

حفلت حياة الأمة فى عصر الكاظم عليه السلام بمظاهر التفرقة السياسيه و التشتت الفكرى فى الابتعاد العقائدى عن أصول التفكير و الحياة السياسيه [صفحة ٣٨] الاسلاميه، و الانحراف عن واقع التجربة الاسلاميه الصحيحه فى الحكم و الممارسه السياسيه و الاجتماعيه و الأخلاقية. فقد عايش امامنا عليه السلام الفترة الحرجه فى انتقال الحكم السياسى من العهد الأموى الى العهد العباسى و ما رافقه من نزاعات سياسيه جاهليه أهدرت امكانات الأمة و مواهب أبنائها فى اطار صراعات ذاتيه جانبية ضيقه و محدوده. و رغم ما حمله هذا الخلل البنيوى السياسى العميق و ذلك الصراع الذاتى من مصائب و أهوال على واقع الأمة و حياة المجتمع، فانه أعطى الامام عليه السلام الفرصه المناسبه لظهور علمه الغزير، و وفر السبل الكفيله فى أن ينزل (هذا العلم) على أرض الواقع الاجتماعى ليمارس دوره العلمى و التربوى كأروع ما يكون.

تشكل المذاهب الفقهيه الكلاميه

إشارة

شهدت تلك المرحلة الدقيقه من تاريخ أمتنا محاولات تمييع واضحة لخطوط الفكر و العقيدة الاسلاميه تولى مهام الدعوة اليها رموز و دعاه (العباسيه) الجديده، و وعاظ السلاطين الذين أخذوا على كاهلهم (مهمه) تزوير الفقه و الحديث و اللعب بالتشريع الاسلامى و الفتيا بالرأى و ذلك باعتمادهم على ركائز و مقاييس غريبه عن أساليب و أدوات التشريع الاسلامى، و قد كان لاقضاء الأئمه من أهل البيت عليهم السلام عن مواقع العمل القيادى الفكرى و الاجتماعى و السياسى، دره الأكبر فى تفسى ظواهر التفسخ المعرفى و السياسى فى طبيعه التغيرات الخطيره التى حدثت فى حركة الدعوة و مسيره الأمة، و قد تمثل ذلك، عمليا، من خلال انكشاف الواقع أمام فراغ فقهي و تشريعى كبير خصوصا بعد أن احتكت الأمة مع حضارات مجاوره لها، ما أدى الى دخول مفاهيم و تصورات و سبل حياة فكرية و عمليه جديده الى واقع الحياة الاسلاميه سببت تغيرات كبيره حاده فى بنيه المجتمع الاسلامى، و يبدو أن السلطه القائمه، المستلمه لإدارة شؤون الأمة، ساهمت فى وصول المجتمع الى هذا المستوى المتدنى و المنحط من التفاعل السلبى غير المتوازن مع ثقافات الحضارات المجاوره بحيث أصبح [صفحة ٣٩] هذا المجتمع جاهزا للاستعمار من الداخل و الخارج، و بخاصه عندما قام هذا الحكم السياسى بتسخير الدين لمصالحه و أهوائه و دعم مواقفه و تثبيت مواقعه و أركان حكمه السياسيه، فتغير هذا المجتمع (الرسالى!) و بات يميل، أكثر فأكثر، نحو الكسل و الدعه و الترف و الاستهلاك الفارغ [٣٨]. ان الفراغ الفقهي و العقائدى الذى ظهر نتيجة المتطلبات و الحاجات الحياتيه الجديده، كان يحتاج الى من يسده بشكل أو بآخر، و يعمل على ايجاد قواعد و أنظمة فقهيه و أبنيه تشريعيه حديثه تتناسب مع الأوضاع الجديده [٣٩]. فى هذه الفترة بالذات (و ربما قبلها بقليل) بدأت المذاهب الفقهيه المعروفة بالنشوء و التشكل و الظهور الى العلن، مستفيدة من حالة الخلل السياسى العام، و اتساع الحركة العلميه و الفقهيه، و فى أغلب الأحيان كان ظهور تلك المذاهب ناتجا عن عمل السلطه السياسيه نفسها فى ابعادها لا تجاه فقهي معين لا ينسجم مع مصالحها، و بالمقابل ترجيح آراء فقهاء آخرين عليه. طبعا لا نستطيع أن ننسى الدور الذى تلعبه الشخصيه العلميه لأئمه المذاهب فى جلب الأتباع و التلامذه و التأثير القوى على تصوراتهم و اتجاهاتهم الفقهيه، و لا ننسى أيضا أثر و دور العامل الجغرافى فى تعداد الاتجاهات و الانتماءات.

كل هذا وغيره من العوامل أثر و ساهم في ايجاد نواة لنشوء مذاهب كثيرة و متنوعة فقها و كلاميا، قبل أن تنحصر بعد ذلك، بزمن طويل تقريبا، بمذاهب معينة، و ذلك لعوامل أخرى رافقت عملية غلق باب الاجتهاد. [صفحہ ٤٠]

شروع الانحرافات الفكرية و مظاهر التحريف الخطيرة في مضامين الرسالة الاسلامية

اشاره

قلنا: ان الخلل السياسى القائم فى طبيعته التعاطى مع الأفكار و المبادئ الجديدة الوافدة على حياة الأمة قد أفضى الى نتائج مأساوية على سعيد المجتمع الاسلامى، ظهرت ملامحه الأولى فى تلك الأنماط الخطيرة من الانحرافات الفكرية و العقائدية الطارئة على حياة المسلمين التى شاعت من خلالها الأفكار المعادية للاسلام، و فسح المجال لذوى الأهواء و الغرائز الفردية ليدلوا بدلوهم و لينضجوا أكلهم و يحصدوا ما يشاؤون.

الانحرافات فى الواقع الفكرى العقيدى

تمظهرت من خلال الأمور التالية: - مسألة انتشار الزندقه و التشكيك فى المعتقدات الاسلامية. (و الغريب أن ذلك كان يتم أحيانا فى البيت الحرام و المسجد النبوى الشريف - كما تحدثنا الروايات - مما شكل ظاهرة واسعة خطيرة) [٤٠]. - و منها موضوع الغلو و تأليه أئمة أهل البيت عليهم السلام. - فكرة التجسيم و التشبيه. - الجبر و التفويض. - انتشار عقيدة التناسخ. - كما أن منها ظاهرة التحلل من الواجبات بحجج واهية ككفاية حب أهل البيت عليهم السلام عن العمل الصالح و أمثال ذلك. [صفحہ ٤١]

الانحرافات فى طبيعة فهم النص القرآنى

- توظيف النص القرآنى لخدمة الأهداف السياسية الآنية و النزعات الخاصة، أو لتأييد الاتجاهات المذهبية و الكلامية، و ذلك باخضاع النص المقدس لأفكار جاهزة مسبقه الصنع بدلا من أن تكون طبيعة الرؤى و الأفكار و التصورات ناتجة من خلال حركية النصوص نفسها، على ضوء المعطيات التى يحملها النص فى دلالاته اللغوية و العرفية و العقلية. - التأويلات الباطنية الفاسدة. - اعتماد الروايات الاسرائيلية فى تفسير القرآن.

فى مجال التاريخ السلامى

ظهر الانحراف هنا من خلال محاولة تشويش الصورة النقية و المشرقة للرسول صلى الله عليه وآله و سلم [٤١] و الأئمة عليهم السلام، و اختلاق شخصيات [٤٢] و وقائع تاريخية لا وجود لها فى تاريخ الأمة، و العمل على طمس معالم تاريخية و وقائع مشهورة و ثابتة علميا و تاريخيا.

اتساع ظاهرة الوضع فى الأحاديث الشريفة

برزت، فى ذلك العصر، ظاهرة الوضع و الدس فى الأحاديث و ذلك لأسباب سياسية مكشوفة، و دوافع طائفية بغية قامت بتغذيتها و تنميتها اتجاهات مشبوهة فى الواقع لم تكن هذه الظاهرة (ظاهرة الوضع) جديدة على المجتمع الاسلامى، و ذلك بعد أن لعبت يد

الأهواء، منذ عصر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فأوجدت فئة من الوضعيين المستأكلين بالحديث، ارضاء لميولهم الغرائزية [صفحة ٤٢] واتجاهاتهم السلطوية السياسية. و من الغريب أن العلامة الكبير الأمينى صاحب (الغدير) أحصى (٤٠٨ ٤٧٤) حديثا [٤٣] مكذوبا ملفقا أو مقلوبا لجمع قليل من الوضعيين الذين قاربوا هذا العصر - تقريبا - و الغريب أن نشهد تعبيرات [٤٤] من قبيل ما قيل فى أحمد بن عمرو أبى بشر الكندى: أنه (أحد الوضعيين الكذابين مع كونه محدثا اماما فى السنة و الرد على المبتدعة) [٤٥]. و فى أحمد بن غالب الباهلى أنه كان (من كبار الزهاد ببغداد كذاب وضاع) [٤٦]. و فى أحمد بن موسى الجرجانى الفرضى أنه (أحد الحفاظ: كذاب) [٤٧]!!! حتى لتجد يحيى بن سعيد القطان يقول: (ما رأيت الصالحين فى شىء أكذب منهم فى الحديث) [٤٨] و هنا يعلق المرحوم الأمينى بعد درج قائمة من وضاعى الحديث قائلا: «فمن هنا ترى كثيرا من الوضعيين المذكورين بين امام مقتدى، و حافظ شهير، و فقيه حجة، و شيخ فى الرواية، و خطيب بارع، و كان فريق منهم يتعمدون الكذب خدمه لمبدأ أو تعظيما لامام أو تأييدا لمذهب، و لذلك كثر الافتعال و وقع التضارب فى المثالب و المناقب بين رجال المذاهب، و كان من تقصر يده عن الفرية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالحديث عنه فانه يبهت الناس باختلاق أطياف حول المذاهب و رجالاتها». [صفحة ٤٣]

الامام الكاظم فى مواجهة الواقع المنحرف

اشاره

فى مواجهة هذا التيار الهادر من المتغيرات الذاتية. كان لا بد من خلق و ابداع حركية فكرية و معرفية و علمية قوية متماسكة يمكن أن توقف - ضمن حدود معينة - هذا السيل الجارف من الانهيارات و التراجعات الروحية و الثقافية و السياسية. لقد كانت سلوكية الامام الكاظم عليه السلام و تصريحاته و مواقفه كلها تنبىء عن شعوره المسئول بالمهام القيادية الملقاة على عاتقه باعتباره أحد أئمة أهل البيت و عتره الرسول صلى الله عليه وآله وسلم التى جعلت أمانا للأمة و سفينة للنجاه و متمسكا يعصمها من الضلال [٤٩]. لقد كانت هذه الأهلية القيادية الواعية و الرشيدة موضع عناية و اهتمام الأئمة من أهل البيت عليهم السلام واحدا بعد الآخر، يوصى كل منهم الى من يليه و يعلم أصحابه بخصائصه. و كمثال على ذلك نلاحظ النص التالى: دخل يزيد بن سليط - و هو من أهل الورع و العلم - على أبى عبدالله الصادق عليه السلام فبادره يسأله عن الحجّة من بعده قائلا: بأبى أنت و أمى، أنتم الأئمة المطهرون و الموت لا يعرى منه أحد، فمن القائم من بعدك؟ فأشار الى ولده موسى و راح يصفه «فعنده علم الحكمة و الفهم و السخاء، و المعرفة بما يحتاج الناس اليه فيما اختلفوا فيه من أمر دينهم، و فيه حسن الخلق، و حسن الجوار، و هو باب من أبواب الله، و فيه أخرى هى خير من هذا كله». فیسأل الراوى قائلا: بأبى أنت [صفحة ٤٤] و أمى ما هى؟ فيرد الصادق: «يخرج الله من غوث هذه الأمة و غياثها و علمها و نورها و فهمها و حكيمها، خير مولود و خير ناشىء، قوله حكم، و صمته علم، يبين للناس ما يختلفون فيه» [٥٠]. و هى كلها صفات قيادية كان يتمتع بها الامام الكاظم، و يعمل على تمثلها و تحقيقها و تجسيدها، فما هى الخطة التى سار عليها الكاظم عليه السلام لمواجهة واقع الانحراف و الضلال و بالتالى القيام بالواجب القيادى العام؟، من خلال متابعتنا لحركية فكر و ثقافته و سلوك الامام عليه السلام، وجدناه يعمل على خطين أساسيين: فهو من جهة - و بشكل عام - يؤكد، بل و يعمل جاهدا، على بناء الأمة الاسلامية و تقوية أو اصرها، و حفظ كيانها و صيانتها تراثها، و تنمية و عيها العام، و بالتالى امتلاكها للخصائص التى ذكرها القرآن الكريم و السنة الشريفة عن الأمة، و هو من جهة أخرى يعمل، بشكل خاص، على تربية الفئة الواعية المتفاعلة تماما مع خطته، و المتحملة بكل جدارة للمهام الصعبة التى يلقيها عليها، مما يجعلها تشكل شعاعا من نوره و نماذج لسيرته و مظاهر لقيادته [٥١].

مظاهر الخط العلمى و التربوى العام

اشاره

يمكننا أن نستعرض أهم مظاهر هذا الخط عبر النقاط التالية:

العمل على ايجاد حركة علمية وثقافية واسعة و نشيطة جدا**اشاره**

انطلقت هذه الحركة في الواقع الاسلامي آنذاك استكمالاً للجهود العلمية الجبارة التي أرسى قواعدها الامام الصادق عليه السلام [٥٢] فبدأت العلوم والحقائق [صفحة ٤٥] تنتشر بين الناس، و تنمى معلوماتهم، و توسع مداركهم، و تفتح عقولهم على مواقع جديدة، و تدفعهم نحو الكمال العلمي المنشود. و قد رد الامام الكاظم عليه السلام، في أجوبته و مناظراته، على الشبهات و المزاعم التي أثارها مختلف التيارات الفكرية و السياسية، و شجع تلامذته و أصحابه - من ذوى الكفاءة و المقدره العلمية العاليه - على خوض المعارك الحوارية الفكرية، و مواجهه تلك القوى الفاسده التي عملت بأقصى جهدها على هدم مقومات و ركائز الكيان العقيدى و الفكرى الاسلامى. و قد استجاب تلامذته لذلك، و ألفوا و صنفوا مئات الكتب و الرسائل العلميه، سجلها التاريخ كنقطة اشعاع مضيئه في سماء الفكر الاسلامى [٥٣]. و هكذا استطاع الكاظم عليه السلام أن يكمل دور أبيه الصادق عليه السلام فى توسيع و تدعيم أركان تلك الحركة العلميه الواسعه الأبعاد، التي تمكن روادها و فى مقدمتهم، الامام الكاظم، من نشر الوعي الدينى و الفكرى و تنمية حس المثاقفه و الحوار على أوسع نطاق.

تحسين الفكر الاسلامى و حمايته من التيارات المنحرفه الفاسده و لوثات الأفكار الجاهليه المشبوهه**اشاره**

لقد سعت تلك القوى الضاله بكل قوتها الى زعزعه الروح الايمانيه و الحراره الرساليه المتبقيه لدى الجماهير المؤمنه، من خلال تشكيكها بأصول المعرفة الاسلاميه، و محاوله اسقاط ما تبقى من آثار تجربتها الصحيحه الأولى. فى مقابل ذلك انطلق الكاظم عليه السلام و تلامذته لمواجهه تلك المحاولات الخطيره، و التصدى للنتائج السلبيه التي بدأت تظهر على صعيد الواقع [صفحة ٤٦] الاجتماعى للأمة و ذلك من خلال العناوين التاليه:

العنوان العقائدى: التصدى لتيار الزندقه و الالحاد

١- عن يعقوب بن جعفر الجعفرى، عن أبى ابراهيم موسى بن جعفر عليه السلام قال: ذكر عنده قوم زعموا أن الله تبارك و تعالى ينزل الى السماء الدنيا، فقال: «ان الله لا ينزل و لا يحتاج أن ينزل انما منظره فى القرب و البعد سواء، لم يبعد عنه بعيد، و لا يقرب منه قريب، و لم يحتج الى شىء، و هو ذو الطول لا-اله الا- هو العزيز الحكيم، أما قول الواصفين أنه ينزل، تبارك و تعالى عن ذلك علوا كبيرا، فانما يقول ذلك من ينسبه الى نقص أو زياده، و كل متحرك يحتاج الى من يحركه به أو يتحرك به [٥٤] فمن ظن بالله الظنون فقد هلك، فاحذروا فى صفاته من أن تفقوا له على حد تحدونه بنقص أو زياده، أو تحريك أو تحرك، زوال أو استئزال، أو نهوض أو

قعود، فان الله عزوجل عن صفه الواصفين، و نعت الناعتين و توهم المتوهمين» [٥٥] . ٢- عن داوود بن قبيصة، قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: سئل ابي الكاظم عليه السلام: هل منع الله عما أمر به و هل نهى عما أراد له، و هل أعان على ما لم يرد؟! فقال عليه السلام: «أما ما سألت: هل منع الله عما أمر به؟ فلا يجوز ذلك، و لو جاز ذلك لكان قد منع ابليس من السجود لآدم، و لو منع ابليس لعذره و لم يلغنه. و أما ما سألت: هل نهى عما أراد؟ فلا يجوز ذلك، و لو جاز ذلك لكان حيث ينهى آدم عن أكل الشجرة أراد منه أكلها، و لو أراد منه أكلها لما نادى عليه صبيان الكتاتيب (و عصى آدم ربه فغوى) و الله تعالى لا يجوز عليه أن يأمر بشيء و يريد غيره. و أما ما سألت عنه من قولك: هل أعان على ما لم يرد؟! لا يجوز ذلك و جل الله عن أن يعين على قتل الأنبياء و تكذيبهم، و قتل الحسين بن علي عليه السلام و الفضلاء من ولده، و كيف يعين على ما لم يرد و قد أعد جهنم لمخالفيه، و لعنهم على تكذيبهم لطاعته، و ارتكابهم لمخالفته؟! و لو جاز أن [صفحة ٤٧] يعين على ما لم يرد لكان أعان فرعون على كفره و ادعائه أنه رب العالمين، أفترى أراد الله من فرعون أن يدعى الربوبية؟، يستتاب قائل هذا القول، فان تاب من كذبه على الله، و الا ضربت عنقه» [٥٦] .

العنوان التشريعي

تحرك الامام الكاظم عليه السلام على هذا الصعيد، بعد ظهور صيغ استنباطية طارئه و دخيله على البنية الفقهيّة و التشريعيّة الاسلاميّة، لا تنسجم مع الأصول الاسلاميّة الأصيلة كالقياس و الاستصحاب و تفسير القرآن بالرأى و غير ذلك، و قد شكل هذا الخط تهديدا حقيقيا لحركة الدين حتى قال عليه السلام: «ما لكم و القياس انما هلك من قبلكم بالقياس» [٥٧] ان هذا التشدد الذي يظهره الامام كما يبدو في حديثه - يعبر عن ادراكه التام لخطورة ذلك المنحى المنحرف في فهم أحكام الاسلام و تعاليمه و قيمه، و الذي يتضمن مصادر مرفوضة اسلاميا، و لا تشكل أدوات تحليلية صالحة للنمو في البيئه الاسلاميّة، أو ناجحة لفهم أحكام الشريعة.

العنوان الروحي و المعنوي

اشاره

عاشت أمتنا الاسلاميّة - كما أسلفنا - جو الاسترخاء و السكون، و قامت أنظمتها القياديّة الحاكمه برفع رايه الدعوة الى هذه السياسة (سياسة التعب و الترف) عبر أجهزتها الاعلاميّة الرسميّة، ضمن خطة منظمه و عمل مدروس أرادت، من خلاله، تغيير المعالم الباقية من الصورة النقية و الناصعة للواقع الرسالي الاسلامي [٥٨]، و تركيز مفاهيم و مضامين اعتقاديّة و فكريّة جديدة على مقاس و حجم أهواء و مصالح السلطات القائمة. [صفحة ٤٨] و قد ظهرت أبعاد و نتائج تلك الممارسات على المستوى الروحي و المعنوي، في انشداد الناس، نفسيا و ذهنيا، الى الأثقال الأرضية و الملذات الدنيوية على حساب انطفاء الشعور الملتهب بالقيم و الأصول الأخلاقيّة الرفيعة، و الاحساس العميق بالارتباط بيوم المعاد كمبدأ توازني دقيق - اذا صح التعبير - بين الأولى و الآخرة. و قد كان للامام موسى عليه السلام دور أساسي في تنمية مشاعر الناس و احساسهم العالي بوجودهم المسؤول على المستوى الروحي، من خلال توعيتهم بضرورة رفع درجة احساسهم بالله تعالى الى مستوى العمل و السلوك و الممارسة اليوميّة الواعيّة، و تركيزه العميق على دور الدعاء و العبادة في انماء شخصيّة الانسان المسلم، في تحقيق التوازن العملي بين دنياه و آخراه.

اهتمامه بالحكم و المواعظ و الارشادات العامة

قدم لنا الكاظم عليه السلام تراثا ثريا و غنيا من الحكم و المواعظ الأخلاقية العملية حاول، من خلالها، التأثير الايجابي على الناس في تنمية مداركهم المعنوية، و رفع مستوى ايمانهم العملي، و تحصينه من حالات الذوبان و التميع و الاهتزاز و الانفلات الأخلاقي التي كانت سائدة بكثرة في ذلك العصر. لقد انطلقت تلك الجمل الوعظية في صيغ لغوية جميلة هادفة، لها دلالتها اللفظية و أبعادها الحركية المنفتحة على أكثر من صعيد في الواقع الاجتماعي الرسالي الاسلامي. يقول عليه السلام في وصيته لبعض ولده: «يا بني عليك بالجد، لا تخرجن نفسك من حد التقصير في عبادة الله عزوجل و طاعته، فان الله لا يعبد حق عبادته» [٥٩]، و يقول عليه السلام: «ان العاقل الذي لا يشغل الحلال شكره، و لا يغلب الحرام صبره» [٦٠]. [صفحة ٤٩] ان الميزة الأساسية لهذه المواعظ أنها كانت صادقة قولاً و فعلاً و لم تكن حالة تخديرية، تجمد العقل، و توقف الفكر عن الحركة و العمل و الامتداد، أو تشده الى آخرته في اطار سلبي، أو تلقى به في مهلكات الدنيا الملحة بملذاتها و شهواتها [٦١]، بل كانت تعبير - في العمق الفكري و الديني - عن بناء و تأسيس ايماني منفتح، و ترشيد روحي واع و مؤثر تتوازن فيه المسيرة الحياتية في المسار و الهدف، من خلال طموحات الدنيا و التشويق الى التفاعل مع حركة الآخرة، فتواصل و تتلاقح في مستوى الانجاز الأرضي و الأفق الأخرى. يقول عليه السلام في وصيته لهشام [٦٢]: «يا هشام من سلط ثلاثا على ثلاث فكأنما أعان على هدم عقله: من أظلم نور تفكره بطول أمله، و محا طرائف حكمته بفضول كلامه، و أطفأ نور عبرته بشهوات نفسه، فكأنما أعان هواه على هدم عقله، و من هدم عقله أفسد عليه دينه و دنياه».

تزييه على الأدعية

اهتم الامام الكاظم بالدعاء كعمل تربوي عبادي هادف، و كمنهج تثقيفي فاعل يستطيع رفع المستوى الروحي للانسان المؤمن الى أعلى درجات اليقين و الايمان. لذلك دعا عليه السلام الناس الى ممارسة الدعاء، و حضهم على التزام معانيه العالية، يقول عليه السلام: «عليكم بالدعاء فان الدعاء لله و الطلب الى الله يرد البلاء و قد قدر و قضى و لم يبق الا امضاؤه، فاذا دعى الله عزوجل و سئل صرف البلاء صرفه» [٦٣] و يقول أيضا: «ما من بلاء ينزل على عبد مؤمن فيلهمه الله عزوجل الدعاء الا كان كشف ذلك البلاء و شيكا، و ما من بلاء ينزل على عبد مؤمن فيمسك عن الدعاء الا كان ذلك البلاء طويلا، فاذا نزل البلاء فعليكم بالدعاء و التفرغ الى الله عزوجل» [٦٤]. [صفحة ٥٠] يركز الامام الكاظم في كلماته السابقة على ضرورة القيام بعبادة الدعاء كحاجة ثابتة يعبر الانسان، من خلالها، عن آلامه و معاناته، و يبت فيها شكواه، من هموم الحياة، في مناجاة خالقه العظيم، فهناك ظروف ضاغطة و معقدة يمكن أن يواجه فيها (هذا الانسان) قسوة الواقع و عذاب الحياة و ضغط المشاكل و هموم المجتمع و الأمه، مما قد يحوله الى كتلة مادية جامدة لا قيمة لها، اذا لم يتمكن من ايجاد اطلالة نفسية و روحية للتعبير عن مكونات ذاته المليئة بتلك المشاكل و الهموم. و هنا يأتي دور الدعاء ليفتح نافذة في جدار القلق و الاضطراب النفسي يطل عبرها الانسان على مواقع العزة و الرحمة، و آفاق المحبة و جو الوثام و المودة من خلال انفتاح الانسان على خالقه تعالى بقلب مطمئن و روح خفاقة، ليس انفتاح الضعيف الدليل، بل انفتاح القوى العزيز الذي يستمد قوته و عظمته و قيمته من قوة و عظمة الله المطلقة، ليكون الانسان المؤمن الحر الذي لا يمكن أن تحوله التحديات و المصائب و الهموم، الى مجرد انسان قلق (بالمعنى السلبي) و معقد و منهار لأن وعى الانسان العميق لقيم الله - في كدحه و ارتقائه (و حتى بدعائه) نحو الله - يعطى الانسان الملتزم مؤونة التحدى و طاقة المواجهه مع كل صعوبات الحياة، فإله تعالى هو الممون الحقيقي لطاقة الوجود و العمل و المواجهه المستمرة مع مصاعب و تعقيدات الحياة، يقول عليه السلام: «بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم اعطني الهدى و ثبتني عليه، و احشرنى عليه آمنأ أمن من لا- خوف عليه و لا- خوف و لا- جزع، انك أهل التقوى و أهل المغفرة» [٦٥]. ليكون الدعاء، من خلال ذلك، أحد الوسائل الأساسية و الضرورية الموصلة الى تحقيق الكمال الانساني الذي لا يمكن أن يتجسد على أرض الواقع الا بانتاج و صنع أفراد يشعرون بعمق مسؤولياتهم في حركة الحياة بانفتاحهم على الحياة من خلال انفتاحهم على الله في عملية نقد ذاتي

موضوعي لأوضاعهم المختلفة، ليحاكم الفرد منهم نفسه، من خلال حركة الدعاء الواعي، بين يدي [صفحة ٥١] ربه، وليتعد عن تضخيم شخصيته وليحاسبها هو أمام الله، ليكون ذلك انكشافا حقيقيا للذات أمام الخالق، وليس انكشافا أو افتضاحا لنفسه و شخصيته وأسراره الخاصة أمام المخلوقين. يقول عليه السلام في أحد أدعيته: «اللهم بك أساور، و بك أجادل، و بك أنتصر، و بك أموت، و بك أحيأ، أسلمت نفسى اليك، و فوضت أمرى اليك، لا حول و لا قوة الا بالله العلي العظيم، اللهم انك خلقتنى و رزقتنى و سررتنى و سترتني من بين العباد بلطفك و خولتني، و اذا هربت رددتني، و اذا عثرت أقلتني، و اذا مرضت شفيتني، و اذا دعوتك أجبتني، سيدى ارض عنى فقد أرضيتني» [٦٦]. لأن الله تعالى يحفظ سرى و نجواك و يدعوك الى عبادة الدعاء (كرسى الاعتراف) لتعترف بذنوبك أمامه، يقول عليه السلام: «عظم الذنب من عبدك فليحسن العفو من عندك» [٦٧]، لتصل الى النتيجة الصحيحة و تفتح بعدها، صفحة جديدة و عهدا جديدا مع ربك و مع نفسك و الآخرين، لا لتتجمد، بل لكى تتحول الى طاقة مبدعة و متفجرة فى الواقع العملى من خلال ممارستك لدورك و نشاطك الفعال و المنتج فى حركة المجتمع البشرى، تعمل و تتحرك و تندمج بالحياة الانسانية بكل قوة و وعى و ثبات و عزم ايمانى، لأن الاسلام يريد من الانسان المسلم الملتزم بأدابه و قيمه فى العبادة و الدعاء و ما الى ذلك، يريد منه أن يكون نموذجا حيا للانسان الالهى بوعيه و حركيته، أن يدخل، بل و ينخرط، فى عمق الواقع الاجتماعى و يمارس فيه واجباته و مسؤولياته الروحية و العملية مجسدا لارادة الله و كل تعاليمه التى تغدو الأرض معها جنه مصغرة، فتتعلم فيها كيف نمارس نعم الله فى الدنيا قبل أن نعيش معه فى الآخرة، و بذلك نفهم أن يكون الدعاء عملا- و توكلا- لا- سكونا و توكلا، يقول عليه السلام: «توكلت على الحى الذى لا يموت، و تحصنت بذى العزة و الجبروت، و استعنت بذى الكبرياء و الملكوت، مولاي استسلمت اليك فلا تسلمنى، و توكلت عليك فلا تخذلنى، [صفحة ٥٢] و لجأت الى ظلك البسيط فلا تطرحنى، أنت المطلب، و اليك المهرب، تعلم ما أخفى و ما أعلن، و تعلم خائنه الأعين و ما تخفى الصدور، فأمسك عنى الهم و أيدى الظالمين من الجن و الانس أجمعين، و اشفىنى يا أرحم الراحمين» [٦٨].

التأسيس لنموذج القدوة

تعتبر شخصية الامام موسى بن جعفر عليه السلام من أرفع و أعمق و أثرى الشخصيات الانسانية وعيا و نضجا و علما و مكانة، حيث استطاعت أن تساهم مساهمة فعالة - من خلال نموذج القدوة و الأسوة الحسنة كوسيلة ترشيدية متحركة - فى التأسيس الأولى و البناء القاعدى للحضارة الانسانية، و تطوير الحياة العامة، و تغذية الفكر البشرى بأسباب نهوضه، من خلال نشر ثقافة و مكونات الوعى الفكرى الاسلامى فى كل الأنحاء، لقد كانت صفاته الذاتية الرفيعة، و عناصر نفسه النبيلة و المعطاءة - التى نمت و ترعرعت فى ظل محبة الله و الخوف منه و الايمان اليقيني به - من أهم الأسباب التى جعلت من الكاظم عليه السلام أنموذجا خلاقا فى الفكر و الأخلاق و السلوك و العمل و الالتزام. لقد كان عليه السلام يبكى من خشية الله فى جوف الليل، و يرتجف و يرتعد فى الحضور أمامه حتى لقب بحليف السجدة الطويلة و الدموع الغزيرة [٦٩] (و ما لم ينقلب الداخل نارا لا يبكى الانسان). و لعلنا جميعا سمعنا بقصة بشر الحافى التى نقلها هنا للدلالة على مصداقية الأسوة الحسنة للامام الكاظم عليه السلام. - يروى أنه عليه السلام مر يوما فى أحد أزقة بغداد و كانت أصوات العريضة و الآلات الموسيقية و الطنبور و العزف و الرقص تسمع من أحد البيوت، و صادف أن خرج، من المنزل، خادم يريد رمى النفايات قيل أنه كان يريد وضعها فى الخارج كى يأتى مسؤول التنظيفات و يأخذها، فسأله الامام عليه السلام عن صاحب [صفحة ٥٣] هذا البيت أحر أم هو عبد، و تعجب الخادم من السؤال، و قال: ألا تعرف من صاحب هذا البيت مع ما هو عليه من الجلالة؟ هذا بيت بشر أحد الرجال الأشراف، أحد الأعيان، و واضح أنه حر، فقال عليه السلام: نعم حر، و لو كان عبدا [٧٠] لم تكن لترتفع هذه الأصوات من داره. التفت بشر الى خادمه الذى خرج ليرمى النفايات و يعود فان خروجه لا يستدعى منه أن يبقى

أكثر من دقيقة مثلاً، لكنه غاب عدة دقائق. فجاء اليه و سأله: لم هذا التأخير؟ قال: قد أوقفني رجل للكلام، فسأله: ماذا قال، سألتني سؤالاً عجيباً، فقال: ما السؤال؟. قال: سألتني: صاحب هذا البيت حر أم عبد؟ فقلت له: طبعاً حر، فقال لي: نعم لو كان عبداً لم تكن لترتفع هذه الأصوات من داره، فسأله عن أوصافه فوصفه له، فعلم أنه موسى بن جعفر، فسأله: أية جهة ذهب، فأشار له الى الجهة التي ذهب منها، فلم يمهل نفسه كي يلبس حذاءه خوفاً من أن لا يدرك الامام عليه السلام فعدا حافياً (فقد أحدثت تلك الجملة في نفسه تغييراً) حتى وصل الى الامام عليه السلام فسأله عن قوله ماذا قال، فأجابته قلت: كذا، ففهم المقصود، وقال: سيدي أريد من الآن أن أكون عبداً لله، و صدق في قوله فعدا من تلك الساعة عبداً لله [٧١].

ممارسة الإصلاح الاجتماعي و محاولة رفع المعاناة و غائلة الظلم عن الناس

اتفق المؤرخون على أن الامام الكاظم عليه السلام كان من أكرم و أجود أهل زمانه [٧٢]، و قد نذر حياته للدين و خدمة المجتمع و تربية الناس على قيم و مبادئ [صفحة ٥٤] الاسلام الخيرة، و بالنظر الى الحركة الاقتصادية في عصر الامام عليه السلام، فاننا نجد أنها كانت مضطربة و شبه مشلولة بالرغم من مظاهر الترف و الغنى التي كانت مقتصرة، على حد ما يروى المؤرخون، على أفراد السلطة الحاكمة و أعوانهم و حاشيتهم. لقد تفردت الفئة الحاكمة ليس بالسلطة السياسية فحسب، بل و استأثرت أيضاً بالانفاق السخي من خزينة الدولة على مظاهر البذخ و الترف، الأمر الذي قسم المجتمع الى مستويات طبقية متعددة بعضها غنى يملك كل شيء، و الآخر فقير لا يملك أي شيء. كما و دخل المجتمع، على أثر ذلك، في دهاليز مظلمة جديدة من القهر و المعاناة و البؤس و الحرمان. و في سياق مواجهة هذا الواقع الاقتصادي الظالم و المنحرف؛ عمل الكاظم على زرع روح التربية الاسلامية الصحيحة بين النفوس التي أضناها القلق و التعب و الارهاق النفسي الناتج عن التفكير المتواصل بسد رمق الحياة و العيش البسيط. ان ممارسة الامام عليه السلام لهذا النمط من الحراك الاجتماعي يعكس و عيه العميق لأهمية الجانب الاقتصادي و الاجتماعي من مواقع الدعوة و العمل الرسالي، كما و يؤكد - في الوقت ذاته - مدى حرصه عليه السلام على المسلمين كأمة لها وجودها و مشروعها الذي لا تهزه العواصف و لا تسقطه التحديات، لذلك كان عليه السلام يعمل باستمرار على بث عوامل الاستقرار في المجتمع، من أجل تحصين الأمة من عناصر الاهتزاز الداخلي و الخارجي في ظل هذه الأجواء النفسية الضاغطة على الفرد و الأمة، و نقل هنا بعض الروايات التي تظهر الحرص الشديد للامام عليه السلام على رفع غائلة الظلم الاقتصادي و الاجتماعي عن [صفحة ٥٥] الناس بحسب الامكانيات التي توافرت آنذاك. - روى البغدادي في تاريخه [٧٣] عن محمد بن عبدالله البكري، قال: قدمت المدينة أطلب بها ديناً فأعياني، فقلت: لو ذهبت الى أبي الحسن موسى بن جعفر و شكوت اليه ذلك، فأتيته في ضيعته، فابتدأني بالسؤال عن حاجتي، فذكرت له قصتي، فدخل الى بيته و خرج منه مسرعاً، و قال لغلامه: اذهب، فلما ذهب الغلام مد يده و دفع لي صرة فيها ثلاثمائة دينار فركبت دابتي و انصرفت. اتنا نلاحظ - في تحليلنا لحركة الامام الكاظم على هذا المستوى - وجود اتجاه انساني عميق ممزوج بنفحات عرفانية متألفة [٧٤]، في معالجته لبعض الظواهر الاقتصادية يحاول، من خلاله توعيتنا بضرورة الانفتاح على مبادئ الاسلام، ليكون عندنا جيل اسلامي واع و مؤمن برسالته و دورها الحضاري الرائد في بناء حياة الانسان، في تعزيز قيمه المعنوية و الأخلاقية في ممارسات و أفعال المسلمين [٧٥]. - قال عيسى بن محمد بن مغيث القرطبي: زرعت بطيخاً و قشاً في موضع بالجوانية على بئر يقال لها (أم عظام) فلما قرب الخير استوى الزرع بغتني الجراد فأتى على الزرع كله، و كنت غرمت على الزرع في ثمن جملين مائة و عشرين ديناراً، فبينما أنا جالس اذ طلع موسى بن جعفر بن محمد فسلم ثم قال: «أي شيء حالك؟» فقلت: أصبحت كالصريم، بغتني الجراد فأكل زرعى، قال: «و كم غرمت فيه؟» فقلت: مائة و عشرين ديناراً مع ثمن الجملين، فقال: «يا عرفه زن لأبي المغيث مائة و خمسين ديناراً، فربحك ثلاثون ديناراً و الجمالان»، فقلت: يا مبارك ادخل و ادع لي فيها بالبركة، فدخل و دعا و حدثني [صفحة ٥٦] عن رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم أنه قال: تمسكوا ببقايا المصائب، ثم علقت عليه الجملين و سقيت، فجعل الله فيها البركة و زكت، فبعت منها بعشرة آلاف

[٧٦]. في الواقع، اننى لا أجد مانعا من أن أقول: ان تلك المواساة للناس و المشاركة في مصائبهم، هي دأب الامام الكاظم عليه السلام و أخلاقه نهلهما من جده امير المؤمنين على عليه السلام عندما قال: «أقنع من نفسى بأن يقال امير المؤمنين، و لا أشاركهم في مكاره الدهر؟ أو أكون أسوء لهم في جشوبة العيش» [٧٧].

مظاهر الخط العلمى التربوى الخاص

يمكن أن نلاحظ، في هذا الاتجاه، حركة منظمة واسعة الأبعاد لتربية الطليعة الواعية و المثقفة التى تبث العافية و السلامة في أوصال الأمة، نشير، في ما يلي، الى بعضها:

الشد و الجذب العاطفى العلمى

الشيخ: محمد على التسخيرى، مؤتمر الامام الصادق (ع)، (ص: ٢٨٧) مصدر سابق. ركزت تعاليم الاسلام على مسألة الحرارة الرسالية و الشد (الانجذاب) العاطفى بالقائد، بدء من التذكير بالعلاقة الراسخة التى يملكها القائد بالله، منع الحب و الحنان و الفيض على الأرض، في قوة يقينه و التزامه بنهجه المتين، و مرورا بالآيات الكريمة و الأحاديث الشريفة المركزة على حب أهل البيت عليهم السلام و مودتهم، و انتهاء بالعطاء الفعلى الذى يلمسه الملتزم و المحب لهذه الشخصيات، و ذلك كأسلوب تربوى فعال يهدف أساسا، الى استلهام الدروس الرسالية في ساحات الحياة و آفاقها الواسعة [٧٨]. [صفحة ٥٧]

تعميق الاحساس بوجود الله و مراقبته و اليقين به

في سلوكنا الذاتى و الاجتماعى، بحيث نبقى منضبطين و سائرين على خط الاستقامة و ملتزمين بقيم الله و الاسلام يقول عليه السلام: «اياك أن تمنع في طاعة الله، فتنفق مثليه في معصية الله» [٧٩]، و يقول عليه السلام لبعض شيعته: أى فلان، اتق الله و ان كان فيه هلاكك فان فيه نجاتك؛ أى فلان اتق الله ودع الباطل و ان كان فيه نجاتك، فان فيه هلاكك» [٨٠]، و قوله عليه السلام في سؤال وجهه اليه أحدهم عن اليقين: «يتوكل على الله و يسلم لله و يرضى بقضاء الله و يفوض أمره الى الله» [٨١].

التركيز على تحلى الأصحاب بالأخلاق الرفيعة

رفضه للكبر و المتكبرين

جاء في وصيته عليه السلام لهشام: «يا هشام اياك و الكبر على أوليائى و الاستطالة بعلمك فيمقتك الله، فلا تنفحك بعد مقته دنياك و لا آخرتك، و كن في الدنيا كساكن دار ليست له، انما ينتظر الرحيل» [٨٢].

مجالسة أهل الدين و الأخلاق و مشاوره العقلاء

يقول عليه السلام: «مجالسة أهل الدين شرف الدنيا و الآخرة، و مشاوره العاقل الناصح يمن و بركة و رشد و توفيق من الله، فاذا أشار عليك العاقل الناصح فاياك و الخلاف فان في ذلك العطب» [٨٣]. [صفحة ٥٨]

الصمت الإيجابى

يعنى ذلك: توخى الحذر و الدقة و المسؤولية فى اختيار كلمة الدعوة و أسلوبها.. (تخير الكلمة المناسبة للموقف المناسب). يقول عليه السلام: «يا هشام، قلّ المنطق حكم عظيم، فعليكم بالصمت، فانه دعه حسنة و قلّه وزر و خفه من الذنوب، فحصنوا باب الحلم، فان باب الصبر، و ان الله عزوجل يبغض الضحاك من غير عجب و المشاء الى غير أرب» [٨٤]. و يقول عليه السلام: «يا هشام قال رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم: اذا رأيت المؤمن صموتا فادنوا منه، فانه يلقي الحكمة، و المؤمن قليل الكلام كثير العمل، و المنافق كثير الكلام قليل العمل» [٨٥].

ضرورة محاسبة النفس بشكل يومى

يقول عليه السلام: «ليس منا من لم يحاسب نفسه فى كل يوم، فان عمل حسنا استزاد منه، و ان عمل سيئا استغفر الله منه و تاب اليه» [٨٦].

التربية على الصمود و الصبر و الثبات

الصبر على الحكم الجائر

يقول عليه السلام: «اذا كان الامام عادلا كان له الأجر و عليك الشكر، و اذا كان جائرا كان عليه الوزر و عليك الصبر» [٨٧]، [٨٨].
صفحة ٥٩

الصبر على الطاعات

جاء فى وصيته عليه السلام لهشام: «يا هشام اصبر على طاعة الله و اصبر عن معاصى الله فانما الدنيا ساعة، فما مضى منها فليس تجد له سرورا و حزنا، و ما لم يأت منها فليس تعرفه، فاصبر على تلك الساعة التى أنت فيها فكأنك قد اغتبطت» [٨٩].

التفقه فى الدين

يقول عليه السلام: «تفقهوا فى دين الله فان الفقه مفتاح البصيرة، و تمام العبادة و السبب الى المنازل الرفيعة و الرتب الجليّة فى الدنيا و الدين، و فضل الفقيه على العابد كفضل الشمس على الكواكب، و من لم يتفقه فى دينه لم يرض الله له عملا» [٩٠]. [صفحة ٦٠]

تأملات حول الواقع الحضارى الاسلامى الراهن (تحديات الواقع و آفاق المستقبل)

اشاره

تعرضنا فى بداية هذا الكتاب، و بشىء من التفصيل، لجملة الظروف و التغيرات السياسية و الاجتماعية و الحضارية العامة التى عاصرها الامام موسى الكاظم عليه السلام، و تمكن فى خلالها، مع شيعته و تلامذته و أصحابه، من ممارسة دور حضارى نموذجى فى مواجهتها و التصدى لها، و بالتالى الدفاع عن منظومة القيم و التشريعات الحضارية الاسلامية. و يبدو لنا أن تلك الظروف و الأوضاع لا تزال تفعل فعلها فى تمزيق و تشتيت الأمة روحيا و مفاهيميا، متلبسة قوالب و اطارات جديدة فى ذات الاتجاه و ضمن الجوهر و المحتوى نفسه. فنحن نواجه، فى لحظتنا الراهنة، حضارة عملاقة غالبه و قاهرة هى الحضارة الغربية بكل ما فيها من منظومات تفكيرية و أنساق

معرفية، تريد اظهار جدارتها (استعلائيتها) على النماذج الحضارية المستضعفة الأخرى. في هذا السياق نتساءل: كيف يمكن لمجتمعاتنا العربية والاسلامية أن تستنهض ذاتها في ظل الخلافات السياسية و الأزمت الاجتماعية و الثقافية القهرية السائدة التي تحكم العالم من خلال ما اصطلح على تسميته «بالنظام العالمي الجديد»؟! [صفحة ٦١] ما هو الدور الهام الذي يجب أن تضطلع به ثقافتنا الاسلامية في مواجهة أزمة القيم الحادة التي بدأت تشر روائحها عبر أنظمة الاعلام و شبكات الاتصالات الحديثة التي تحاول - و قد نجحت الى حد ما في محاولتها هذه - تعميم نظام قيم غربي (عصري) يتخذ من غرائز الانسان و شهواته الدينية هدفا له في حجم الحياة كلها؟! في الواقع قدم الغرب [٩١]، في هيئته الجديدة، الى البشرية رؤية و نظرة كونية جديدة للعالم، و نمطا للحياة حديثا، و لقد ظهر ذلك على هيئة مذاهب و تيارات فلسفية و اجتماعية و اقتصادية كالليبرالية و الاشتراكية. لقد حفلت ظروف الغرب و أحواله خلال الفترة الممتدة من القرن السادس عشر حتى الثامن عشر [٩٢] بالكثير من الصور و التغيرات و المشاهد التي تستحق الوقوف عندها و التأمل بها و دراسة بعض مواقعها التاريخية: ١- تم التخلص من قيود الكنيسة الدينية و تسلطها الأرعن على حياة الناس الاجتماعية، و نتيجة ذلك بويح العقل الانساني كمصدر وحيد لتشخيص المعرفة و القيمة و الحقيقة. ٢- حل العلم التجريبي محل الدين في أذهان الناس، و بات هو الأساس في تفكيرهم و حل مشاكلهم المادية و حتى النفسية، فأصبحت اللذة و الترف المادي مصدر السعادة و المنى للانسان و هدفه الأساسي في هذه الحياة. ٣- و كنتيجة طبيعية لذلك، أصبح الله تعالى فكرة مجردة و خالية من أى معنى في أذهان الناس و حياتهم، و أصبح التمتع بالملذات الحسية و الثروات [صفحة ٦٢] المادية، من أقصاها الى أقصاها، أهم حافز و باعث للنشاط البشرى. لقد وصل الانسان الى درجة من الاعتقاد هي أنه، و بفضل جهده و اعتماده المطلق على علقه، يستطيع أن يبنى جنه أرضية فيها ما لذ طاب من الرفاه و المتع و اللذات، و من الطبيعي أن تقدم، في مثل هذه الأجواء النفسية و المادية، الاحتياجات المادية على غيرها، و أن تكون هي الأصل و غيرها الفرع، و بتعبير أدق: أن تصبح رغبات الانسان أساس الأفكار و الأخلاق و القيم في الغرب الحديث. في مثل هذا المناخ نشأت فكرة الليبرالية الغربية حيث أتاحت الظروف المادية الجديدة بروز علاقات اجتماعية حديثة كان من أمرها - على حد تعبير أحد الباحثين الغربيين - انتاج فلسفة جديدة أخذت على نفسها مهمة تحسين الدنيا الجديدة، و كانت الليبرالية هي تلك الفلسفة [٩٣]، التي تحاول الآن - جاهدة - أن يكون لها واقع حضارى فكرى و سياسى عالمى يفرض نفسه بقوة على المجتمعات الاسلامية في سياستها و ثقافتها و اقتصادها و اعلامها، بما يتعارض - كليا و جوهريا - مع الأصول و المبادئ الاعتقادية و الفكرية و القيمية الاسلامية. ان هذا التعارض و التضاد القائم ليس مشكلة بحد ذاته، لكن هناك مجموعة عناصر و عوامل جانبية تعمل على اذكاء الصراع، و تصعيد التضاد، نشير اليها كما يلي: العامل الأول: يتمتع العالم الغربى بنظام فكرى و سياسى عريق و مستحکم البنى و العلاقات - كما ذكرنا سابقا - اكتسبها عبر ممارسة تجريبية دقيقة امتدت قرونا طويلة، و تم عرضها و نقدها و اظهارها و اختبارها - بجوانبها المختلفة - من قبل مئات العلماء و المفكرين. العامل الثانى: يعرض النظام الفكرى و القيمى السياسى الغربى بطريقه يساير، من خلالها، الرغبات الأولية للبشر، أى الميول التي تجعل الانسان [صفحة ٦٣] يدافع عنها و يسعى الى تحقيقها بكل قوة و عزيمة، و بخاصة ميل الانسان بطبعه الذاتى نحو «الحرية» التي يزعم الغرب أنها أساس نظامه السياسى و الفكرى، و ما لها من هالة و سحر مقدسين عند أى انسان. و بمقابل ذلك نجد أن الفكر الاسلامى يدعو الناس الى اقامة نظام أساسه الأخلاق و الفضائل التي يحصلها الانسان بالمجاهدة و المثابرة و الكدح الارتقائى نحو الله. بناء على ذلك، فان ما يقترحه الغرب - صاحب القوة الاقتصادية و السياسية و العسكرية و الاعلامية الطاغية - يماشى رغبات و أمانى و طموحات البشر الأولى، و هنا تكمن الأزمة حيث اننا ندعو الى قيمنا و نظامنا الأخلاقى العام - الذى يقوم على الزهد و ضبط النفس و تقوية الملكات الروحية و الأخلاقية عن طريق الجهاد الأكبر (جهاد النفس) - فى ظل أجواء التحلل من الأخلاق و المبادئ و الأصول العامة، يمتلك فيها (فى تلك الأجواء) عدونا القدرة على السيطرة و التحكم بميزان القوى فى كل الأحوال [٩٤]، الأمر الذى جعلنا نعيش، حضاريا و انسانيا، على هامش الحضارة الغربية التي تريد تعميم ذاتها الحضارية على الشعوب المقهورة و المستضعفة كلها لتمارس، من خلال ذلك، غريزتها «القديمه - الجديدة» و هي غريزة

السيطرة و الاستحواذ التي تمظهرت منذ عصر الاكتشافات الكبرى في عهد البرتغال و الاسبان، و الآن تتمظهر مرة أخرى، بلباس جديد، في الامبريالية العالمية بشعاراتها الخادعة و المزيفة (رسالة الرجل الأبيض) التي دمرت [٩٥] كل الانجازات الثمينة للفكر الانساني و للروح الانسانية و للذوق الانساني، و حتى للبيئة و الطبيعة الأرضية [٩٦] من خلال [صفحة ٦٤] حروبها [٩٧] و جرائمها البشعة التي كشفت عن حقيقة تلك الشعارات و تلك القاعدة التي ترتكز عليها مصالح الغرب و شعاراتها الحضارية و الأخلاقية النفعية. نعم، ان الغرب استعماري و حاقد [٩٨] و لا يفهم بغير لغة المصلحة و المنفعة المادية، و لا مكان للأخلاق و القيم في قاموسه السياسي و الفكري، لكن المشكلة، بالدرجة الأولى، ليست في الغرب، بل عندنا نحن، لماذا؟! لأننا نحن الذين سمحنا، من خلال عقدة النقص في داخل ذاتنا و نسيجنا الحضاري الراهن، أن يمتد الغرب في كل أوضاعنا و مواقفنا. صحيح أنه (الغرب) يمتلك امكانيات و طاقات هائلة، لكنني لا أفهم أن نسمح لهم و نمضي على أوراقهم (في سياستنا و اقتصادنا) في أن يفرضوا ارادتهم على ارادتنا، أن يقهروا وجودنا و يستغلوا ثرواتنا و ينهبوا خيراتنا. [صفحة ٦٥] نحن قد نفهم أن مصالح الغرب تقضي ببناء و تشييد استثمارات اعمارية و انشائية مختلفة في بلدنا (فنادق خمس نجوم) لكنني لا يمكن أن أفهم، و لا أوافق أبدا، أن يتحمل المجتمع كل المظاهر السلبية التي تترتب على هذا العمل، لأنهم يريدون أن يجعلوا، من تلك الفنادق و الاستراحات، محطات لهو و ترف لهم. الغرب يلغى لهونا الخاص الذي يعبر عن فكرنا، يلغى موسيقانا الخاصة و أناشيدنا و شعرنا و حتى ألعاب أطفالنا، و يريد تقديم نموذجنا لنا، و ليس ذلك أن نكون مثل الغربيين و انما من أجل أن نكون أداة لاستمتاعهم أو لاستثمارهم [٩٩]، انهم يعممون نموذجهم الذي يلغى الآخر و لا يسمحون للآخر أن ينمو و يمتد من خلال ايجابيات نموذجهم بنفسه، بمقدار ما يدفعون الآخر الى الضمور من خلال سلبيات نموذجهم، و الآن يقوم هذا الغرب، مع بعض (ممثليه؟!) [١٠٠] في منطقتنا العربية و الاسلامية، بالتسويق لنعمة «قديمة - جديدة» تقول بأنه لا يمكن اللحاق بركب التقدم الغربي الا بالمحاكاة و التماهي، سواء في الحياة السياسية أو الاجتماعية أو الفكرية. و نحن نرى أن اصرار الغرب على ضرورة محاكاته (دون التماثل معه و عدم الانسياق خلفه في كل شيء) يعني أن نقلده و نبقي في حاجة ماسة له، لأنه لا يريدنا أن نحقق استقلالنا طالما أن التماثل يعني الاستقلالية، و المحاكاة تفرض التبعية و الاستلحاق، و السؤال المطروح، في ظل نمو مشاريع السيطرة الاقتصادية و السياسية [مشروع التسوية (السلام المنتظر) و سوق الشرق الأوسط و المتوسط، و ما الى ذلك] [١٠١] . [صفحة ٦٦] هو، كيف نحفظ بذاتنا الحضارية و نستعيد و تطور حقيقتنا الخاصة التي تجعلنا متمثلين و نديين - اذا صح التعبير - في سلوكنا و وعينا للآخر، في علاقات المجتمع في أنظمتها السياسية و علاقاته الاقتصادية؟! انه سؤال اشكالي مركب و ليس بسيطا، نواجهه جميعا كمتقنين و نخبة واعية و ملتزمة، تحتاج، فيما تحتاج، الى مراجعة ذاتها، و تغيير كثير من حساباتها الفكرية و العملية، خاصة و أننا نعيش حالة ضياع و غربة كاملة لأننا خسرنا المشروع التحديثي برتمته و بكل مواقعه و تفاصيله، و أفلسنا فيه بالكامل [١٠٢] ، في الحقيقة نريد أن نؤكد، بداية على أننا كمسلمين، أصحاب مشروع و أطروحة ربانية، نتطلع الى ممارسة دور حضاري فاعل في الحياة الانسانية المعاصرة، في أن نكون منفتحين على الآخر لا لافتراسه أو لاستغلاله و انما للتكامل به و معه، أن نحافظ على هذا و في الوقت نفسه نعمل على تطوير نموذجنا الخاص في الاجتماع و الاقتصاد و السياسة في ذاتنا و في العلاقة مع الآخرين، حتى مع هؤلاء الذين يحملون هذه النزعة أو الطبيعة الافتراسية الفاستية. نحن لم (و لن) نسعى - حسب و عينا لحركة الاسلام الروحي و المفاهيمي - الى الاستحواذ على الآخر و الغائه، بل الى الانفتاح عليه و التعاون معه و احترام خصوصيته الحضارية، و الشاهد الحي على ذلك هو بقاء اليهودية و كذلك المسيحية و ازدهارها في ديارنا الاسلامية، في مقابل أن الغرب التاريخي [صفحة ٦٧] المعاصر ينظر الى الاسلام نظرة الشك و الريبة و العدا، و يمارس ضده حربا سياسية و اعلامية لا هوادة فيها، ينزع فيها الى ارادة الاستحواذ و غريزة السيطرة و ليس الى ارادة المشاركة و المساهمة و التعاون. اننا و من خلال مراقبتنا و ملاحظتنا لواقع الحال العربي و الاسلامي و العالمي، نقترح - في اطار حركية الصراع و اللقاء بين الاسلام و الغرب كواقع قائم و أفق يستشرف بعض معالم مستقبل الحوار لا الصراع - نقترح بعض المبادئ العامة لاجراء أي حوار لا حق بين الاسلام و الغرب، مع تشكيكنا - مسبقا - حدوث أي حوار صادق

معه [١٠٣].

في المجال السياسي والاقتصادي

عدم استخدام القوة لفرض الارادة والرأى السياسى أو الاقتصادي، والسعى باتجاه ايجاد حلول جذرية لقضية فلسطين والقدس، و الغاء الخطاب العدائى والاستعدائى [١٠٤] - اذا صح التعبير - الذى يمارسه الغرب اعلاميا ونفسيا [صفحة ٦٨] ضد الاسلام والمسلمين [١٠٥]، و بناء شراكة عملية فى المجال الاقتصادي والاستثمارى تقوم على أساس التكافؤ والعدل والندية وتلغى التبعية والتماهى والاستلحاق.

في المجال الحضارى والثقافى

من المعروف أن الغرب يلتزم ثقافته ونمطه السلوكى الحضارى كمييار حقيقى فى أى مجال من مجالات العمل والابداع، وبذلك فهو يلغى دور الثقافات الأخرى ومنها الثقافة الاسلامية ولا يفسح لها المجال للانفتاح والتفاعل والتواصل مع الآخر [١٠٦] بثقافته ونظامه المعرفى على قاعدة التماثل، [صفحة ٦٩] ووفقا لقوانين التكامل الخاصة بحضارة وثقافة الاسلام؛ الأمر الذى يمكن أن يفتح سبلا للتعاون مختلفة - اذا ما أثمرت جهود التفاعل والتلاقح الفكرى - فى مجال تصحيح الوضع الانسانى والأخلاقى، خاصة وأن الحضارة الغربية تنطلق من جذور مادية فى ثقافتها وليس من جذور مسيحية، وذلك بالعودة الى الفطرة الانسانية النقية والطاهرة فى مسألة الايمان الدينى، فى اعادة الاعتبار للقيم الأخلاقية فى مجال الأسرة والمجتمع والاقتصاد والعلاقة مع الذات ومع الطبيعة. ولا شك أن هناك صعوبات كبيرة تقف عائقا أمام البدء بحركة حوار حضارى مع الغرب خاصة على الصعيدين التاريخى والواقعى (العصرى). فعلى الصعيد الأول (التاريخى): نلاحظ أن هناك تاريخا تصادما مروعا بيننا وبين العالم المسيحى لا سيما فى أعقاب الحروب الصليبية. حيث نشأت، بعدها، و نمت حالة من الشك وعدم الثقة بين المسيحيين والمسلمين، تحولت عبر الزمن الى ترسبات و كتل جامدة سادت الأذهان فى كلا العالمين (الاسلامى والمسيحى)، ساهم حشد كبير من المستشرقين فى تعميقها وترسيخها فى حركة الواقع آنذاك. أما المعوق الثانى (العصرى الراهن): فيتمثل - كما ذكرنا - بالاستعمار الجديد نفسه، الذى انطلقت جحافلته لتغزو العالم كله، تحقيقا لمصالحها الاقتصادية والسياسية، و لبلوغ ذلك الهدف أباحوا لأنفسهم استخدام كل السبل والوسائل والأدوات، و منها اثاره تعقيدات التاريخ فى الأذهان، ليس فقط للبقاء على الخلافات والأحقاد بين المسلمين، بل أيضا لاثارة هذه الخلافات من زوايا عدة على نطاق واسع ليتمكن المستعمرون، فى ظل الخلافات والنزاعات، من الوصول الى مصالحهم غير المشروعة [١٠٧]، و لا ننسى، و نحن نتحدث عن معوقات حوار الحضارات، أن نمر على الحرب العالمية التى تقودها دول الاستكبار العالمى - و فى مقدمتهم الولايات المتحدة الأمريكية [صفحة ٧٠] و دول أوروبا الغربية - ضد الاسلام الحركى التحررى، حيث تعمل (تلك الدول) على محاصرة معتنقيه فى مواقعهم ومواقفهم بشتى السبل، المباشرة وغير المباشرة، من أجل اضعافهم وتقييد حركتهم واسقاط مصداقيتهم، و مصادرة حرياتهم وتشويه معالم صورتهم [١٠٨] بمختلف الأساليب الاعلامية والأمنية والثقافية والدينية. ازاء هذه التحولات السريعة والمتلاحقة فى واقع الحياة المعاصرة، نساءل: كيف يجب أن يتعامل الفكر العربى والاسلامى الراهن مع هذا الواقع الموضوعى؟ وما هى آليات تطويره كى يصبح قادرا على مواكبة و مسايرة قضايا العصر؟! مما لا شك فيه أن العالم يشهد تحولات جذرية بدأت تأخذ، منذ فترة، أبعادها السياسية الواقعية، على صعيد الأسس التى تتحرك من خلالها القضايا والأمر فى مختلف الدول و خصوصا دول العالم الثالث، و منها بلداننا العربية والاسلامية. يجب أن نعترف أول الأمر أن واقعنا الحالى هو واقع الهزيمة، و أن آخر تجليات هذه الهزيمة يتجسد فى ما يفرض على الأمة من مسارات تفاوضية استسلامية مع عدوها التاريخى اللدود ضمن موازين قوى ذاتية و اقليمية و دولية تميل لصالح العدو، و ستنتهى حكما الى الاستسلام، و الاذعان لهذا العدو، لا على النحو

الذى تكون حصيلته خسارة معركة واحدة مع العدو، ثم ينتهى الأمر «و كفى الله المؤمنين القتال»، بل على النحو الذى يفتح مسارا جديدا ولا يتوقف فى تقديم التنازلات و التراجعات التى ستمكن هذا العدو من التحكم، مستقبلا، بكل موازين القوى الضامنة لاستمرار الخلل فى مشروعه، و بما يضع عقبات و عراقيل حقيقية فى مواجهة أى مشروع نهوض للأمة [١٠٩] قد ينطلق لمواجهة هذا [صفحة ٧١] المشروع و غيره من مشاريع التفتيت و الهيمنة المؤطرة بزخارف الانسانية و حقوق الانسان و الحداثه و التحضر و العصرنة و الكوننة و العولمة الخ، و طالما أننا نقر جميعا، كتيارات و نخب فكرية و سياسية متعددة المشارب و الانتماءات، بوقوع تلك الخسارة، و أننا نعيش الآن فى قلب الهزيمة الفعلية، فالسؤال المطروح هو: هل يمثل هذا الواقع الانهزامى القضاء و القدر الذى يجب أن نسلم بنتائجه و انتهى الأمر؟ أى: هل ما يجرى على الصعيد الاقليمي و الدولى من حقائق و متغيرات، و ما انتهت اليه موازين القوى السياسية الراهنة، قد أغلق علينا باب التغيير التاريخى بعد أن توزعت الأقدار على الشعوب و الأمم؟! و هل، حقا، أن هذه المصائر التى آلت اليها أمورنا و أوضاعنا قد جاءت كلها من الخارج و من دون ارادة منا، و لا يد أو مسؤولية لنا فى مآلها؟! توكد فى سياق اجابتنا، أن ما يحصل ليس قضاء و قدرا مفروضا على أمتنا، اننا نتفق على ذلك مع الجميع. و نتفق أكثر على أن الهزيمة واقع مفروض، لكن هذا الاتفاق لا يكفى وحده لأنه، و من أجل الخروج من وادى الهزيمة، لابد أن يكون لدينا قدر مشترك و ارادة واعية من الاتفاق على عناوين رئيسية تقع فى صلب الأسباب التى أدت الى الحاق الهزيمة بنا، سنختلف، منذ البداية، فى توزيع الاتهامات و القاء مسؤوليات الهزيمة على هذا الطرف أو ذاك، أكثرنا قد يحمل الأنظمة السياسية غير الشرعية القائمة و التابعة للغرب، المسؤولية عن كل هذا التفسخ السياسى و الاقتصادى و التاريخى، و بعضنا الآخر قد يلقي أسباب الخسارة أو الهزيمة على الأمة نفسها فى بنية تفكيرها و ارادة شعوبها. اننا نتحمل جميعا المسؤولية التاريخية عن واقعنا المفكك، و حتى نستطيع امتلاك الارادة القوية الواعية التى تمنحنا الفرصة الأكبر للسير فى عملية التغيير النوعى و النهوض بواقع الأمة، علينا أن نعى الحقائق الثلاث التالية: الحقيقة الأولى: يشكل الاسلام ببعديه الروحى و المفاهيمى منظومة عقائدية تشريعية، تلزم المؤمنين بها العمل فى اطار الضوابط و الموازين الشرعية الربانية، لذلك يجب فهم طبيعة المشاعر الحية للانسان المسلم، و نفسيته [صفحة ٧٢] العامة، و نسيجه العقائدى الاسلامى و تركيبته التاريخية و المعرفية، لأن المقاصد و الغايات الاصلاحية للتوير و النهوض قائمة، أساسا، فى عقيدة الأمة، و التأسيس (البناء) العملى على هذه العقيدة أكثر انسجاما مع الفطرة البشرية عموما و الهوية الحضارية و الفكرية للأمة خصوصا، و أكثر ضمانا لتشكيل الشرط الضرورى لحشد طاقات متففى الأمة و جماهيرها من أجل المساهمة فى تحمل مسؤولية العمل الاستنهاضى، و كسر حلقة التبعية التى لا تزال تدور حولها، و لا تزال تحول دون انجاز الأولويات الضرورية للتحرر و التقدم و البناء و اطلاق مواهب الابداع الأصيل و المنفتح لدى الأمة [١١٠] و التجربة الاسلامية فى ايران خير دليل على ذلك على الرغم مما تواجهه من تحديات و مخاطر ممثلة فى الاستكبار الأمريكى الذى يعمل على فرض الحرب عليها، و آخرها الحرب مع العراق التى دمرت منشآتها الحيوية و كثيرا من مشاريعها التنموية، كذلك محاولات فرض الحصار الاقتصادى و السياسى عليها فى ظروف بالغة القسوة، استفردت فيها أمريكا بزعامة العالم، و باتت القطب الأوحده المتربع على رأس السلطة العالمية - اذا صح التعبير - لكن ايران لا تزال صامدة، و هى تحاول - و نحن نعتقد أنها ستنجح فى ذلك - كسر حلقات التبعية و الاستلاب لانجاز مشروعها الاسلامى الطموح، ليس فقط لأنها تتمتع بخيرات اقتصادية وافرة، و لا لما يمتاز و يتمتع به قادتها من حنكة و دراية و مهارات سياسية فحسب، ولكن لأن النظرة العقائدية و القيمية متجذرة فى العمق الواعى للانسان المسلم هناك، و لأنها تختلف جذريا عن نظرة الخصوم ما يسمح لها ألا تدخل فى الصراع معهم على المضمار الذى يتفوقون فيه. هذا شرط لازم يحتاج الى شرط كاف ليكتمل البيان، ربما تكون توجهات الحكومة الايرانية القادمة [١١١] قد وعته تماما فى ظل [صفحة ٧٣] أجواء التحدى ورد التحدى. اذا لا يمكن للأمة الاسلامية أن تحول مخزونها الحضارى و الثقافى المتراكم الى فعل و تأثير فى واقعها المضطرب، و واقع العصر القلق الذى تعيش فيه [١١٢]، بعيدا عن التوازن النفسى و المادى الذى لا يتوفر الا ثمرة لتحقيق الحد الأدنى من هذا الكيان، أى بأن يكون كيان الأمة السياسى و التنظيمى انعكاسا و تجليا لعقيدة التوحيد التى تشكل

أساس البيان العقيدى للمسلمين [١١٣]. صحيح أن صلة الأمة عموما و المؤمنين بتلك العقيدة خصوصا قد تراخت نسبيا مع الانفتاح على الغرب و مع سيادة أنماط حياته السياسية و التربوية و التنظيمية و الادارية و الحقوقية، الا أن هذه الصلة عادت من جديد التقوى بعدما لمست جماهير الأمة كلها نتائج مسيرتهم الطويلة نسبيا فى هذا المجال، و التى أحالتهم الى مزيد من الخوف و البؤس و الشعور بالضعف و الحرمان فى الحاضر و الاحساس المتزايد بالخوف من المستقبل. الحقيقة الثانية: استكمالا لما ورود فى الحقيقة الأولى، و فى ظل الانشطار الكامل فى البنى المختلفة لمجتمعاتنا العربية و الاسلامية بين ما هو سياسى و ثقافى و مؤسسات قائمة تحكم، و بين ما هى عليه هذه المجتمعات من هوية و معايير مغايرة لواقع الحال السائد. تداعت الأزمات و راء الأزمات، و ضعفت [صفحة ٧٤] روح المبادرة و المقاومة [١١٤] و الابداع، و خاضت شعوب المنطقة حروبا متعددة، حيث دفعت، تلك النتائج، الأمة باتجاه المفصل الخطير الراهن المتمثل - كما تحدثنا سابقا - فى مسيرة التسوية المزعومة بهدف ادخال ذلك الكيان فى هيكلية المنطقة، و اعطائه المزيد من الفرص فى الهيمنة و التوسع و النفوذ عبر مشاريع اقتصادية و ثقافية و أمنية فى مقابل الغاء شبه كامل للمنطقة، و تجاهل حتى لهويتها القومية و ما تنشئه هذه الهوية من حقوق فضلا عن هويتها الاسلامية الأصيلة. فى هذه الأجواء الملبدة بالغيوم السوداء، يجب أن يتحمل المثقف العربى مسؤوليته، و يراجع تعبيراته و مشاريعه و التزاماته، فى أن لا ينهمك فى السجال و الميدان السياسى اليومى للحدث فقط، فى ما تكمن الأزمة - جوهريا - فى كيان الأمة الثقافى، اذا على المثقف أن يحول عمله و انتاجه الى قرار و سلوك و عمل و أخلاقيات تعامل، فى ممارسته لسلوكية الحوار الشامل و السجال الموضوعى فى جدية طرحه لأسئلة النهضة، يبرز - أكثر من أى وقت مضى - محتوى و مضمون الهوية الاسلامية للمنطقة بصورة أكثر فاعلية و أصالة و واقعية، و هل الهوية الاسلامية لمجتمعاتنا، فى جوهرها، سوى التطلع الدائم للبناء المستمر و المتواصل للشخصية الثقافية الاسلامية؟! الحقيقة الثالثة: علينا أن نفهم - فى اطار علاقتنا مع الآخر - أن الغرب بالنسبة لنا هو جزء من العالم، و طرف من أطراف البشرية الأكثر تطورا من الناحية التكنولوجية و الاقتصادية، و حتى الثقافية و العلمية (فى طبيعة التنظيم و النظام القائم و ليس فى البنية و المحتوى و المخزون) و هو الطرف الذى يسيطر - الى حد كبير - على مصير البشرية، ولكن هذا لا يعنى سيطرة أبدية، كما لا يعنى أن هناك فوارق و قطيعة مطلقة بين الغرب و البلدان الأخرى، فنحن جزء من عالم انسانى كبير يشهد تحولات جذرية، و الصراع القائم بين الشرق و الغرب [صفحة ٧٥] على شىء واحد هو الرأسمال الحضارى أى الثروة و التراث الحضارى المعنوى و المادى، و التحدى الحقيقى الذى يواجهنا: هو كيف يمكن لنا أن نسيطر على وسائل هذه الحضارة، و نستوعبها، حتى يكون لنا مكان الى جانب الغرب، لا خاضعين له و لا مسيطرين عليه، و انما نعيش الى جانبه، و أن ننجح بالسيطرة على التكنولوجيا، و أن نكون فاعلين و مبدعين و مساهمين أيضا فى انتاج و صنع هذه الحضارة. كشركاء غير متساوين فى اطار أو بعد أو دائرة حضارية واحدة. [صفحة ٧٦]

الحياة السياسية للامام الكاظم

اشاره

تعد دراسة الجانب السياسى من حياة أية شخصية تاريخية، لها و زنها و ثقلها الروحى و المفاهيمى، من أهم المداغل و المقدمات اللازمة لفهم و عيها و أصول تفكيرها و تحليلها للواقع الذى عايشته بكل أبعاده و امتدادته، خصوصا اذا اتسم ذلك الواقع بالتنوع و التلون فى أدوار و مواقف أحداثه و معطياته الفكرية و السياسية، و هذه هى الصفة العامة التى غلبت على المرحلة التى عاصرها الامام موسى بن جعفر الذى حفلت حياته عليه السلام بمواقف و رؤى سياسيه و فكرية هامة أعطتنا صورة عملية واقعية عن الطرق و السبل السياسية التى سار عليها فى اطار حركته الدعوية السياسية و العملية التى كانت تريد اعادة الأمة على طريق التوازن و الاعتدال على مستوى ممارستها لدورها الحضارى الطبيعى فى الحياة الانسانية. و لعلنا لا نغالى اذا ما قلنا بأن هناك تأثيرا سياسيا واضحا لامانا

الكاظم عليه السلام في مسيرة عصره في مشاركته الفاعلة في ضبط معايير التحرك السياسي (الخاص و العام)، و أبرز دليل يساق في هذا المضممار - على صعيد وجود مهام و ممارسات سياسية هادفة و واعية في شخصية الكاظم عليه السلام - هو في انزعاج السلاطين و الحكام الذين عاصروه حتى من مجرد وجود حركة علمية و تبليغية دينية مارسها امامنا عليه السلام، و اندفاع هؤلاء الحكام في اتجاه تهديده [صفحة ٧٧] بالقتل و توعده بالتعذيب [١١٥] في البداية، ثم تنفيذ ذلك المخطط - بعد تلك الفترة - حتى قضى عليه السلام معظم حياته الشريفة منتقلا من سجن الى آخر. ان القلق و التوتر النفسى و السلوكى الذى عاشته الدولة العباسية على اختلاف زعمائها و ملوكها و جسده عمليا، من خلال ملاحقة الامام عليه السلام و سجنه و تعذيبه و ايدائه حتى مات شهيدا في أحد سجونها، لا يصلح أن يفسر في اطار و عيها لخطورة حركة الكاظم عليه السلام و جاذبيته الفكرية و النفسية و السلوكية الحركية التى شخصها، أولئك الحكام، على أنها ثورة سياسية، روحية و عقائدية، على الرغم من أن الامام الكاظم لم يكن، أصلا، فى صدد القيام بثورة سياسية، لكنهم شعروا بالخطر المحدق بهم، الذى يهدد مصالحهم و استئثارهم بالسلطة، فلاحقوه و اعتقلوه و سجنوه و من ثم قتلوه. [صفحة ٧٨]

معاصرته لنهاية الدولة الأموية

أدرك الامام موسى عليه السلام من حياة أبيه عشرين عاما، شاهد فيها (خاصة فى سن طفولته) ما لحق بآله من ظلم و اضطهاد و قتل و تشريد. لقد قضى عليه السلام السنوات الأولى من حياته الشريفة تحت ظل الحكم الأموى فكان شاهدا، و هو طفل، على المآسى و الظلم و الدمار الذى ألحقه بنو أمية بواقع المجتمع الاسلامى، و ذلك عبر اشاعتهم للفوضى الفكرية و الاجتماعية و بث روح العبث و اللامبالاة بين الناس بتغذية الصراع العرقى القبلى كأسلوب دنىء يصرف النظر عن مواقع الخلل، و يشغل الناس عما يعانونه من الظلم و الويلات، من خلال وسائل عديدة أهمها: ١- استخدام و عاظ السلاطين من المتقدمين المزيين المتجلببين بعباءة الدين و لباس التقوى و عمامة المهنة لا الرسالة [١١٦]، و تسليط و لاء الجور من المجرمين و الارهابيين المشهورين فى تاريخنا الاسلامى على رقاب الناس كالحجاج بن يوسف الثقفى [١١٧]، المشهور بقساوته و الحاده و كفره و ضلاله و كثرة الدماء البشرية البريئة التى سالت بين يديه و أيدى جلاوزته و أعوانه. ٢- حمل الناس على مناهضة أهل البيت و اعلان بغضهم و عداواتهم و سبهم على المنابر الرسمية و الدينية. [صفحة ٧٩] ٣- نهب ثروات و خيرات البلاد و السيطرة على مقدرات الأمة و بالتالى اشاعة الفقر و الحرمان بين الناس [١١٨]. ٤- تحكيم المزاجية الذاتية فى ممارسة طقوس السلطة و ادارة الحكم [١١٩]، و الاستهتار بالقيم و المبادئ العليا. اذا، عين الامام الكاظم عليه السلام - و هو لا يزال فى مراحل نشأته و تكون شخصيته الأولى مع أبيه الصادق عليه السلام - صنوفا من الجور و الظلم و الضغط و القسر النفسى و السلوكى، ساهمت فى تكوين موقفه العملى الرافض لسلطة الظلم و الاستعباد التى اتبعها حكام «الأمويون» [١٢٠] و من بعدهم فراغنة العباسيين. [صفحة ٨٠]

الكاظم و عهد العباسيين

إشارة

ذكرنا فى المبحث السابق، أن الكاظم عليه السلام قضى عقدين من الزمن بصحبة والده الامام الصادق عليه السلام [١٢١]، و قد حدث - خلال هذه الفترة الزمنية غير القصيرة - انتقال غير سلمى للسلطة السياسية و زعامة الدولة من الأمويين الى العباسيين، و هنا نسأل: كيف كانت حالة الأمة و المجتمع الاسلامى تحت ظل الدولة العباسية، و فى أى اتجاه سارت أمور العباد و أحوال البلاد ابان هذا العهد؟. اتجهت أنظار المسلمين، بعد سقوط الدولة الأموية، الى مخلص جديد، فوقف الأبصار و العقول على الأشراف العلويين

[١٢٢] الذين لم يطبقوا الصبر على الظلم و الطغيان (حيث كانوا يخرجون بين الحين و الآخر فرارا بدمائهم و دفاعا عن المعذيين و المستضعفين) و تجرع مرارة تلك الأحداث القاسية التي قضت على الكثيرين منهم [١٢٣] و منها مصادرة أموالهم و التنكيل [صفحہ ٨١] بهم [١٢٤] و قطع رؤوسهم [١٢٥] و وضعها في اسطوانات مجوفة [١٢٦]. لقد جهد الخلفاء العباسيون في تدعيم سلطانهم [١٢٧] بأى شكل كان و مهما كانت الوسيلة الى ذلك، فقاموا بنهب ثروات المجتمع و مقدرات الأمة، الأمر الذى أدى الى ركود الحالة العامة فى المجتمع، و اغلاق المنافذ أمام أحداث أى [صفحہ ٨٢] تطور أو تقدم فى الحالة الاجتماعية و الاقتصادية [١٢٨]، و عدم تحقيق و نشر الراحة و السعة و الرخاء بين الناس على الرغم من تكديس الأموال فى بيت المال، بل عمت المجاعة و انتشرت الفاقة و العوز [١٢٩] فى جميع الأرجاء، و قويت شوكة النزعة الاستبدادية و التسلطية لدى حكام ذلك العصر [١٣٠] و مالوا الى الغدر و الخيانة و عدم الخضوع للقانون [١٣١]. فى ظل هذه الأجواء الضاغطة نفسيا و سياسيا، تحرك الامام الكاظم بكل وعى و حذر، حيث استقبل عليه السلام امامته - التي استمرت خمسة و ثلاثين عاما - فى هذا الجو المشحون بالحقد و الكراهية لأهل البيت، ولزم جانب الحيطة و الحذر، و اعتصم بالكتمان الا عن الخاصة الذين كانوا يقدرون حراجه الموقف و دقته، و يعرفون كيف يدعون اليه، لكن كانت هناك بعض الأحداث التي احتاجت الى مواقف حاسمة كان لا بد فيها من الافصاح عن حقائق الأمور و اظهارها للملأ، و بخاصة فى ما يتعلق برفض اعطاء الحكم العباسى شرعية الانتماء، و ذلك على صعيد قضية الخلافة و قيادة الأمة. و هذا ما نلاحظه فى عدم قبول الامام الكاظم عليه السلام لشرعية الوضع السياسى الخاص و العام (لزعماء؟) عصره و منهم هارون (الرشيد؟)، و ننقل هنا احتجاجه عليه السلام مع هارون و هو فى مرقد النبى صلى الله عليه وآله و سلم أمام حشد غفير من الأشراف و قادة الجيش و كبار الموظفين فى الدولة، لبنين، من خلاله، موقفه الفكرى و السياسى العلنى و الصريح من السلطان الجائر، و احتجاجه عليه بأنه أحق بالخلافة من غيره و أولى بها من جميع المسلمين. [صفحہ ٨٣] اذ أقبل هارون بوجهه على الضريح المقدس و سلم بقوله: «السالم عليك يا ابن العم» معتزا و مفتخرا على غيره بصلته من النبى صلى الله عليه وآله و سلم و أنه نال الخلافة لقربه من الرسول صلى الله عليه وآله و سلم، و كان الامام - آنذاك - حاضرا فسلم على النبى صلى الله عليه وآله و سلم قائلا: «السالم عليك يا أبت». ففقد الرشيد صوابه، و استولت عليه موجات من الاستياء، حيث قد سبقه الامام الى ذلك المجد و الفخر، فقال له بنبرات تقطر غضبا و حقدًا: «لم قلت انك أقرب الى رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم منا؟» أجاب عليه السلام برد مفحم قائلا: «لم بعث رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم حيا و خطب منك كريمةك هل كنت تجيبه الى ذلك؟» فقال هارون: سبحان الله و كنت أفتخر بذلك على العرب و العجم، فانبرى الامام عليه السلام قائلا: «لكنه لا يخطب منى و لا أزوجه لأنه و الدنا لا والدكم فلذلك نحن أقرب اليه منكم» [١٣٢] و اضطر هارون بعدما أعياه الدليل الى منطق العجز، فأمر باعتقال الامام عليه السلام و زوجه فى السجن [١٣٣]. [صفحہ ٨٤]

موقفه المبدئى من حكام الجور و زعماء (الملك العضوض)

اشاره

عاصر الامام موسى بن جعفر عدة خلفاء عباسيين، فقد عايش عليه السلام أربع سنوات و نصف السنة من عهد عبدالله بن محمد بن على الملقب بالسفاح، و بقى تسع سنوات و أشهرها فى عهد المنصور الدوانيقى حيث كانت وفاة الامام الصادق عليه السلام، و عاش بعد أبيه خمسة و ثلاثين عاما مدة امامته قضى منها مع المنصور، بعد أبيه، نحوا من عشر سنوات، و مع ولده محمد الملقب بالمهدى عشر سنين، و مع ولده موسى الهادى سنة واحدة، و مع أخيه هارون نحوا من خمسة عشر عاما. و سنستعرض هنا، بشىء من التفصيل، بعض مواقفه الثابتة من أولئك الحكام، و رؤيته الفكرية و السياسية للنهج السياسى و الاجتماعى الذى اتبعوه و ساروا عليه فى ادارتهم لشؤون الدولة و المجتمع.

في عهد المنصور الدوانيقي

تؤكد المرويات الكثيرة [١٣٤] أن الامام موسى عليه السلام تعرض، هو و أصحابه و شيعته، خلال الفترة التي أعقبت وفاة أبيه الصادق عليه السلام الى رقابة شديدة من قبل الحكام [١٣٥]، لكن يبدو، من خلال تتبع المراحل التاريخية التي مر بها في [صفحة ٨٥] عهد المنصور، أنه لم يلتق معه و لم يطلب حضوره اليه في بغداد كما كان يستدعى والده، ويتهدده بالنفى و القتل، و لم يتعرض عليه السلام في عهده (عهد المنصور) للحبس أو القمع بالدرجة التي تعرض لها في عهود أولاده و أحفاده، في حين أنه كان (المنصور) أشد ابداء و تعذبا و فتكا بالعلويين و شيعة أهل البيت عليهم السلام في عهد الصادق عليه السلام، و لعل من أكثر الحوادث دلالة على سوء سريرته و خبث نواياه و حقهده على البيت العلوي و كل من يتصل به بالولاء و الانتماء، حديث الخزائن المشهور [١٣٦] التي سلم مفاتيحها الى (ريطة) زوجة ابنه (المهدى) و أوصاها بأن لا تفتحها الا بعد وفاته و بحضور خليفته، و في الخزائن أكثر من مائة قتيل من العلويين و الى جانب كل قتيل رقعة باسمه و نسبه، و لم تكن تعلم بذلك لا هي و لا زوجها و لا أحد من الناس، و ظنت و هو يوصيها و يؤكد عليها بالكتمان و عدم فتحها الا بعد وفاته، أن فيها من الأموال و المجوهرات و التحف ما لا يمكن تقديره بثمن [١٣٧]، و المنصور هذا هو الذي كان يضع العلويين في الاسطوانات و يسمرهم في الحيطان - كما نص على ذلك يعقوبي و غيره - و يتركهم يموتون في المطبق جوعا، و تقتلهم الروائح الكريهة، حتى لم يكن لهم مكان يخرجون اليه لازالة الضرورة، و كان يموت أحدهم، فيترك معهم حتى يبلى من غير دفن، ثم يهدم المطبق على من تبقى منهم حيا و هم في أغلالهم [١٣٨]. [صفحة ٨٦] ازاء هذا الوضع المعقد و الظرف الدقيق، كيف تصرف الامام الكاظم؟ و ما هو موقفه و فعله؟ و من ثم ما هو الدور السياسي العام الذي لعبه في المجتمع الاسلامي على صعيد ضرورة تحصينه و توعيته و صيانتة من العبث و الانحراف خاصة بعد سقوط التجربة الصحيحة؟! في الواقع، كان الامام واعيا و مقدرًا للظروف السياسية القاسية التي كانت تحيط به، و تضغط على وجوده و وجود أصحابه و المقربين منه في ذلك العهد، لذلك اعتصم في بيته و انكمش حتى عن شيعته و لم يظهر الا-للخواص منهم، ضمن حدود معينة، و كانوا اذا اطمأنوا الى شخص و أدخلوه عليه يوصيه بالكتمان الشديد و يخدره من العواقب الوخيمة التي قد تنجم جراء الاعلان عنه [١٣٩]، مما يوحي بأن المنصور كان، في تلك الفترة، يتحرى بكل وسائله، و من الجائز أنه كان لا يستطيع الاهتداء اليه أو معرفته مكانه بتلك السهولة، و حتى لو عرفه و أيقن بأنه الخليفة الشرعي لأبيه [١٤٠]، فما دام معتزلا الناس و منقطعًا عنهم فلا يضره ذلك و لا يراه خطيرا على عرشه [١٤١]، اذا كان الامام موسى عليه السلام، كما يتضح من تاريخ عهده الأول، منكمشا حتى عن أصحابه، و قد اكتفى المنصور بمحاربتة - من خلال اعتماده أساليب و وسائل عديدة [١٤٢]. [صفحة ٨٧] من حبسه و التنكيل به، لقد كان عليه السلام يريد من انكماشه و ابتعاده عن الواقع، نسيبا، أن يحافظ على فكر و نهج أهل البيت عليهم السلام من الاغتيال الثقافي و السياسي، خصوصا و أن المنصور (و غيره من فراعنة العباسيين) كانوا جادين تماما في محق آثار و معارف آل البيت عليهم السلام و اجتثاث جذورهم الفكرية و الحضارية القابعة في ذهنية الأمة و في وعي و روحية أبنائها [١٤٣]، لذلك كان الأمر الأول بالنسبة اليه هو في الحفاظ الكامل على تراث و أطروحة أهل البيت عليهم السلام، من خلال السعي باتجاه مواقع أكثر سلامة للأفراد و الأشخاص الحاملين لتلك المعارف و الثقافة، لأن الواقع ملبد بالغيوم السوداء و لا يحتمل أية دعوة فكرية أو سياسية، بل المطلوب أولا حماية المفردات الرئيسية للدعوة و التجربة الحقيقية. و لعلنا نستوحى من هذا الموقف الذي اتخذه الامام الكاظم في السنين الأولى من امامته - التي كانت فيها مساحة العمل و الحركة ضيقة و حتى مسدودة في كثير من الحالات - نستوحى منه ضرورة دراسة الواقع الذي يعيشه العمل الاسلامي السياسي فيما هي الحركة، و فيما هو الرد، و فيما هي المرحلة، و ذلك للتعرف على المساحة الحرة، التي يملك فيها الخط الاسلامي حرية الحركة فيها، فقد تكون المساحة - كما ذكرنا - ضيقة المستوى بحيث لا يكون هناك أي مجال فيها الا للثقافة و العبادة و التربية، و في هذه الحال، لا بد من توفير كل الوسائل الثقافية و الروحية و التربوية، و الاستغراق فيها من أجل تكوين قاعدة اسلامية قوية من حيث الوعي الفكري و الصفاء الروحي و التوازن التربوي، للبدء بعد ذلك بمرحلة جديدة، للانطلاق في العمل السياسي، بعد

استكمال شروطه الموضوعية، فيما يمكن أن يكون حقيقة في توسيع القاعدة، و تحرير الساحة في حدودها الضيقة. [صفحة ٨٨]

في عهد المهدي

بقى الامام الكاظم طيلة حكم الخليفة المهدي تحت الرقابة الصارمة، من قبل أجهزة النظام الحاكم، و قد قام باستدعائه عليه السلام الى بغداد أكثر من مرة [١٤٤] و هو حاقد عليه، فحبسه و أساء معاملته ثم قام باطلاق سراحه لرؤية رآها [١٤٥]، جاء في تذكرة الخواص لابن الجوزي: أن أهل الشعر قالوا: لقد كان مقام موسى بن جعفر بالمدينة فاستدعاه المهدي الى بغداد و حبسه بها ثم رده الى المدينة لطيف رآه. و مضى يقول: و روى الخطيب في تاريخ بغداد عن الفضل بن الربيع عن أبيه أنه قال: لما حبس المهدي موسى بن جعفر رأى، في بعض الليالي، على بن أبي طالب عليه السلام في نومه، فقال له: يا محمد (فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا في الأرض و تقطعوا أرحامكم)، [محمد: ٢٢] قال الربيع: فأرسل الى المهدي ليلا- فراعني ذلك مجيئه، و اذا هو يقرأ الآية، و كان أحسن الناس صوتا، فقال لي: على بموسى بن جعفر، فلما جئته به قام اليه و عانقه و أجلسه الى جانبه و قال: يا أباالحسن رأيت الساعة امير المؤمنين و هو يقرأ على هذه الآية، أفؤمئني أن لا تخرج على و لا على أحد من ولدي، فقال: و الله ما فعلت ذلك أبدا و لا هو من شيمتي، فقال: صدقت، ثم قال: يا ربيع أعطه ثلاثة آلاف دينار و رده الى أهله، قال الربيع: فأحكمت أمره ليلا فما أصبح الا و هو في الطريق الى المدينة مخافة العوائق. [صفحة ٨٩]

في عهد الهادي

لم يمارس هذا الخليفة - على حسب ما وقع بين أيدينا من مصادر تاريخية - أي نوع من الضغوط أو الاساءة الى الامام الكاظم عليه السلام، و لم يحدثنا التاريخ أنه قد استدعاه الى بغداد على الرغم من اتصافه بالقسوة و الشدة [١٤٦]، و لعل المدة الزمنية القصيرة التي قضاها الهادي على كرسى الخلافة العباسية لم تسمح له بممارسة أساليب جده و أبيه مع الامام عليه السلام.

في عهد هارون (الملقب بالرشيد؟)

اشاره

لقد كانت السنوات التي مرت على الامام الكاظم عليه السلام، و على شيعته [١٤٧]، تحت ظل حكم هارون الرشيد من أسوأ و أظف المراحل التاريخية التي قضاها في حياته، فقد كانت المهمة الأولى لجهاز الحكم (الرشيدى) تكمن في المراقبة المستمرة للامام، خوفا منه و من مجرد وجوده في الحياة، و هذا ما صرح به هارون - بشكل غير مباشر - عندما كان يعتقل الامام و يحضره الى مجلسه، حتى أن الامام قد سأله، أكثر من مرة، عن سبب اعتقاله و سجنه، و هو لما يفعل شيئا [صفحة ٩٠] يسىء الى الدولة و لم يهدد أمن المجتمع و استقراره، فلماذا الحبس و الاعتقال؟. أما جواب هارون فكان السكوت، لأنه لا يملك أى دليل ضده. نحن لا نستغرب هذا الأمر اطلاقا عندما نقرأ عن هارون الرشيد [١٤٨] أنه كان مستعدا لقتل نجله من أجل الملك و الخلافة، جاء في رواية [١٤٩]: أن المأمون (ولد هارون) استغرب تكرار عمليات استدعاء الامام الى بغداد و حبسه ثم اطلاق سراحه فسأل والده الرشيد، بعد أن انفرد به، عن سبب تقديره و اجلاله للكاظم عليه السلام، على الرغم من حبسه له أكثر من مرة، فقال له هارون: يا بني أنه صاحب الحق. فقال له المأمون: اذا كنت تعلم ذلك فرد عليه حقه، فقال: «انه الملك، و الله لو نازعتني فيه لأخذت الذى فيه عيناك» [١٥٠]. [صفحة ٩١]

تنقل الامام الكاظم فى السجون العباسية واحدا تلو الآخر، و لم يبق فى سجن واحد، لقد كان الحاكم يأمر بنقله من سجن لآخر، و ذلك لأنهم عندما كانوا يضعونه فى أحد السجون يرون، بعد مضى فترة زمنية قصيرة، أن السجنين و عمال السجن قد أصبحوا من

عشاقه و محبيه عليه السلام، يقبلون عليه و يتباركون به. و روى فى هذا المجال الشىء الكثير، نذكر من ذلك أنه أخذ عليه السلام ذات مرة الى سجن و كان و الى البصرة عيسى بن جعفر بن أبى جعفر المنصور (حفيد المنصور الدوانيقي)، و كان معروفا بحبه للشراب و الرقص و الغناء، أى أنه كان من أهل الفسق و الفجور، حول امامنا الكاظم اليه، و على حد قول أحدهم: جاؤوا برجل عابد يعرف الله و يخشاه الى مكان يسمع فيه أشياء لم يسمعها فى حياته، جاؤوا بالامام الى سجن البصرة فى (٧) ذى الحجة من سنة (١٧٨) للهجرة، و كان عيد الأضحى على الأبواب فكانت أيام احتفالات و سرور، أخذ عليه السلام بشكل مهين (معنويا) و بقى مدة فى السجن، و رويدها رويدها بدأ عيسى بن جعفر (الرجل العايب و اللاهى) يتعلق بالامام عليه السلام و صار يقبل عليه، كان عيسى يظن أن موسى بن جعفر عليه السلام هو واقعا - كما بلغ جهاز الحكم ضده - رجل متمرد و خارج على القانون، لا شغل له الا ادعاء الخلافة أى أن حب الرئاسة ملاً رأسه، فرأى عكس ذلك، رآه رجل الروحانية و التقوى [صفحة ٩٢] و العبادة، و ان كان يطرح مسألة الخلافة فلجبتها المعنوية لا لأجل أنه رجل طالب دنيا، هنا تغيرت أوضاع الامام حيث أمر عيسى أن يجعل تحت تصرف الامام عليه السلام غرفة ممتازة و أعلن رسميا عن ضيافته الامام عليه السلام، فأرسل هارون رسالة سرية أن حطم مكر هذا السجين، فأرسل اليه: أننى لن أفعل، و أخيرا كتب للخليفة أن أعط امرأ بنقله من عندى، و الا فأننى سأحرره بنفسى فأننى لا أستطيع حفظ هذا الرجل عندى كسجين، و حيث انه كان ابن عم الخليفة و حفيد المنصور فكلامه مسموع [١٥١]. يتضح - من سياق تلك الرواية، و مثيلاتها من الروايات حول الموضوع نفسه [١٥٢] - خوف و فزع الحاكم من جاذبية الكاظم عليه السلام، و قوة تأثيره، و انشداد الناس اليه، حتى أصبح عليه السلام، خلال ذلك العهد، حديث العدو و الصديق الأمر الذى رأى فيه الحاكم وضعاً مقلقا و خطيرا يهدد ملكه و زعامته بيته. انها، و لا شك، الهيمنة المعنوية الارادية، و النفوذ النفسى الكبير الذى تمتع به الامام الكاظم و غيره من أئمة أهل البيت عليهم السلام، لقد كان ذلك سلاحهم الوحيد، فى وقت لم يمتلكوا فيه سلاحا و لا-اعلاما و لا مركز قوة لكنهم ملكوا القلوب و العقول حتى كان، من بين أقرب الناس الى هارون، شيعته [١٥٣]، لقد كان هارون يخشى الى درجة الفزع و الرعب [١٥٤]، جاذبية دعوة الحق و الحقيقة [صفحة ٩٣] الموجودة بوجود الامام الكاظم عليه السلام، دعوة العمل و السلوك، فالتبليغ الرسالى لا يتحرك دائما بالكلام و الأقوال و التصريحات فقط. بل أيضا بالعمل المنظم و المدروس و الهادف. لقد كان كل من يلتقى الامام موسى بن جعفر عليه السلام أو أحد آباءه أو أبنائه الكرام الطاهرين و يبقى معهم مدة فانه تتجلى له الحقيقة فى وجودهم عليهم السلام و يرى أنهم يعرفون الله معرفة واقعية و يخشونه خشية واقعية، و أنهم، فى الواقع، محبوبو الله، و ما يعملونه فانما هو لأجل الله و الحقيقة [١٥٥]. فى اطار مواجهة هذا الوضع المضطرب المليء بالفوضى و المواقف الضاغطة و الوقائع القسرية و الاكراهية، اتخذ امامنا الكاظم عليه السلام موقفا سلبيا تجاه الحكم القائم، ظهر جليا فى بعض أخباره و أحاديثه، فقد دخل الامام عليه السلام على هارون فى بعض قصوره المشيدة الجميلة التى لم ير مثلها فى بغداد و لا فى غيرها، فانبرى اليه هارون و قد أسكرته نشوة الحكم قائلا [١٥٦]: ما هذه الدار؟ فأجابته الامام غير مكترث بسلطانه و جبروته قائلا له: «هذه دار الفاسقين»، قال الله تعالى: (سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق، و ان يروا كل آية لا يؤمنوا بها و ان يروا سبيل الرشدا لا يتخذوه سبيلا و ان يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا)، [الأعراف: ١٤٦] و مشى الرعدة فى جسم هارون و استولت عليه موجة من الاستياء فقال للامام: دار من هى؟ - «هى لشيعتنا فترة و لغيرهم فتنة». - ما بال صاحب الدار لا يأخذها. - «أخذت منه عامرة و لا يأخذها الا معمورة». [صفحة ٩٤] - أين شيعتك؟ - فتلا الامام عليه السلام قوله تعالى: (ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا و أحلوا قومهم دار البوار) [ابراهيم: ٢٨]. و هكذا فقد كان الامام يرى هارون غاصبا لمنصب الخلافة و الحكم و السلطة، و مختلسا للأموال، و معتديا على ثروة الناس، مما أثار غضب هارون عليه و أغلظ فى كلامه على الامام عليه السلام، بعد أن سمعه يتحداه بموقف لا هوادة فيه.

عندما خطط هارون لجعل ولاية العهد و خلافة الدولة وراثية لولده الأمين و من ثم المأمون، و من بعدهما للمؤمن، كان يفكر، بينه و بين أعوانه، عن أهم العقبات التي يمكن أن تظهر في وجه تحقيق هذه الرغبة، و تساءل عن المانع من تنفيذ تلك الخطة، و يبدو أنه لم يطل في تفكيره طويلا حتى قاده شهوة السيطرة و الملك الى اعتبار [١٥٧] الامام موسى بن جعفر عليه السلام هو المانع، فأعطى أمرا باعتقاله فور وصوله الى المدينة، و قد كان يحيى البرمكي قال لبعضهم: أعتقد أن الخليفة سيأمر، خلال اليوم و الغد، باعتقال موسى بن جعفر، قال: كيف؟ قال: كنت في رفقة عندما ذهبنا لزيارة الرسول في مسجد النبي، و عندما سلم [صفحة ٩٥] على النبي بقوله: السلام عليك يا ابن العم يا رسول الله، قال: «أعذر اليك [١٥٨] فأنا مضطر لتوقيف ابنك موسى بن جعفر، فان المصالح تقتضي ذلك، و ان لم أفعل تكن فتنة في بلادي، فلمنع هذه الفتنة، و لأجل مصالح البلاد العليا [١٥٩]، اضطر للقيام بهذا العمل، يا رسول الله أعذر اليك» [١٦٠].

من معالم و اتجاهات الفكر السياسي الاسلامي عند الامام الكاظم

اشاره

نجد من خلال استقراءنا لمسار الحركة التاريخية في ذلك العهد، أن هناك ظروفًا موضوعية، ذات ثوابت كمية و كيفية، حكمت التوجه السياسي العام عند امامنا الكاظم عليه السلام، و أثرت على مجمل تحركه السياسي (على الرغم من أنه لم يتحرك سياسيا بالمفهوم الذاتي للكلمة، كمدلول سياسي ثوري بالمعنى الواقعي) في خط الدعوة الى بناء الوعي الاسلامي المتيقظ و الملتزم. فهو عليه السلام لم يدخل اطلاقا الى مستنقع الخلافات و الخصومات و النزاعات الذاتية في دائرة المعترك السياسي و الأمني مع أولئك المجرمين، بالرغم من أن السلطات الحاكمة كانت تعتبره الخطر الأكبر على مصالحها و منافعها، طبعًا عدم دخوله الى ذلك الواقع لا يعني، بحال من الأحوال، أنه كان ضد ممارسة السياسة و الحكم، أو أنه عليه السلام قد اعتزل النشاط السياسي بوعي و تسليم و خضوع لسلطة (الحكم) الآخر، بل كان يقف، ضد ذلك، آتيا [صفحة ٩٦] و وقتيا، أي تحت ظل ذلك العهد البائد الظالم فقط، فالظروف الضاغطة العامة، كما أسلفنا، اقتضت التوقف عن الدعوة سياسيا بالمعنى الواقعي للكلمة، لذلك كان عليه السلام يرى ضرورة ملحة في البدء بعملية دعوة تبليغية صامتة «التقية السياسية» [١٦١] ذات بعد داخلي و خارجي، لأنها تشكل أقرب الطرق و أيسرها للوصول الى عملية تغيير الواقع القائم، و قربها من استلام زمام الحكم و ممارسة العمل السياسي و لو بعد فترة طويلة، انها مرحلة التخطيط لبناء التصورات الأولى للكتلة الملتزمة، و لتربية سلوكها و تنمية وعيها و حمايتها وجودها و توسيع قاعدتها الشعبية، و بالتالي اعطائها اطارها العام و معالمها و خصائصها الفكرية و الاجتماعية في كل الواقع الاسلامي، و هذا ما حدث فعلا، فالبرغم من حالة التضييق و الحصار و فرض الإقامة الجبرية، بدأ الكاظم - كما يؤكد الرواة - حملة علمية واسعة [١٦٢]، و اتسعت شهرته في الحجاز و العراق و جميع المناطق، و قصده العلماء و طلاب العلم، و رجع الى القول بامامته أولئك الذين انحرفوا عنه بالأمس، و التف حوله الشيعة يجوبون خمس أموالهم و زكاتهم، كل ذلك من أجل السعي - كما ذكرنا - لبناء المعالم الفكرية و الاجتماعية للقاعدة الشيعية المنتمية الى أهل البيت عليهم السلام. [صفحة ٩٧]

نموذج من أسلوب و عمل الكاظم في الخط الاصلاحى والتغييرى

اشاره

نقصد به التصورات و المفاهيم الموضوعية لمجموعة النشاطات و مجالات العمل الروحية و الفكرية التي باشر بتنفيذها امامنا الكاظم

في اطار الحياة الاسلاميه، في الاتجاه الذي ينقل الناس من مستوى المتغيرات الذاتية المتحركة في الخط المضاد للاسلام، الى مستوى الثواب الموضوعية المتحركة في خط تغيير مفاهيم الناس و أفكارهم تغييرا جذريا في ضوء معايير و قيم الاسلام و مفاهيمه العامة. في هذا النسق، كان عمل الامام عليه السلام يتحرك في مسارين أحدهما سرى و الأخرى علنى:

العمل السرى

في اطار العمل السرى [١٦٣] المنظم و المحدد بدقة من قبل الامام نفسه، سلكت مقاومته عليه السلام، للأوضاع القائمة، الطريقة السليمة التي تمحورت حول تحريم التعاون مع السلطة القائمة، و ضرورة مقاطعة الحاكم الظالم و التبرم منه و تجنب أية معاملته معه على أى صعيد أو مستوى، و قد ظهر هذا الموقف جليا [صفحة ٩٨] فى حوار [١٦٤] عليه السلام مع أحد أصحابه (صفوان)، عندما قال له الامام عليه السلام: «يا صفوان، كل شىء منك حسن جميل ما عدا شيئا واحدا». - جعلت فداك أى شىء؟. - كراؤك جمالك من هذه الطاغية - يعنى هارون - . - و الله ما أكرهته أشرا، و لا بطرا، و لا للصيد و لا للهو ولكن أكرهته لهذا الطريق - يعنى طريق مكة - و لا أتولاه بنفسى، ولكن أبعث معه غلمانى. - فقال له الامام عليه السلام: يا صفوان، أيقع كراك عليهم؟. - نعم جعلت فداك. أتحب بقاءهم حتى يخرج كراك؟. - نعم فقال عليه السلام: «من أحب بقاءهم فهو منهم، و من كان منهم كان واردا للنار» بعد ذلك قام صفوان ببيع جماله دفعة واحدة، و تخلى عن هذا العمل ثم ذهب الى الذى عقد معه عقد الاجارة على الجمال لهارون، و قال له: انى أفسخ العقد لأننى لا أريد أن أقوم بهذا العمل بعد الآن، و حاول أن يأتى بأعذار شتى، وصل الخبر الى هارون فطلبه، و عندما حضر سأله: ما الأمر، قال: قد عجزت و لم يعد هذا العمل ملائما لى فرأيت أن أختار عملا غيره، طبعا هارون كان قد علم بحقيقة الخبر مسبقا، فقال له: أصدقنى الخبر لماذا بعث؟ قال: ما قلته هو الصدق، قال: لا، أنا أعلم ما القضية، علم موسى بن جعفر أنك أجزتني و قال لك: هذا خلاف الشائع - لا تنكر - و أقسم بالله لو لا ما لدينا من سوابق كثيرة خلال هذه السنين الطويلة مع عائلتك لأمرت أن تعدم ها هنا. نستنتج من خلال الحديث الذى دار بين الامام عليه السلام و صفوان الجمال أنه عليه السلام كان يؤكد حقه فى الحكم، و يعمل على صيانة و رعاية أصحابه و قواعده من الاندماج فى الوضع الظالم و الفاسد، و الاشراف عليهم مباشرة، [صفحة ٩٩] و التخطيط لسلوكهم و انضاج و عيهم و امدادهم بكل أساليب الصمود، و الارتفاع بهم الى مستوى الطليعة الواعية المتفهمه لدورها و رسالتها [١٦٥]، و بذلك نفهم أن المعارضة السليمة التى قام بها امامنا الكاظم عليه السلام كانت تختزن، فى جوهرها، قيمة ايجابية اذ أنها عكست الوجه المشرق و النقى للرسالة، فى الوقت الذى كانت الممارسات المنحرفة لحكام ذلك العصر تعكس الوجه المشوه لها، لذلك استطاعت المعارضة أن تخرج الاسلام سليما و معافى على الصعيد النظرى - على الأقل - و ان تشوهت و انحرفت معالم تطبيقه على أرض الواقع، طبعا لم تكن تلك المعارضة السليمة مطلقة، بل كانت هناك حالات استثنائية سمح من خلالها الامام الكاظم، لبعض شيعته أن يعملوا داخل جهاز سلطة هارون لتوفير الحماية للعناصر المؤمنة، و انجاز بعض المهام التى تخدم أهداف الخط الأصيل، و هذا ما حدث - كما ذكرنا فى حديث سابق - مع على بن يقطين [١٦٦] الذى تسلم مسؤولية الوزارة الأولى فى عهد هارون، و قد استطاع تقديم خدمات كثيرة للامام و شيعته، و قد حدث ذلك مع غيره أيضا، ممن خدموا الامام و أحبوه حبا شديدا و كانوا منشدين اليه بقلوبهم و عقولهم، لكنهم لم يكونوا يجرأون على الاتصال به، و هنا نقل الحادثة [١٦٧] التالية للدلالة على الموضوع اياه. عن بعضهم أنه قال: ولى علينا بعض كتاب يحيى بن خالد، و كان على بقايا يطالبنى بها، و خفت من الزامى اياها خروجا عن نعمتى، و قيل لى: انه يتنحل هذا المذهب، فخفت أن أمضى اليه فلا يكون كذلك فأقع فيما لا أحب، فاجتمع رأى على أنى هربت الى الله تعالى و حججت و لقيت مولاى الصابر - يعنى موسى بن جعفر عليه السلام - فشكوت حالى اليه فأصحبنى مكتوبا نسخته: بسم الله الرحمن الرحيم اعلم أن لله تحت عرشه ظلالا لا يسكنه الا من أسدى الى أخيه معروفا أو نفس عنه كربة، أو أدخل على قلبه سرورا، و هذا أخوك والسلام. [صفحة ١٠٠] قال: فعدت من الحج الى بلدى، و مضيت الى الرجل ليلا، و استأذنت عليه و قلت:

رسول الصابر عليه السلام فخرج الى حافيا ماشيا، ففتح لى بابه، وقبلنى وضمنى اليه، وجعل يقبل بين عيني، و يكرر ذلك كلما سألتنى عن رؤيته عليه السلام و كلما أخبرته بسلامته، و صلاح أحواله، استبشر، و شكر الله، ثم أدخلنى داره و صدرنى فى مجلسه و جلس بين يدى، فأخرجت اليه كتابه عليه السلام فقبله قائما و قرأه ثم استدعى بماله و ثيابه، فقاسمنى دينارا دينارا، و درهما درهما، و ثوبا ثوبا، و أعطانى قيمة ما لم يمكن قسمته، و فى كل شىء من ذلك يقول: يا أخى هل سررتك؟ فأقول: اى والله، وزدت على السرور، ثم استدعى العمل فأسقط ما كان باسمى و أعطانى براءه مما يتوجه على منه، وودعته، و انصرفت عنه. فقلت: لا أقدر على مكافأة هذا الرجل الا- بأن أحج فى قابل و أدعو له و ألقى الصابر عليه السلام و أعرفه فعله، ففعلت و لقيت مولاي الصابر عليه السلام و جعلت أحدثه و وجهه يتهلل فرحا، فقلت: يا مولاي هل سررتك؟ فقال: اى و الله لقد سررتنى و سر امير المؤمنين، و الله لقد سر جدى رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم، و لقد سر الله تعالى. اننا نستلهم من هذه المسألة - ونحن نعيش فى واقع متنوع و متعدد الاختلافات، ضرورة المرونة و الحكمة فى التعامل مع الشعارات المطروحة (مقاومة الظلم و الاستعباد و غيرها)، فقد يفرض الموقف المرحلى الضاغط أن يدخل الانسان فى تحالف خارجى متغير و يقيم علاقة جيدة مع هؤلاء الظالمين المنحرفين من أجل الحفاظ على بعض مواقع التقدم على طريق تحقيق الهدف الأعلى، من جهة، و كذلك تغطية هذا الموقف العملى المتقدم من جهة أخرى. اذا اننا نؤكد هنا على النظرة الواقعية [١٦٨] للساحة و للقوى و للظروف من [صفحة ١٠١] أجل اتخاذ القرارات و المواقف المدروسة و الواعية، على أساس مصالح الاسلام و المسلمين، لكى نميز، من خلال ذلك، بين ما نستطيع التخلص منه، و بين ما لا نستطيع فى الحاضر أو فى المستقبل المنظور، لأن فقدان النظرة الموضوعية و المتوازنة للأمر قد يوقع التحرك فى مهاوى الضياع و التهور، و يسقطه فى بدايته مانعا اياه من التقدم خطوة واحدة الى الأمام فى عملية الاصلاح و التغيير، و بالتالى تضيع الفرص المتاحة أمامه فى ظرف معين. كيف تمثلت الطريقة السرية فى عمل الكاظم عليه السلام؟. لقد تمثلت الممارسة السرية عند الامام عليه السلام من خلال جانبين اثنين: الجانب الأول: اسناده و تأييده للثورات المخصصة التى قادها رجال مخلصون فى انتمائهم للامام عليه السلام، كما رأينا فى عدة تصريحات صدرت عنه عليه السلام تؤيد و تدعم حركة الحسين بن على بن الحسن - صاحب فخ - الذى ثار فى المدينة المنورة ضد الخليفة موسى الهادى، و توجه الى مكة المكرمة سنة ٢٦٩ هـ، و استشهد فى «فخ» بالقرب من مكة، و من تلك التصريحات: أ - قوله عليه السلام للحسين لما عزم الخروج و الثورة «انك مقتول فأحد الضراب، فان القوم فى العراق يظهرون ايماننا و يضمرون نفاقا و شركا، فاننا لله و انا اليه راجعون و عند الله احتسبكم من عصبته» [١٦٩]. ب - و لما سمع الامام الكاظم عليه السلام بمقتل الحسين (رض) بكاه و أبته بهذه الكلمات: «انا لله و انا اليه راجعون، مضى و الله مسلما صالحا، صواما [صفحة ١٠٢] قواما، أمرا بالمعروف، ناهيا عن المنكر، ما كان فى أهل بيته مثله» [١٧٠]، ان دعم الامام لأمثال تلك يؤكد حرصه على الاحتفاظ بالضمير الاسلامى الواعى و الارادة الاسلامية، بدرجة من القوة و الصلابه تحصن الأمة ضد التنازل المطلق عن شخصيتها و كرامتها لأولئك الحكام المنحرفين، كما و يبقى ذلك الرفض الايجابى حيا فى نفوس أصحابه و شيعته تجاه الحكومات الجائرة و الظالمة عبر التاريخ. الجانب الثانى: ممارسة الدور التوجيهى [١٧١] و الاشرافى المباشر - اذا صح التعبير - على شؤون قاعدته الشيعية و الاضطلاع بمهمة قيادتها عقائديا و فكريا و سلوكيا، و ذلك بهدف ترشيد الأمة فى تعاطيها الحى المسؤول مع جملة الأفكار و المفاهيم الاسلامية لمدرسة أهل البيت عليهم السلام، و تجنب اللجوء الى الأجهزة الادارية و القضائية الخاضعة لسلطة النظام الحاكم و المعتمدة من قبل أعوانه و جلاوزته؛ الأمر الذى سيدفع الامام، اذا ما دخلت كتلته المميزة فى أجهزة النظام الظالم، الى الايفاء بالتزامات و قيود معينة، تجاه هذا النظام، لا تنسجم مع رسالته و خطه، خاصة و أن المجال هنا غير مفتوح لممارسة النقد و الاحتجاج و التوجيه و الكشف عن مواقع الخلل و النقص فى ظل أجواء القمع و الارهاب النفسى و العملى [١٧٢]، طبعاً هذا الأمر لا يعنى - كما سلف و حللنا - [صفحة ١٠٣] السلبية المطلقة فى عدم المشاركة فى الحكم، لكن مع وجود ضوابط و ضمانات معينة كان يحددها هو عليه السلام فى هذا المضمار.

العمل العلني

دافع الامام الكاظم عليه السلام عن الاسلام الصحيح و باشر في ايجاد علاج فوري لحاله جهل الأمة باسلامها و عقيدتها، ورد - في أجوبته و محاججاته و مناظراته العلمية العلنية - على الشبهات التي كانت تثيرها التيارات الدهرية و الالحادية المنتشرة بكثرة في ذلك الوقت، و التي أنتجت حالة الاتصال غير المتوازن مع حضارات و ثقافات أجنبية غريبة، نتيجة حركة الفتوحات الاسلامية. لقد أتاح العمل العلني لامامنا الكاظم عليه السلام فرصة المباشرة بحركة علمية [١٧٣] واسعة النطاق، و القيام بمناظرات احتجاجية مع أئمة المذاهب الاسلامية الأخرى للتدليل على أطروحة و نهج و خط أهل البيت عليهم السلام، و قد كانت، تلك الحلقات العلمية، تعقد في أجواء علنية (في الأماكن العامة) و كان يقوم بها كل من هشام بن الحكم، و هشام بن سالم، و مؤمن الطاق، مما أدى الى انتشار الفكر الاسلامي الشيعي، و ذبوع أفكاره و قيمه بين المسلمين بفضل تلك الحجج القوية و البراهين الواضحة التي كان يسوقها أولئك العلماء الأعلام، و التي كانت تقوم على المنطق العقلي و البحث العلمي المجرد [١٧٤]، حتى [صفحة ١٠٤] نعتهم (كرادى فوا) [١٧٥] بأنهم أصحاب الفكر الحر [١٧٦]. - روى [١٧٧] أنه دخل أبوحنيفة المدينة و معه عبدالله بن مسلم فقال له: يا أباحنيفة أن ها هنا جعفر بن محمد من علماء آل محمد فاذهب بنا اليه نقتبس منه علما، فلما أتيا، اذا هما بجماعة من علماء شيعة ينتظرون خروجه أو دخولهم عليه، بينما هو كذلك اذ خرج غلام حدث فقام الناس هيبه له، فالتفت أبوحنيفة فقال: يا بن مسلم من هذا؟ قال: موسى ابنه. قال: و الله لأخجلنه بين يدي شيعة، قال له: لن تقدر على ذلك. قال: و الله لأفعلنه، ثم التفت الى موسى فقال: يا غلام أين يضع الغريب في بلدتكم هذه. قال: «يتوارى خلف الجدار، و يتوقى أعين الجار، و شطوط الأنهار و مسقط الثمار، و لا يستقبل القبلة و لا يستدبرها. فحينئذ يضع حيث يشاء». ثم قال: يا غلام ممن المعصية؟ قال: «يا شيخ لا تخلو من ثلاث: اما أن تكون من الله و ليس من العبد شيء، فليس للحكيم أن يأخذ عبده بما لم يفعله، و اما أن تكون من العبد و من الله، و الله أقوى الشريكين فليس للشريك الأكبر أن يأخذ الشريك الأصغر بذنبه، و اما أن تكون من العبد و ليس من الله شيء، فان شاء عاقب». قال: فأصابت أباحنيفة سكتة كأنما ألقم فوه الحجر. قال: فقلت له: ألم أقل لك لا- تتعرض لأولاد رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم و في ذلك يقول الشاعر: لم تخل أفعالنا اللاتي نذم بها احدي ثلاث معان حين نأتيها [صفحة ١٠٥] اما تفرد بارينا بصنعتها فيسقط اللوم عنا حين ننشئها أو كان يشركنا فيها فيلحقه ما سوف يلحقنا اللوم من لائم فيها أو لم يكن لالهى في جنايتها ذنب فما الذنب الا ذنب جانيها

الحفاظ على المفهوم النقي للقيادة السياسية و تثقيف الأمة به

حاول الامام الكاظم - بعد أن تم تجميد، أطروحة أهل البيت عليه السلام، بل و حتى تغييرها بشكل مقصود عن ساحة الواقع التاريخي الاسلامي - حاول هو و الأئمة عليهم السلام من بعده، اعادة الاعتبار لتلك الصيغة و ابقاءها حية في ذهنية الأمة و لو على المستوى النظري، لأن غيابها أو تغييرها من ذاكرة الأمة، يعنى الغاء و مصادرة كل القيم و المفاهيم و التصورات التي ترتبط معها في داخل منظومة الأفكار المتحركة في واقع الصيغة الاسلامية. لقد كان الحكم القائم جادا في مسح مفهوم الولاية و الامامة من وعى الأمة، و تأكيد المفاهيم الأخرى التي تشكل النقيض المطروح على صعيد المنظور القيادي في حركة الأمة، و رغم أن دور الامام الكاظم (و الأئمة بشكل عام) كانت تواجهه تعقيدات حادة، و مخاطرات صعبة، و ظروف خانقة و شاقة بفعل الواقع الفكري و السياسى المضاد، الا أنهم عليهم السلام مارسوا دورا كبيرا فاعلا في الحفاظ على هذا المبدأ، باعتباره يعبر عن الصيغة الأساسية لمفهوم القيادة السياسية في الاسلام [١٧٨]، و يمكن أن نعطي هنا شاهدا فكريا تاريخيا، يعبر عن دور الامام الكاظم في الحفاظ على المفهوم النقي للقيادة السياسية. - سأل هارون الرشيد الامام الكاظم عليه السلام عن فدك و حدودها لكي يرجعها اليه، فأبى الامام أن يأخذها الا بحدودها، فقال الرشيد: ما حدودها؟ فقال الامام: ان حددتها لم تردها، فأصر الرشيد عليه أن يبينها له، فقال له الامام: [صفحة ١٠٦] أما الحد

الأول: فعدن. و الحد الثاني: سمرقند. و الحد الثالث: أفريقيا. و الحد الرابع: فسيف البحر مما يلي الجزر و أرمينية. فنار الرشيد قائلا: لم يبق لنا شيء. فقال الامام: قد علمت أنك لا تردّها [١٧٩]. نلاحظ من خلال هذا الحوار، أن الامام عليه السلام يحاول أن يؤكد الرؤية السياسية التي تتبناها مدرسة أهل البيت حول «مفهوم الولاية و الخلافة»، و قد استثمر الامام عليه السلام فرصة وجددها ملائمة لي طرح هذه الرؤية التي حرص الأئمة باستمرار على تأصيلها في وعى الأمة و تثبيتها في ذاكرة الأجيال، و ان كانت هذه المواقف قد كلفت الأئمة عليهم السلام ثمنا باهظا، حيث واجهت أنظمة الحكم المتسلطة هذه الرؤى والمواقف بأساليب شرسة و وسائل قاسية [١٨٠].

العمل على اعادة الصيغة السياسية الأصيلة الى واقع الحياة الإسلامية

وقفت الظروف السياسية و الأمنية، التي انطلقت في حياة المسلمين الأولى، في وجه الامام الكاظم عليه السلام و منعت من القيام بعملية التحريك الايجابي الفعال لصيغة أهل البيت عليهم السلام، و اوصولها الى مواقع الحكم والقيادة داخل الهيكلية التنظيمية للأمة، لأن ذلك كان يتطلب وجود ظروف موضوعية أكثر راحة و برودا - اذا صح التعبير - على عكس ما كان عليه الحال، اضافة الى أن استلام زمام الحكم و ادارة البلاد يفترض، من حيث المبدأ، وجود قيادات سياسية واعية و مؤهلة لقيادة الأمة، و هذا ما لم يكن متوافرا آنذاك أيضا، لذلك [صفحة ١٠٧] عمل الكاظم عليه السلام - في هذا الاتجاه - على اعداد و تأهيل هذا النمط الحى الواعى من القيايين القادرين على استلام مراكز المسؤولية و الحكم، في تقديم أطروحة أهل البيت كصيغة اجتماعية و سياسية ذات بنى و خصائص نوعية فريدة، و كبناء اعتقادي متين بديل عن الحكم القائم الظالم و المنحرف، و يمكننا فهم هذا المعطى من خلال الأمور التالية: ١- كان امامنا الكاظم عليه السلام يرى أن القيادة العامة، بكل مظاهرها و أشكالها، تمثل حقا مشروعا و طبيعيا للامام المعصوم المنصوص عليه في القرآن و السنة، و هذا ما لاحظناه في حديث أوردناه سابقا حول فدك و رؤية الكاظم الموضوعية لهذه القضية، اذا اعتبر عليه السلام أن فدك تمثل، في وعى أهل البيت جميعا، رمزا و عنوانا للولاية المغتصبة، لا مجرد بقعة جغرافية محدودة. ٢- اعتبر الامام الكاظم أن الانحراف الموجود في البنية النفسية الداخلية للطبقة السياسية الحاكمة، في أسلوب ممارستها لقضايا السلطة و الحكم، يعبر عن صيغة ذاتية جاهلية و سلطوية جامدة، لم تكن تمارس دورها الطبيعي في الجانب القيايى الجماهيرى الواسع بدلالاته الحضارية و الانسانية، الأمر الذى قاد الصيغة الى طريق الجمود و التغييب و التعميم نتيجة الاجراءات المضادة التي قام بها الجهاز الحاكم و أعوانه، و هذا ما يمكن أن نستوحيه من خلال الموقف الحاسم الذى اتخذه الكاظم عليه السلام في رفضه الدخول [١٨١] الى الواقع الذاتى و الموضوعى لبنية السلطات الحاكمة، باعتبار أن ذلك يعطيها شرعية الوجود و الامتداد، كما و يقدم لها - من موقع قيايى و زعامة [١٨٢] جماهيرية هي زعامة و امامة أهل البيت - صك غفران لممارساتها و أفعالها اللانسانية بحق الناس و المجتمع. [صفحة ١٠٨] ٣- عمل الامام الكاظم على تأهيل عناصر القيادة على المستوى العقائدى و الفقهى و السياسى، كى يكونوا جاهزين لسد الثغرات الحاصلة في الواقع الاسلامى عموما، و بالتالى السعى الدؤوب باتجاه ايجاد كيان سياسى [١٨٣] له قاعدته الجماهيرية المؤمنة و المتماسكة، و يكون قادرا على تجسيد الصيغة الاسلامية الواعية لأهل البيت عليه السلام بمقوماتها و عناصرها الاساسية المعروفة. طبعاً كان الامام الكاظم مدركا و مستوعبا للظروف و الأحداث التي عاصرها في اطار تحركاته و فعالياته، خصوصا على صعيد اعتقاده باستحالة اقامة و ايجاد «كيان سياسى» للأمة الاسلامية، يفتح بوعى على أطروحة و قيادة و مدرسة أهل البيت عليهم السلام في الفكر و الفقه و العقيدة و السياسة، في تلك الظروف الضاغطة أمنيا و سياسيا و حتى علميا و ثقافيا. ولكن هذا لا يعنى عدم ممارسة أساليب مختلفة في العمل الدعوتى الحضارى تحافظ على الطرح السياسى الاسلامى المتقدم لأهل البيت عليهم السلام و لو على الصعيد النظرى، مع ايمان كامل بوجود امكانيات و ظروف أفضل في مستقبل الدعوة قد تنفتح أمامها، بحيث تمكن القواعد الشعبية و كتلتها المميزة - التي كان الامام عليه السلام، كما ذكرنا، يعمل على تثقيفها و توجيهها و توعيتها برسالة و قيم الاسلام المحمدي الأصيل - من تسلم زمام الحكم و ممارسة العمل السياسى، في المستقبل، بأقصى أبعاد الوعى و روح المبادرة الفعالة العالية في مستواها الفكرى

و العقيدى. و فى هذا المجال، أود أن أؤكد على نقطة هامة يمكن استلهاها من سيره و حياة الكاظم عليه السلام فى الجانب السياسى، و هى: أننا نحن أبناء الجيل الحالى، الذين ننتهى الى الدائرة الاسلاميه الكبرى نحتاج، فى ظروف [صفحہ ١٠٩] و تعقيدات عصرنا الحالى، الى عمل فكرى ابداعى دؤوب و صادق من أجل اعداد و صياغة مشروع حضارى متكامل، اسلامى الطرح و الهوية و الانتماء، انسانى الوجود و الهدف و الامتداد، يكون قادرا على انتاج و صياغة برنامج عمل اسلامى لعموم المجتمع و الأمة، و ذلك باظهار تشريعات الاسلام الانسانية و تقديم أحكامه الحضارية، و تبيان طرحه كبديل حقيقى فاعل لفلسفات الوجود الوضعيه القائمه، يصون الأمة و يمددها بوقود النهوض و الحركة على المستوى السياسى و الاجتماعى و الاقتصادى لأننا نستطيع، من خلال هذا العمل، أن ننجز و نحقق واقعيه الطرح الاسلامى المعاصر [١٨٤]، و شموليته و عقلانيته و انسانيته على صعيد التطبيق العملى الحى و الواعى لمضامين و معايير الرساله بمستوياتها العقائديه و الروحيه و الاجتماعيه و السياسيه و الحقوقيه، و لا نريد لهذا الفعل التجديدى أن يكون رده فعل سلبية على تحديات الواقع المعاش لمجرد الرغبة النفسيه الجامحه فى جده الجديد، بل أن تكون حركة التجديد مدروسه و متوازنه و من صلب النواه الفكرية و العقيدية للرساله الاسلاميه، أى أن يكون هذا الفعل دعما و استجابة للاسلام نفسه، قبل أن يكون استجابة محدوده لمتغيرات الحياه المستجده.

مخططات الحركة التغييرية و أسس صياغة برامجها الشاملة

بناء و تأسيس الوعى الثورى بالاسلام من خلال الحدث الكربلايى

اشاره

اتجهت بعض جهود الامام الكاظم عليه السلام الى تبنى صيغه واقعيه للعمل التغييرى، اتسمت بالحكمه و الهدوء و الصبر فى الدعوة و العمل تبعا لضرورات تفرضها طبيعه الدعوة الثورية فى مواقعها و مراحلها المختلفه، و قد [صفحہ ١١٠] استفاد عليه السلام من الثورة الحسينيه الكربلاييه لتأصيل المخزون الثورى لأهل البيت عليه السلام فى ذهنيه الأمة عاطفيا و وجدانيا، و ترشيد دعوته الجهاديه فى اطار رعايه بواعثها و منطلقاتها، لذلك دعا عليه السلام الى زيارة الامام الحسين، و القيام بكل مراسيم و شعائر كربلاء من أجل ترسيخ الحاله التواصليه - اذا صح التعبير - مع ثورة الحسين عليه السلام ضمن خطه واعيه و صيغه متوازنه هدفت الى استمرار الحضور النوعى الغنى لقيم و مبادئ كربلاء فى عمق الواقع النفسى و الفكرى للأمة المؤمنه بخط الثورة الحسينيه و أهدافها الساميه [١٨٥]. قال عليه السلام: «أدنى ما يثاب به زائر الحسين عليه السلام بشط الفرات اذا عرف حقه و حرمة و ولايته أن يغفر له ما تقدم من ذنبه و ما تأخر» [١٨٦]. يؤكد الكاظم عليه السلام فى هذا الحديث على النقاط التاليه: ١- ضرورة معرفه حق و حرمة و ولايه الامام الحسين عليه السلام، أى دراسه تاريخه و تحليل واقعه الذى عاش فيه، و اظهار الهدف من تحركه. ٢- الارتباط الروحى و العاطفى بقضيته عليه السلام، التى هى قضيه الأئمه جميعا، و وعى أهدافهم و نهجهم، و اشاعه الثقافه و الوعى العلمى و الاسلامى بهذه المسأله فى مختلف البلدان الاسلاميه، و بث مفاهيم التريبيه الأخلاقيه الفاضله بين الناس، و الدعوة الى ترسيخ علاقات التعاون و التكامل الاسلامى بين المؤمنين (الترابط الوجدانى و العاطفى). ٣- وعى ولايته و فهم دلالاتها و أبعادها الحركيه، من خلال اظهار الرؤيه السياسيه و الدينيه الشرعيه الصحيحه لقضايا الحكم و جمله الأحداث السياسيه الواقعه التى يمكن أن تعترض حركة الأمة السياسيه و الانسانيه فى قضايا العدل و الظلم و الحريره و ما شاكل ذلك، و هذا العمل يمثل أطروحه الهيئه لتوعيه الأمة السياسيه و الانسانيه فى فاعلا و مؤثرا فى وجدانها و فكرها، لأن أحد [صفحہ ١١١] الأهداف الرئيسيه لهذه الثورة هو هز هذا الضمير - ضمير الانسان المسلم - و احياؤه و تحريكه عندما يتعرض الى الموت أو الخدر الحضارى، أو يقع تحت تأثير الضغوط النفسيه أو أساليب الارهاب، بحيث

ينتهي الانسان الى فقدان الارادة مع ادراكه للحقيقة [١٨٧]. لكن يبدو أن هذه الأوضاع لم تعجب السلطات الحاكمة و أنظمة الجور على مر التاريخ - و ليس فقط في عهد العباسيين - فعمدت الى اجراءات حاولت، من خلالها، تطوير و تجميد ممارسة الأئمة و شيعتهم لهذا النوع من الاحياء العاشورائي، و ذلك من خلال فرض حركة اعلامية مضادة تشوش صورة المناسبة، و تشكك في أهدافها حتى وصل الأمر، بالظلمة و أعوانهم، الى حد القيام بأعمال قمعية ضد كل حالات التعامل و التواصل مع المناسبة الكربلائية بشخصها و رموزها و عناوينها، الأمر الذى يدل على الدور الفعال لتلك الطقوس و المراسيم، و ما ينتج عنها من مواقف و أفعال فى توعية و تعريف الأمة - من خلال كربلاء - بالأحداث التى كانت تمر بها، و اظهار المواقف الصحيحة منها و من طبيعة النظم السياسية القائمة على صعيد تعميق القدرة لدى الناس «خاصة الكتلة المؤمنة» على التمييز بين الصحيح و الخطأ، أى بين الممارسة الشرعية و غير الشرعية لهذا الحاكم أو ذاك السلطان [١٨٨]، و القدرة على تمييز الخطوط الحمراء من الخضراء التى تعطى سلبية أو ايجابية التعامل مع الأوضاع المستجدة رعاية للمصلحة الاسلامية العليا.

مناسبة كربلاء بين الاستغراق فى التاريخ و تحريك قيم التاريخ فى الواقع

تنطلق شعائر الحدث الكربلائي سنويا فى مختلف البقاع و الأمصار الاسلامية لتحيى ذكرى استشهاد الامام الحسين و كوكبه من أهل بيته و أنصاره، [صفحة ١١٢] فكيف يتم التعامل مع ثورة بهذا الحجم و المستوى؟. و هل تمارس الشعائر الاسلامية، خلال هذه الذكرى، بطريقة حضارية تنسجم مع مهمة الاحياء الاسلامي؟. ثم ما هى الآفاق التى يمكن أن تفتحها أمامنا هذه الحادثة و نحن نعيش على أبواب القرن الحادى و العشرين؟. هل استطعنا توظيف مناسبة عاشوراء فى البعد الاعلامي الدولي فى خط الدعوة و الاعلام؟ و هل أعطينا كربلاء احساس الواقع و نبض الحياة؟ و هل استثمارنا الطاقة الاحيائية الكامنة فى الذات الكربلائية كما ينبغي؟. اننا نعلم جميعا أهمية هذه المناسبة العظيمة، التى يمكن أن تقدم لنا دروسا مختلفة لا تنتهى فى الواقع الانسانى المعاصر، يمكن عرضها كما يلي: ١- نجد - بداية - أن الامام الحسين عليه السلام حمل مشروع وحدة و رسالة توحيد عادلة لكل المسلمين، كانسان يمثل القيمة الروحية الانسانية الرائعة التى انفتحت على الله، و عاشت عمق الاسلام و فى المقابل الذين قاتلوا الحسين حملوا لواء الدعوة الى الفتنة و مشروع الدولة الفئوية الظالمة المستكبرة التى مثلها يزيد فى صورته التاريخية كرجل فاسق فاجر لا يملك أى التزام فى المحرمات الشرعية، و لا يملك أى قيمة روحية و أخلاقية و لا حتى سياسية، و بهذا فاننا نستطيع أن نستوحى، فى واقعنا المعاصر، شخصية الامام الحسين مقارنة بشخصية يزيد فى كل النماذج التى تلتقى بهاتين الشخصيتين فى الواقع، كما أننا نستطيع أن نجري مقارنة بين المجتمع الاسلامي فى انحرافات التصورية هناك، و بين مجتمعاتنا هنا للاستفادة منها فى مواجهة المرحلة. و لننطلق فى الخط القيادي الذى يفكر به المسلمون فى «كيف يكون القائد؟» و فى الخط الحركي فى مسألة الثورة على القائد الظالم المنحل و المنحرف، كما أن امتزاج هذه العناوين بدماء أهل البيت عليهم السلام، يعطى [صفحة ١١٣] القضية بعدا مأساويا، بحيث تشكل، لدى اثارها سنويا، ثورة ضد كل صانعى المأساة فى الحاضر [١٨٩]، و فى المستقبل. ٢- خطاب عاشوراء و الحسين عليه السلام كان خطاب المقاومة و الممانعة لثقافة الكسل و الاسترخاء التى روج لها حكام بنى أمية، و هى نفسها أيضا ممانعة شعبنا العربي المسلم فى لبنان لمشروع التفتيت الصهيوني، هذه المقاومة التى اتخذت من ثقافة و رسالة كربلاء الاسلام عنوانا أساسيا لها فى كل وجودها و حركيتها و امتدادها، و جسدها فى تضحياتها و بطولاتها و ملاحمها التى لا تزال تسطر على أرض الجنوب اللبناني الشريف و الطاهر، حيث نسمع و نشاهد جميعا أقصى درجات البطولة و الفداء و التضحية فى مواجهة أشرس و أخطر عدو عرفته الانسانية فى تاريخها، و أعنى به العدو الصهيوني المجرم الذى استطاعت المقاومة الباسلة فى لبنان أن تهز كيانه و تربك خطته و معادلاته و تحقق الانتصارات تلو الأخرى عليه، كما انتصرت عاشوراء الدم على سيف الظلم و البغى. ٣- كذلك نقرأ فى عاشوراء موقف الرفض و الممانعة لأغراءات المال و الترف و الانحلال الخلقى و البغضاء و العرقية و الابتذال. ان المساهمة فى تكوين نظام و قناعات صلبة لدى الناشئة و الشبيبة،

كان في أساس وظيفة المجلس الحسيني السياسية والأخلاقية أن ينصب أمام الناس، جيلا بعد جيل، لونا ومستوى من الأخلاق التي تجسدت في أنصار الحسين في كربلاء، رجالا و نساء، فكبلاء مظهر للممارسة الأخلاقية العالية في مواجهة الاغراءات و الانحطاط الأخلاقي و النفعية، و أسلوب الاغراء لايجاد جيل منحل يهتم فقط بالساعة (الحاضرة) [١٩٠]، جيل مفسد بالمال و المنافع، جيل خائف من القمع و الملاحقة، هذا الأسلوب كان على الدوام وسيلة الاستعمار و الطغيان الداخلي و الخارجي، و مشاريع الاستحواذ و التسلط، و من هنا فان أخطر ما يواجه الأجيال الصاعدة هو التريف الأخلاقي في المجتمع المترف الاستهلاكي، [صفحة ١١٤] الخاضع لقيم الحضارة الغربية، و ظهور ملامح أولية لتفكيك البنى الأسرية و الروابط الانسانية بين الناس، و ايجاد أخلاق مجتمع مترف و ثقافة قشور تجعل من الهوى واللذة و الكسب الرخيص المبتذل هدفا أسمى لها. و هذا ما نلاحظه حاليا من الميل و الانحدار الشديد، في كل وسائل اعلامنا المقروءة و المسموعة و المرئية، باتجاه ايجاد بيئة و مناخ ثقافي يعمل على اسقاط القيم و المعايير في نفوس الجيل الجديد، و هدم المناعة الأخلاقية لديه، و من ثم تدمير الارادة السياسية و الوعي السياسي للأدوار و الأهداف و الأحداث للشعب و الأمة. لذلك اننا نعتقد أنه بإمكاننا الاستفادة من عاشوراء، في هذا المجال، في تعبئة الأجيال الناشئة بمختلف الوسائل و السبل التي تنسجم مع ثقافة القيم الاسلامية، و جعلهم يفتحون على خط الممانعة و المقاومة لسلطة المال و الترف و مواجهة المشروع الصهيوني الخبيث في المنطق، الذي ندعو كل القوى الحية في المجتمعات العربية و الاسلامية الى بلورة مشروع مواجهته و الوقوف في وجهه. الآن و بعد أن وقفنا على أهم الدروس المعاصرة التي حاولنا قراءتها في مناسبة كربلاء، سنحاول الاجابة على التساؤلات التي طرحناها في بداية هذا الحديث، و التي تتمحور، في مجملها، حول أهمية توظيف و استثمار الحدث الحسيني الكربلائي في الواقع الحاضر و في المستقبل؟. اننا نجد - من خلال استقراءنا لحركة الواقع النخبوي و الشعبي في طريقة تعاطيها مع الشعائر الحسينية و قضية كربلاء - أن هناك سلوكية غير متوازنة لا- تزال تتحكم بمسارات و توجهات كثير من معالم و خصائص الحدث الحسيني، و هنا نقول - انصافا للحق و العدالة - : انه توجد مواقع مضيئة و نيرة، و ومضات مشرقة تتحرك في هذا السياق، لا نريد أن نبخسها حقها، تحاول أن تقدم كربلاء بأبهى حلة و أنصع عنوان، لأنخذ منها أفضل العبر و الدروس [١٩١]، لكن التوجه [صفحة ١١٥] الغالب على فهم قضية و ثورة عاشوراء ينحصر في اطار ممارسة طقوس و تقاليد تعطي صورة سلبية عن واقع و حقيقة كربلاء، في الوقت الذي يحتاج فيه الاسلام الى حشد كل طاقات أبنائه و قدراته و امكانياته في خط العمل على بناء مشروع يقدم (هذا الاسلام)، من خلاله، كطرح حضاري انساني قادر على حمل لواء و مشروع العالمية الجديدة بعد فشل المشروع الغربي [١٩٢]. اذا نحن نريد تجريد الممارسات العاشورائية [١٩٣] من بعض أساليب الاحياء القديمة غير المناسبة على الصعيد التاريخي و التعبوي و التمثيلي، و الاستفادة القصوى من حجم الامكانيات التقنية الهائلة التي توفرها وسائل الاعلام و الاتصالات الحديثة [١٩٤] في حقل الدعاية و التبليغ الاسلامي من أجل تقديم صورة كربلاء الحية الى العالم غير المسلم، فضلا عن العالم غير الشيعي طبعاً، [صفحة ١١٦] على أساس أنها ثورة اسلامية الهوية و الطرح و الانتماء و لا تخص الشيعة وحدهم [١٩٥]، و بالتالي مواجهة الدعاية الغربية - و غير الغربية - المضادة التي تؤكد على أن الممارسات الشعائرية الاسلامية الشيعية، بخصوص كربلاء، و هي لون من ألوان و ممارسات العصور المظلمة. اننا نريد أن نؤكد - أخيراً - على أن الامام الحسين عليه السلام رمز و ثورة من أجل الانسان المستضعف في كل زمان و مكان مع كونه اماما معصوما مفترض الطاعة، لذلك من الضروري العمل على تقديمه للعالم، و كما هو في واقعه الأصلي، بأروع صورة و أنصع بيان كأعلى الرموز الثورية التحريرية الاسلامية في التاريخ، و في عقيدتي أن هذا الأمر لن ينال حقا حقيقيا في الواقع الا اذا بادرنا الى نفض الغبار عن عاداتنا في هذا المجال، و انطلقنا الى تحديد مستويات ايجابية و مناهج دقيقة تبرز لنا محددات و آليات عمل في واقع الفعل و الممارسة المنظمة و الهادفة.

يمكن دراسة هذه النقطة من خلال منحيين اثنين: المنحى الأول: مدى وعى حالة الانتماء السياسى. المنحى الثانى: الفعالية الفكرية فى خط تركيز التثقيف العقائدى و السياسى. المنحى الأول: ركز الامام الكاظم عليه السلام، من خلال مواقفه و بعض تصريحاته السريّة، على أهمية تعميق مبدأ «الانتماء السياسى» الى الخط القيادى الشرعى لأهل البيت عليهم السلام، و هذا ما لا حظناه من خلال امامته و تمثيله الشرعى [١٩٦] لقيادة [صفحة ١١٧] متأصلة فى الاسلام لها جذورها و شرعيتها فى جسم الأمة، و ذلك فى مساهمته و مشاركته فى حل بعض تحديات و أزمت الواقع الخطيرة، و رجوع الأمة اليه فى أكثر من محطة تاريخية هامة فى حياتها و على أكثر من صعيد، و قد ظهرت معالم هذا التوجه فى حياة بقية الأئمة عليهم السلام الذين مارسوا هذا الجانب السياسى بدقة و تنظيم كبيرين فى طبيعة الاشراف على الحالة الانتمايئة التى أوجدوها فى داخل الساحة و من معالم هذا الاسلوب التنظيمى [١٩٧]: أ- السريّة فى العمل «مبدأ التقيّة». ب - نظام الوكلاء الذى اعتمده الأئمة عليهم السلام فى تنسيق و ادارة و توجيه الحالة الانتمايئة. ج - تصنيف الفعاليات و الاختصاصات فى عهد الكاظم عليه السلام. - فعاليات السياسة: كعلى بن يقطين الذى كان وزيرا لهارون بامضاء و موافقة الامام الكاظم عليه السلام ليمارس دوره فى خدمة الحالة الانتمايئة. - فعاليات الفقه و الحديث: يونس بن عبد الرحمن. - فعاليات الكلام و المناظرة: هشام بن سالم. لقد ساهمت هذه الحالة الانتمايئة الواعية فى ايجاد مواقف سياسية بارزة من قضيه الفصل فى الكيانات و الأنظمة الطاغونية القائمية، من خلال تحريم الامام الكاظم اللجوء الى هذه السلطات، و تحريم التعامل معها من أجل تأكيد حالة الرفض المعنوى و النفسى للكيانات الجائرة اللاشرعية، لأن ذلك يصب فى خدمة هذا الكيان و يعطيه - كما ذكرنا - شرعية الوجود فى اغتصابه للحكم و ظلمه للعباد و هدره لثروات و مقدرات البلاد، و بالتالى هو سلب لكل عمل اصلاحى من الامام نفسه. [صفحة ١١٨] لقد كان هذا العمل الترشيدى و التوعوى - اذا صح التعبير - يهدف الى لفت نظر الناس الى المفاهيم و التصورات البنائية الأساسية لمدرسة أهل البيت عليهم السلام، و تجنب اللجوء الى الأجهزة الادارية و القضائية الخاضعة لسلطة النظام و المعتمدة من قبل أعوانه و جلاوزته [١٩٨]. - قال الامام الكاظم عليه السلام لزيد بن أبى سلمة: «يا زيد انك لتعمل عمل السلطنة؟». قال زيد: أنا رجل لى مروءة و على عيال و ليس وراء ظهري شىء. فقال الامام: «يا زيد لئن أسقط من شاهق [١٩٩] فأتقطع قطعة قطعة أحب الى من أن أتولى لأحد منهم عملا- أو أطأ بساط رجل منهم الا، لماذا؟» فقال زيد: لا أدري جعلت فداك، قال عليه السلام: «الا لتفريج كربة مؤمن أو فك أسر، أو قضاء دينه، يا زيد ان أهون ما يصنع الله بمن تولى لهم عملا أن يضرب عليه سراق من نار الى أن يفرغ الله من حساب الخلائق، يا زيد فان وليت شيئا من أعمالهم فأحسن الى اخوانك فواحدة بواحدة و الله من وراء ذلك» [٢٠٠]. المنحى الثانى: مارس الامام الكاظم عليه السلام على هذا المسار دورا تثقيفيا هاما فى المجال السياسى العام و الخاص، فعلى الخط السياسى العام عمل عليه السلام على تحريك ضمير الأمة، بعناوينه الكبيرة فى الدائرة الاسلامية الواسعة، نحو أهدافها الكبيرة فى خط الترشيد العام فى حركة الأمة و مساراتها الرسالية العالية، فيما [صفحة ١١٩] لاحظناه من التعريف الشامل بالثورة الحسينية، و الحث على زيارة الحضرة المقدسة لصاحبها الامام الحسين عليه السلام، و الدفاع عن أصالة أهدافها و قيمها الرفيعة، و التفاعل مع معطياتها الحضارية و الانسانية و دعوة الناس الى تعميق صلتهم الروحية و الفكرية مع نهج و خط هذه الثورة [٢٠١]، و قد ركز امامنا عليه السلام، فى هذا السياق، على ضرورة الانفتاح على الله فى كل مواقع الحياة لأنه أساس أى عمل تغييرى يقوم به الانسان، انها التقوى (الجهاد الأكبر) [٢٠٢]. يقول عليه السلام فى وصيته لبعض ولده [٢٠٣]: «يا بنى اياك أن يراك الله فى معصية نهاك عنها و اياك أن يفقدك عند طاعة أمرك بها و لا تخرجن نفسك من التقصير فى عبادة الله و طاعته فان الله لا يعبد حق عبادته». أما على صعيد «المجال السياسى الخاص» فقد انطلق الامام عليه السلام فى حملة توجيهية داخل الدائرة الانتمايئة الخاصة بكتلته الشيعية المؤمنة، بما تميز، عن غيرها، ببعض الخصائص و السمات الموضوعية فى طبيعة انتمايها و وعيها فى البعد الحركى، فى تركيزه عليه السلام المكثف على البعد الفكرى السياسى الذى يجب أن يكون واضحا فى الرؤى و المفاهيم لمرحلة ما بعد التغيير، و هذا ما نقرأه فى توجيهاته و وصاياها و حكمه التى كان عليه السلام يصدرها و يطلقها تباعا على شيعته و أصحابه، جاء فى وصيته لهشام بن الحكم: «يا هشام عليك بالرفق فان الرفق يمن و

الخرق شؤم، و ان الرفق و البر و حسن الخلق يعمر [صفحة ١٢٠] الديار و يزيد فى الرزق، من صنع اليك المعروف فعليك أن تكافئه» [٢٠٤] و قال عليه السلام لعلى بن يقطين محذرا اياه من سلبيات العمل عند السلطان الجائر، و ما هى كفارة هذا النوع من الأعمال؟: «كفارة عمل السلطان الاحسان الى الاخوان، و كلما أحدث الناس من الذنوب ما لم يكونوا يعلمون أحدث الله لهم فى البلاء ما لم يكونوا يعدون» [٢٠٥]. و فى اطار حديثنا عن دور الامام الكاظم فى توجيه و توعية و تثقيف المجتمع الاسلامى فى الدائرة الاسلامية الشيعية الخاصة و الاسلامية العامة، و تركيزه عليه السلام على أهمية البناء الداخلى للانسانية فى عملية انتقال المجتمع من مستوى الى آخر، نتساءل: ما هو دور الانسان فى حركة التاريخ؟ هل دوره سلبى أم ايجابى؟ و هل هناك علاقة بين فكر الانسان و ارادته و وعيه و أساسه (و محتواه) الداخلى و بين عملية التغيير الاجتماعى؟ تتميز حركة التاريخ - عن كل الحركات الأخرى - بأنها ذات غاية و هدف، أى حركة غائية تتطلع الى المستقبل الذى يقوم بعملية جذب و شد و تحرك أى نشاط تاريخى من خلال الوجود الذهنى الذى يحتويه و يتمثل فيه هذا المستقبل، و بذلك تكون أسباب الحركة التاريخية مرهونة للوجود الذهنى [٢٠٦] أى لفكره و ارادته. ان هذين الأمرين (الفكر و الارادة) هما فى الحقيقة المحتوى الشعورى للانسان، اذا المحتوى الداخلى للانسان هو الذى يصنع هذه الغايات، و يجسد هذه الأهداف من خلال مزجه [٢٠٧] بين فكرة ما و ارادة معينة [٢٠٨]، و بذلك صح [صفحة ١٢١] القول بأن المحتوى الداخلى للانسان هو أساس حركة التاريخ، و هذا ما تشير اليه، صراحة، الآية الكريمة: (ان الله لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) [الرعد: ١] لذلك عندما انطلقت جهود امامنا الكاظم عليه السلام، فى اطار دعوته أصحابه و شيعته الى بناء النفس و تقوية الروح و تغذيتها بالقيم الالهية، أى التركيز و الاهتمام بالمحتوى الداخلى لهم، فان ذلك يعنى أنه كان مدركا، تماما، لأهمية دور ارادة الانسان فى عملية احداث التغيير و الثورة فى مجتمع الفراغنة و الطواغيت، لذلك انطلق عليه السلام - من خلال وعيه العميق لتلك المعطيات - موجها و ناصحا و مشرفا على أصحابه و شيعته، يدعوهم الى الالتزام العميق بقيم و مبادئ الاسلام، كما يظهر ذلك فى كل وصاياه و ارشاداته الخالصة و العامة التى تتصل بالتربية الاسلامية الصحيحة فى العقيدة و التشريع و الأخلاق و المنهج العملى فى حركة العلاقات العامة و الخاصة، و فى النظرة الى الواقع و الى الناس من حوله لأن بناء و تنمية الداخل الانسانى (الجهاد الأكبر) [٢٠٩] هو الأساس فى عملية التغيير الخارجى (الجهاد الأصغر) [٢١٠]، يقول عليه السلام: «و جاهد نفسك لتردها عن هواها، فانه واجب عليه كجهاد عدوك» [٢١١]، و بالتالى اذا فصل الجهاد الأصغر عن الجهاد الأكبر فقد الانسان مضمونه و جوهره الداخلى، و شلت ارادته، و فقد قدرته على التغيير الحقيقى على الساحة التاريخية و الاجتماعية. من هنا يتطلب التغيير الاجتماعى الحقيقى توازنا مدرسا بين الجهادين الأكبر و الأصغر، و عدم الفصل أو التفريق بينهما، و الواضح أن الحركة الاسلامية المعاصرة (و بعض نخبتها وقادتها ممن اصطلح على تسميتهم خطأ، بالمعتدلين) قد وقعت فى شرك الفصل بين هذين الجهادين، اذا اعتبرت بعضها أن الأولوية، فى عملية التغيير، يجب أن تعطى و تمنح للجهاد الأكبر - فرديا و اجتماعيا - و ذلك بالعمل على تصعيد الحركة و تركيزها فقط على الجانب الثقافى و التربوى [صفحة ١٢٢] فى المجتمع مع اهمال الجوانب الأخرى التى تتصل بحركة الجهاد الأكبر فى اعتقاد منهم أن تكثيف الدعوة التربوية و التوجيهية هو عمل فعال قد يتيح المجال للاسلام فى استلامه الحكم بطريقة طبيعية هادئة، لكن من الواضح أن هذا النمط التفكيرى يعبر عن وعى ساذج بطبيعة الواقع الفكرى و السياسى و الاجتماعى المعقد الذى تعيشه مجتمعاتنا العربية و الاسلامية بشكل عام، اذ تتغافل (هذه الشخصيات المثقفة صاحبة تلك الدعوة) عن عنصر الاجراء المضاد الذى يمكن أن تلعبه و تتخذه السلطات الحاكمة فى قمع و ارباب تلك الدعوة السلمية، و ذلك من خلال محاصرتها بمختلف الأساليب الاعلامية و السياسية و الأمنية و بالتالى عزل نخبتها السياسية، و ابعادها عن ساحة التأثير فى الحياة أو على الأقل تحجيم دورها الاجتماعى. أما بالنسبة للاتجاه الثانى الذى يدعو الى اعطاء الجهاد الأصغر الأولوية فى عملية التغيير (ممن أسمتهم وسائل الاعلام و الاستخبارات الغربية بالمتطرفين) فقد أثبتت التجربة أنه مارس أساليب قمعية و اكرهية و حشية فى عمله الدعوتى بعيدة كل البعد عن المواقف الشرعية الاسلامية، كان سببها عدم الالتزام بجهاد النفس و ممارسة التقوى و الوعى للقيم الاسلامية، لذلك وضع (هؤلاء) أنفسهم فى طريق الانحراف السياسى

والعقائدي، و شوهوا صورة الاسلام في الخارج العالمي (الذي يعمل جاهدا على تشويه و مسخ صورة الاسلام حتى من دون أدلة و اثباتات). ان هؤلاء قد غفلوا عن قاعدة اسلامية هامة و هي أن الركيزة الأساسية في عملية التغيير السياسي و الاجتماعي يجب أن تنطلق من الالتزام النفسي و السلوكي و الفكري بالاسلام كقاعدة للفكر و الحياة، و أن أي قفز فوق هذه القاعدة قد يؤدي الى تخريب جزئي أو كلي لقيم و مبادئ الاسلام. ان الدعوة الاسلامية الحقيقية الصادقة، في ممارسته عملية التغيير، يجب أن ينطلق فيها الجهاد الأكبر جنبا الى جنب مع الجهاد الأصغر، و هذا هو الموقف الاسلامي الدقيق الذي يجمع بين الجهادين و لا يفرق بينهما و لا يفضل أحدهما على الآخر، من أجل المساهمة في صنع شخصية اسلامية هادئة، و واسعة الصدر، و منفتحة على الآخرين، و عقلانية في تفكيرها، و موضوعية في [صفحته ١٢٣] نظرتها الى الأشياء، و حليمة في مواجهتها للتحديات الاجتماعية [٢١٢]. استنتاج هام: دلالات و أبعاد حركة المقاطعة أو المشاركة في الحكم السياسي: ما هي طبيعة العلاقة التي يجب أن تقوم بنى الحاكم، الذي يمثل وجودا غير شرعي، و المحكومين المستضعفين في أجواء الضغط و القهر السياسي و الأمني؟ هل تعزل عن أي ارتباط أو أية مساعدة له؟ و هل يساعد ذلك على تقوية الحق و اضعاف الباطل؟ ثم ما هي المكاسب التي يمكن تحقيقها عند التعاون مع الأنظمة الجائرة؟ في الواقع، تتداول الأوساط الثقافية و السياسية، بشكل عام، فكرة لا تزال موجودة، حتى الآن في الأجواء الثقافية لأتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام، و متجذرة في وجدانهم الفكري، مفادها ضرورة الامتناع المطلق (أي الرفض المطلق) عن مساعدة أي حكم ما دام غير شرعي، و لا يستند في وجوده و امتداده الى بعد قانوني اسلامي، و قد انطلقت هذه الذهنية في حركة الواقع السياسي الاسلامي لتعزل كل هذا الواقع التاريخي عن أي نشاط أو عمل فاعل في هذا الموقع أو ذاك، مما أدى الى اضعاف الحركة الرسالية المنطلقة في أجواء الحق من جهة، و ساعد على تقوية حركة الباطل من جهة ثانية، لأن واقع الحق - في حالة العزل - سيضعف على حساب اهتزاز الارتباط، و بالتالي ستعمل مصالح أهل الباطل على اضعاف أهل الحق لأن مصالحهم سوف تسقط و لأن واقعهم [صفحته ١٢٤] سوف يضعف، و لأن الآخرين سوف يطبقون و يضغطون عليهم و ربما يؤدي بهم الأمر الى أن يحركوهم في أجواء الانحراف من خلال الضغط الذي يتحرك هنا و هناك. في ظل هذا الفهم نطرح السؤال التالي: كيف يمكن توعية الأمة على ما يمكن تسميته «بثقافة التعاون مع الحاكم»؟. نفرق هنا بين مسألتين، الأولى: الجانب الثقافي في الرفض، و الثانية: الجانب الواقعي في التعاون. أقصد بالأولى، وجود ثقافة سياسية كاملة تقوم بتنمية روح الرفض النفسي، في ذهنية الانسان المستضعف، تجاه ظلم السلطة القائمة في عدم التعاون أو التحالف معها. بمعنى آخر: تثقيف الناس كما تثقف الكاظم عليه السلام (صفوان الجمال) عندما قال له: «من أحب بقاءهم فهو منهم»، أي أن ينزع المرء من قلبه، عند التعاون معهم، كل عاطفة أو احساس تجاههم. و يبقى في داخله كل التصورات و الانطباعات السلبية عنهم، أي أن تعتمد الطريقة الكاظمية، في الجانب الثقافي من هذه المسألة، على أن ينزع الانسان المؤمن من قلبه كل فكر و عاطفة يمكن أن تتحول الى شرعية لهذا الظالم أو ذاك. و أقصد بالمسألة الثانية (الجانب الواقعي في التعاون): الدخول في جهاز الحكم القائم من أجل حماية الحركة الفكرية و السياسية و الحفاظ على القضايا و المصالح العامة للمستضعفين الذين قد لا يكون لهم صوت أو موقع، فيكون التعاون مع النظام الجائر و الدخول في صلب نظام الفكر و الطغيان، في هذه الحالة، ضرورة ملحة من أجل حماية الواقع الاسلامي، لكن يجب أن يكون هذا الدخول مدروسا و محسوبا بدقة، و حتى اذا أردنا أن نمارس الرفض الايجابي، فيجب أن يكون رفضا واعيا، يحقق مصلحة اسلامية عليا لا مجرد مصالح فردية متناثرة هنا و هناك. و في هذا المجال تؤكد على أهمية التجربة الرائدة للحركة الاسلامية في لبنان في دخولها المنظم و المدروس الى واقع النظام القائم هناك - في اطار [صفحته ١٢٥] عملها «السياسي - العسكري» - بالحوار و اقامة العلاقات، و الانفتاح على الآخرين و المشاركة في الحياة السياسية من موقع المعارضة الفاعلة التي تحكمها عناوين اسلامية دقيقة (أعني بها المصالح [٢١٣] و المفاسد و الاضطراب) تعطيها شرعية الحركة في هذا المضمار أو ذاك مما قد يحقق للاسلام و المسلمين قفزة نوعية على صعيدها الثقافي و السياسي. ان التجربة الاسلامية في لبنان و مشاركة أفرادها في صلب الواقع السياسي و الثقافي و الاجتماعي تنطلق من فكرة أساسية هي أنه عند عدم القدرة على احداث تغيير شامل. ان ذلك لا يلغى قطعا

مسؤولية الفرد و الجماعة في مرحلة الحركة باتجاه التغيير لأن الظروف الضاغطة قد تكون آنية و مؤقتة، و يمكن تفكيك عناصرها بشكل علمي مدروس و حكيم، و ذلك بالاستفادة من طبيعة اللعبة الديمقراطية [٢١٤] كموقع متقدم من مواقع الاعلام و التحرك لمصلحة الاسلام في مواقعه التشريعية و السياسية على أكثر من صعيد. اذا، طالما أن هناك أهدافا سياسية و اجتماعية و فكرية تغييرية عامة تسعى الحركة الاسلامية (و حتى أي حركة باحثه عن موقع قوى لها في ساحة الحياة) [صفحة ١٢٦] الى تجسيدها و تحقيقها و غرسها في اطار الواقع الذي نمت فيه، فان توفير امكانيات الوصول الى تلك الأهداف العالية و الطموحة لا يتحقق بالانغلاق على الذات و الركون في زوايا الحياة المهملة كعنصر من عناصر الاختناق و السقوط و الموت، بل يحتاج ذلك الى عملية انفتاح و اعية على الآفاق الواسعة التي تطل بها على ساحات الآخرين لتستفيد من تجاربهم و خبراتهم في مواقع قوة الحركة لا ضعفها. اننا نلاحظ - في هذا السياق - أن هناك مشكلة أساسية تسيطر حاليا على ذهنية كثير من الدعاة و النخب الاسلامية، و تتحكم في مسيرة بعض الحركات الاسلامية، و هي التفكير بالطريقة الحديثة، اما نعم بالمطلق، أو لا بالمطلق، على طريقة (السامري) الذي كان يرفع شعار (لا مساس). اننا نقول لهؤلاء و لغيرهم: اذهبوا و ادرسوا تجربة اليهود، طالما أن الكثيرين منكم غير قادرين و لا- يمتلكون الارادة الكافية لدراسة تجارب الواقع الاسلامي في الماضي و الحاضر. نعم، اليهود و لا نرى عيبا في ذلك، فالانسان يستفيد و يأخذ الدروس و العبر حتى من ألد أعدائه، اذا كان ذلك يحقق له امتدادا و تجذرا في ساحة الحياة الانسانية، و ينجز له كثيرا من تطلعاته و أهدافه، و يعطيه الأسلحة الضرورية لمواجهة عدوه. أقول: ان هؤلاء اليهود الذين لا يشكلون أكثر من ثلاثين مليون نسمة، تجاه أكثر من مليار انسان مسلم، باتوا يسيطرون اليوم على مفاصل السياسة و الاقتصاد في العالم، فاليهود الموجودون في عمق الادارة السياسية الأمريكية يبلغون حوالي ٨٠ بالمئة، أما ال ٢٠ بالمئة الباقية فهي غير اليهود الذين يعيشون تحت تأثير الضغط الاعلامي و الابتزاز السياسي اليهودي، أما على الصعيد الاعلامي فلا- مجال للشك في الاستحواذ العالمي لليهود على أكثر و أهم وسائل الاعلام و محطات التلفزة العالمية، حتى شكلوا اخطبوطا اعلاميا بات يسيطر على معظم وكالات الاعلام المسموعة و المقروءة في شتى بقاع المعمورة، يدعون الى قيمهم و مشروعهم العنصري التلمودي، و يضحون في [صفحة ١٢٧] وسائل اعلامهم كما هائلا- من المعلومات و الأخبار التي تنسجم مع تطلعات و أهداف، ذلك المشروع، في السيطرة و التحكم و الاستحواذ. هؤلاء اليهود لم ينزلوا عن الواقع بالرغم من الرفض النفسي و العملي الذي كان يمارسه ضدهم الأمريكيان قبل غيرهم، حيث كانت المطاعم الأمريكية تضع لافتة مكتوب عليها ممنوع دخول الكلاب و اليهودي، لكنهم دخلوا الى الواقع بكل قوة، و واجهوا ظروف الرفض حتى أصبح الأمريكيان (و غير الأمريكيان) عبيدا عنهم، و تسائل (لنستفيد و نعتبر): كيف حصل ذلك؟ و نجيب بالقول: لقد حدث ذلك بأساليب و طرق شتى غير انسانية و لا علاقة لها بالقيم و المبادئ و الأصول الأخلاقية العامة. و أنا هنا، بالمناسبة، لا أدعو أن نسلك هذه السبل نفسها، هذه السبل لكن أن نفهم الخطوط العريضة العامة. اذا خطط اليهود للدخول و النفوذ الى جسم العالم. و هم، في طبيعة الصراع الوجودي الذي نعيشه ضدهم راهنا و مستقبلا، فكروا و يفكرون للدخول الى مفاصل الاقتصاد الاسلامي و العربي، لذلك تراهم يسعون في كل حذب و صوب، بقوة و من دون كلل أو ملل، لعقد المؤتمرات الاقتصادية هنا و هناك، كما حصل في قمم (القاهرة و الدار البيضاء و عمان و الدوحة) الاقتصادية، مع أنهم لم يقدموا شيئا في عملية «التسوية»، كل ذلك يندرج تحت هدف واحد هو السيطرة و التحكم بمفاصل اقتصاد العرب و المسلمين لممارسة الضغط على الواقع السياسي و الأمني للمنطقة تحقيقا لهدفهم التوراتي الخبيث «حدودك يا اسرائيل من الفرات الى النيل». نستنتج - من خلال التحليل السابق الذي وجدت أن هناك ضرورة ملحة في عرضه، في سياق حديثي عن امامنا الكاظم عليه السلام الذي عاش حياته من موقع التخطيط و الهدفية و المرحلية من أجل الوصول الى أهداف الاسلام و تحقيق قيمه الرسالية الأصيلة [٢١٥] - نستنتج أنه بات واجبا علينا، في خضم [صفحة ١٢٨] تحدياتنا و أزماتنا و انكساراتنا و هزائمنا، أن نبدأ العمل و الحركة باتجاه الأفق المطلوب بكل امتدادته في الواقع المعاصر، لأن قيمة الفكرة أو المبدأ الذي نلتزمه، نظريا، هي في أن يتحول الى كائن حي يتحرك في الخط العملي الانساني و ذلك في وعيه و الايمان به، و من ثم التزام مفرداته التي ترتبط، في الأساس، بحركية

الهدف الكبير و الطموح، فى امتداد الوجود و رحابة الحياة. لذلك و طالما أن الهدف هو تحقيق مشروعنا و فكرنا فى العمل و الدعوة و الهداية، فلا بد أن نعمل - بوعى و ضمن خطة مرحلية حكيمة - على أن ندخل الى عقول و أفئدة الناس، و أن نعيش جميعا «كدعاة رسالين» تجربة و حس الواقع العملى، و نبض عصرنا و أسلوبه، أى أن يفهم الداعية لغة عصره و ثقافته زمنه الراهن [٢١٦]، أن يفهم لغته و لغة الآخرين، لا أن يسقط تحت تأثير قيم عصره و يتحجم (و يتحجر) فى ممارسته لقيمه، ولكن أن يفهم عصره جيدا، أن يفهم حساسيته و ذهنيته و نقاط ضعفه و نقاط قوته، حتى يكلم الناس بلغتهم بعيدا عن التصنع و المغالاة و التكلف، فالذهنية لغة و الجو لغة، لذلك نقول: نحن مسلمون، خطابنا اسلامى، و مشروعنا حضارى منفتح، ولكن علينا أن نطور هذا الخطاب (المشروع) بحيث نبقى له مضمونه الاسلامى الذى يطل على القضايا المعاصرة من دون اسقاط أو تشويه لمعالمه و خصائصه. و بالمقابل، و من دون أن نبتعد عن لغة العصر و عن أسلوب العصر، نحاور الانسان، نعيش فى قلب الساحة و الصراع و نطلق خطابنا و مشروعنا الثقافى و السياسى التغييرى العام فى كل قضايا الصراع من دون أن نفقد أى شىء من اسلامنا و من طهارتنا و من نقائنا بشرط أن نكون المسلمين الواعين الذين يعيشون - فى واقع التحدى ورد التحدى المعاصر - حالة طوارئ فى فكرهم و فى أسلوبهم و فى وعيهم للواقع، و فى حركتهم من أجل الواقع. [صفحة ١٣١]

الامام كاظم نبراس حضارى و رؤيه معاصرة

اضواء على شخصية الامام الكاظم و صفاته الأخلاقية الرفيعة

خصاله النفسية العالية

اشاره

درس الباحثون و كتاب التاريخ و التراجم سيرة و حياة أئمة أهل البيت عليهم السلام و أوسعوها شرحا و تحليلا و استعراضا لخصائصهم النفسية و قيمهم الخلقية العالية، ولكنها قلّة تلك البحوث التى تناولت درس حياة الامام الكاظم و عرض خصاله و فضائله الأخلاقية الرفيعة، من علم و أدب و كرم و تضحية و ايثار و مروءة و شجاعة و محبة، شكلت تراثا نفسيا و سلوكيا عاما تميزت بها شخصية الكاظم عليه السلام كانسان عاش و استشهد مدافعا عن القيم الاسلامية النقية و الطاهرة التى عاشها فى عمق وعيه و عاطفته و سلوكه المتميز. لذلك سنحاول، خلال هذا البحث، اعطاء لمحات من العناصر النفسية الخاصة بامامنا عليه السلام فى مجال الممارسة الاجتماعية الراقية. اتفق الباحثون [٢١٧] فى مجال التاريخ الاسلامى أنه عليه السلام كان أعبد أهل [صفحة ١٣٢] زمانه و أزهدهم فى الدنيا حيث شهدت له ألقابه بعبادته، فمن زين المجتهدين الى العبد الصالح و النفس الزكية، و الصابر، و الكاظم [٢١٨]، الى غير ذلك من الألقاب المشيرة الى صفاته المقدسة، و عبادته المتواصلة حتى أنه كان يصلى نوافل الليل اذا دخل ثلثه الأخير، و يستمر فى الصلاة الى طلوع الفجر، فاذا جاء وقت صلاة الصبح صلاها ثم يشرع فى الدعاء و البكاء من خشية الله حتى تخضل لحيته بالدموع و يغشى عليه أحيانا لخشوعه و بكائه [٢١٩]. و نقل هنا بعض مناقبه و فضائله الكثيرة:

سمو أخلاقه وسعة صدره

يروى الرواة عنه أن رجلا من ولد عمر بن الخطاب كان بالمدينة يؤذيه، و يشتم عليا عليه السلام فقال له بعض حاشيته: دعنا نقتل هذا الفاجر، فنهاهم عن ذلك أشد النهى و زجرهم أشد الزجر، و سأل عن العمرى فى بعض الأيام فقليل له: انه يزرع بناحية من نواحي المدينة، فركب اليه فى مزرعته فوجده فيها فدخل المزرعة بحماره، فصاح به العمرى: لا تطأ زرعنا فاستمر فى طريقه حتى انتهى اليه

فتزل و جلس عنده و جعل يضاحكه، ثم قال له: كم غرمت فى زرعك هذا؟ قال: مائة دينار، قال: فكم ترجو أن تصيب منه؟ قال: انا لا- نعلم الغيب، فقال له الامام: انما قلت لك كم ترجو أن يجيئك منه، قال: أرجو أن يجيئنى مائتا دينار فأعطاه ثلاثمائة دينار، و قال: هذا زرعك على حاله، فقام العمرى و قبل رأسه و انصرف، فذهب الامام الى المسجد فوجد العمرى جالسا فلما نظر اليه قال: «الله أعلم حيث يجعل رسالته»، فوثب أصحابه و قالو له: ما قصتك لقد [صفحة ١٣٣] كنت تقول خلاف هذا، فخاصمهم و شاتمهم و جعل يدعو لأبى الحسن موسى بن جعفر عليه السلام كلما دخل و خرج، و قال أبو الحسن لحاشيته الذين أرادوا قتل العمرى: أيما كان خيرا ما أردتم أو ما أردت أو ما أردت أن أصلح أمره بهذا المقدار [٢٢٠].

كرمه و سخاؤه و زهده فى الدنيا و مغرباتها

جاء فى كتاب تاريخ بغداد فى رواية بسنده الى ادريس بن أبى رافع عن محمد بن موسى أنه قال: خرجت مع أبى الى ضياعه «بساية» فأصبحنا فى غداة باردة و قد وفدنا منها و أصبحنا على عين من عيون «بساية» فخرج الينا من تلك الضياع عبد «زنجى فصيح مستترن بخرقة، على رأسه قدر فخار يفور، فوقف على الغلمان و قال: أين سيدكم؟ فقالوا: هو ذاك، فقال: أبو من؟ فقالوا له: أبو الحسن، فوقف عليه و قال: يا سيدى يا أبالحسن هذه عصيدة أهديتها اليك، فقال له: ضعها عند الغلمان، فأكلوا منها، ثم ذهب و رجع و على رأسه حزمة حطب، فقال له: يا سيدى هذا حطب أهديته اليك قال: ضعه عند الغلمان و هب لنا نارا، فذهب و جاء بالنار، و كتب أبو الحسن اسمه و اسم مولاة و دفعه الى و قال: يا بنى احتفظ بهذه الرقعة حتى أسألك عنها، فوردنا الى ضياعه و أقام بها ما طاب له، ثم قال: امضوا بنا الى زيارة البيت فخرجنا حتى وردنا مكة، فلما قضى أبو الحسن عمرته دعا صاعدا و قال: اذهب و اطلب لى هذا الرجل فاذا علمت بموضعه فأعلمنى حتى أمشى اليه فانى أكره أن أدعوه و الحاجة لى، قال صاعد: فذهبت حتى وقفت على الرجل، فلما رآنى عرفنى و كنت أعرفه و كان تشيع فسلم على و قال: أبو الحسن قدم، قلت: لا، قال: فأى شىء أقدامك؟ قلت: حوائج، و قد كان علم مكانه بساية، فتبعنى و جعلت أنقصى منه و يلحقنى، فلما رأيت أنى لا أتفلت منه مضيت الى مولاى و مضى معى حتى أتيت فقال لى: ألم أقل لك لا تعلمه، فقلت: جعلت فداك، لم أعلمه. [صفحة ١٣٤] ثم قال له الامام عليه السلام: أتبعنى غلامك فلان؟ فقال له: جعلت فداك الغلام و الضيعة و جميع ما أملك أقدمه لك، فقال: أما الضيعة فلا أجد أن أسلبكها، و قد حدثنى أبى عن جدى أن بائع الضيعة ممحوق و مشتريها مرزوق، و أصر الرجل على تقديمها له، و أخيرا اشترى منه الضيعة و الغلام بألف دينار، ثم أعتق العبد و وهب له الضيعة. - و جاء فى مقاتل الطالبين بسنده عن يحيى بن الحسن أنه قال: كان موسى بن جعفر اذا بلغه عن الرجل ما يكره بعث اليه بصره دنانير و كانت صراره ما بين ثلاثمائة الى المائتين و يضرب بها المثل.

عبادته و تقواه

كان الامام الكاظم عليه السلام كثير الصلاة و التهجد و المواظبة على الطاعات و العبادات [٢٢١] يبيت الليل ساجدا و قائما، و يقطع النهار متصدقا و صائما، حتى أن كثيرا من حوادث اعتقاله تمت و هو يؤدى طاعة أو عبادة. مرة أصدر هارون أمره باعتقال الكاظم عليه السلام فذهب جلاذوه الى الامام عليه السلام فصادف أن الامام عليه السلام لم يكن فى المنزل، أين كان؟ كان فى مسجد النبى صلى الله عليه وآله و سلم، حيث كان عليه السلام مشغلا بالصلاة فلم يمهله حتى يتم صلاته بل أخذوه و هو فى الصلاة، و جروه جرا من مسجد النبى صلى الله عليه وآله و سلم، فنظر عليه السلام الى قبر الرسول صلى الله عليه وآله و سلم و قال: «السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا جداه انظر الى أمتك ماذا تفعل بأبنائك؟» [٢٢٢]. - قالت أخت السندى: و قد سجن الامام عليه السلام فى بيت أخيها - كان اذا صلى العتمة حمد الله و مجده و دعاه، فلم يزل كذلك حتى يزول الليل، فاذا زال الليل قام يصلى حتى الصبح، ثم يذكر قليلا حتى تطلع الشمس، ثم يقعد [صفحة ١٣٥] الى ارتفاع الضحى، ثم يتهيا و يستاك و يأكل، ثم يرقد الى قبل الزوال، ثم

يتوضأ و يصلى العصر، ثم يذكر فى القبلة حتى يصلى المغرب، ثم يصلى ما بين المغرب و العتمة فكان هذا دأبه. و كانت أخت السندي اذا نظرت اليه قالت: خاب قوم تعرضوا لهذا الرجل [٢٢٣]. [صفحة ١٣٦]

نماذج منتقاة من جوامع كلمه و درر حكمه

اشاره

عاش الامام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام فى دائرة الرسالة و مهبط الوحي و تربى على نهج القرآن الكريم و آداب و خلق الرسول صلى الله عليه و آله و سلم و الأئمة عليهم السلام، لذلك كان من الطبيعى أن يتميز بأخلاق رفيعة و قيم نبيلة سامية تميزت، ليس فقط فى أقواله و حكمه و وصاياه، بل أيضا فى سلوكه و أفعاله. و قد أراد عليه السلام من خلال هذا التراث الارشادى و الوعظى أن ينتصر لقيم و مبادئ المجتمع الاسلامى الفاضل، و يهذب نفوس الناس من دنس الخطايا و الرذائل، و يحملهم على التزام الفضائل و الخصال الحميدة العليا [٢٢٤]. و فى ما يلى يمكن أن نعطي لمحة عامة و سريعة عن بعض كلمه الطيب عليه السلام فى مجال الممارسة الاجتماعية الواعية و ندرس - على ضوء ذلك، و فى جانب معين - فلسفة القيم فى الاسلام: ١- التقوى و العمل الصالح. ٢- محاسبة النفس (النقد الذاتى). ٣- العلم و المعرفة. ٤- الرفق و اللين.

التقوى و العمل الصالح

اشاره

يقول الامام الكاظم عليه السلام فى تعريفه للتقوى: «يا بنى اياك أن يراك الله [صفحة ١٣٧] فى معصية نهاك عنها، و اياك أن يفقدك الله عند طاعة أمرك بها، و عليك بالجد، و لا تخرجن نفسك من التقصير فى عبادة الله و طاعته، فان الله لا يعبد حق عبادته» [٢٢٥]. تمثل التقوى روح الانضباط و الالتزام أمام الله، لأن علاقة المؤمن بربه ليست علاقة مجردة أو مفصولة عن أصل وجود الانسان فى الحياة فى حاضره و فى مستقبله، بل هى علاقة أصيلة تتصل بكل وجود و امتداد هذا الانسان، الذى خلق بارادة الله تعالى و تحرك فى الحياة فى كل ما أودعه فى جسمه من شروط الحياة و ما أعطاه من النعم المحيطة بكل حياته من كل عناصر الحياة، بحيث يعيش فى نفسه حالة الهيبة و الاجلال لربه، و تلك هى التقوى فى جوانبها الثلاثة [٢٢٦].

تقوى الفكر (الخط الفكرى)

أن يكون فكرك تقيا يعنى أن تلتزم المبدأ و القيمة التى تقودك الى الخير، و أن تبعد عن الطرق و الأساليب التى يمكن أن تحرك فكرك و موقفك نحو الشر و الظلم.

تقوى القلب (الخط العاطفى)

و هى أن تجعل قلبك خالصا لوجه الله، كله لله فلا- تحب أحدا الا- من خلال الله و لا- تبغض أحدا الا من خلال الله، أى أن تكون عاطفتك و وجدانك و احساسك تحت امره الله (و الذين آمنوا أشد حبا لله) [البقرة: ١٦٥]، ان حركة التقوى القلبية يجب أن تختزن فى عمقها الانسانى معنى التولى: فى الالتزام بالله و التزام أوليائه، و معنى التبرى: فى الابتعاد عن الشيطان و عن أوليائه، أى أن لا ندخل

أحدا الى حرم القلب الا من خلال الله سبحانه و تعالى. [صفحة ١٣٨]

تقوى الحركة (الخط الحركي)

وهي تعني أن لا تقدم رجلا في أي طريق تريد أن تتحرك عليها ولا تؤخر أخرى حتى تعلم أن ذلك لله رضا، وبهذا المعنى نفهم أن على الانسان المسلم أن يتعلم دينه و يعيش ثقافته اسلامه، و أن يعرف ربه، ماذا أراد منه؟ و ما صنع به؟ لأنه اذا تغاضى عن ذلك السبيل، و أحجم عن معرفة ربه، و كان جاهلا لنعمه و فضله و كل ما يتصل بحركته في الحياة، فانه لن يتمكن أبدا من الوصول الى الطريق المستقيم ليسير عليها، بل سيكون كما قال ذلك الشاعر: اذا الريح مالت مال حيث تميل و لا بد، في هذا المجال، للانسان الملتزم من أن يعمل على رعايته و حفظ امتداد تقواه في الحياة بأن يحمي اسلامه من كل ما يمكن أن يضعفه، و من كل ما يمكن أن ينحرف به عن الخط و الصراط المستقيم، بحيث يكون واعيا لكل مفردات اسلامه و واعيا لحركة هذه المفردات في الواقع و في مواقفه عندما يؤيد و يرفض، و يثنى و يهجو، في قوله و فعله. و في ضوء هذه الرؤيا العامة يريدنا الامام الكاظم عليه السلام أن نعيش حالة طوارئ تقوائية - اذا صح التعبير - في الفكر التقى، و العاطفة التقيّة، و الحركة التقيّة، و العلاقات التقيّة و الأوضاع التقيّة، (و تزودوا فان خير الزاد التقوى) [البقرة: ١٩٧] بخاصة و نحن نعيش في واقع مضطرب في كل واقعه و أوضاعه، لأن التقوى - كمفردة نفسية و سلوكية تنطلق من ذات الانسان، من ارادته و وعيه و التزامه الأولى بميثاق الفطرة و خط الله تعالى في الحياة - تدفعك، و أنت الانسان الملتزم، الى أن تواظب دائما على مراجعة و مراقبة نفسك و قلبك و سلوكك و فكرك حتى تصنع من نفسك نموذجا متكاملًا للانسان الالهي المسؤول و الواعي (انسان قيم الله المثقف دينيا) المنفتح على الله و الذائب في قيمه و صفاته العالوية، و الفاهم للغة زمانه، و معارف عصره، و أوضاع مجتمعه، و المواكب لتحولات حياته المعاصرة، متعهدا بقضايا و مصائر اخوته في [صفحة ١٣٩] الانسانية على مستوى عقله و حرته و شعوره بالمسؤولية الكبيرة تجاه انجازاته الحضارية الطموحة [٢٢٧].

محاسبة النفس (النقد الذاتي)

اشاره

يقول عليه السلام في وصيته لهشام: «يا هشام ليس منا من لم يحاسب نفسه في كل يوم، فان عمل حسنا استزاد منه، و ان عمل سيئا استغفر الله منه و تاب اليه» [٢٢٨]، و يقول عليه السلام: «يا هشام، أصلح أيامك، الذي هو أمامك، فانظر أي يوم هو و أعد له الجواب، فانك موقوف و مسؤول، و خذ موعظتك من الدهر و أهله، فان الدهر طويلة قصيرة» [٢٢٩] تعتبر قضية النقد الذاتي - نقد الانسان لنفسه أو نقد الانسان لغيره - من القضايا الأساسية التي يؤكدها الاسلام على مستوى حياة الانسان الفردية و الاجتماعية ضمن مسؤوليته في صعيد خط الدنيا و خط الآخرة، لأنه اذا كان هدف التشريع الاسلامي بناء الانسان المسلم السوي الغني، اسلاميا، في وعيه و سلوكه، فان مسيرة الانسان و كدحه الارتقائي نحو تلك الأهداف، تخالطها سلبيات و أخطأ كثيرة بعضها محسوبة و بعضها الآخر غير محسوب، لذلك يكون النقد الذاتي محطة مراجعة للنفس لدراسة المواقع السلبية و العمل على معالجتها و محاولة تلافيتها في المستقبل و يكون، في الوقت نفسه، أيضا محطة لتأصيل الممارسة الايجابية في الواقع اليومي، لأن قضية الانسان هي قضية فكره و عاطفته و حركته، و قد يخطئ الانسان فيها و قد يصيب، و قد يخطئ الناس و قد يصيبون، و لعل من مميزات الاسلام أن لا يحمل الانسان مسؤولية نفسه فقط، ولكنه يحمله مسؤولية كل السلبيات الاجتماعية بالمستوى الذي يستطيع فه أن يخفف منها أو يزيلها، أي أن الاسلام يعطي الانسان فرصة لممارسة النقد و الحساب الذاتي لسلوكه و فكره و انتمائه و حركته. [صفحة ١٤٠] و في ضوء هذا الخط

العام يجب على الانسان أن يكون معنيا بنقد نفسه و من ثم بنقد الناس من حوله، و هذا ما اختصره القرآن الكريم فى الجانب المتصل بحياة الانسان الفردية سواء منها ما يتصل بالدنيا أو بالآخرة، و ذلك فى قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله و لتتقوا أنفسكم ما قدمت لعد و اتقوا الله ان الله خبير بما تعملون) [الحشر: ١٨]. من هنا يكون النقد للنفس بحثا موضوعيا عن المناطق الخفية السلبية فى داخل الذات، من أجل تعزيز بنائها و ارادتها بتقوى الله، فى الفكر و العاطفة و الوجدان و الحركة، لأن مسألة «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا و زنوها قبل أن توزنوا» هى مسألة تعنى أن نجاهد أنفسنا، أن نحاكمها، و الخطر الأكبر يأتى من: ١- تزيه المرء لنفسه، و رضاه عنها، و تضخيمه لها، و جعلها فى منأى من النقد و المصارحة، و القرآن يقول: (فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى) [النجم: ٣٢]. و الكاظم عليه السلام يقول: «من تعظم فى نفسه لعنته ملائكة السماء و ملائكة الأرض» [٢٣٠]، كذلك يأتى الخطر، فى المجال نفسه، من تضخيم الآخرين لك، يقول الكاظم عليه السلام لتلميذه هشام بن الحكم: «لو كان فى يدك لؤلؤة و قال الناس انها جوزة و أنت تعلم أنها لؤلؤة ما ضرك، و لو كان فى يدك جوزة و قال الناس انها لؤلؤة ما نفعك» [٢٣١] أى لو أتى الناس اليك مجتمعين، و ضخموا لك شخصيتك و رفعوا من شأنك ذاتيا، و قالوا: أنت العظيم الذى ليس أحد مثله، و أنت تعرف بواطن الأمور و خفايا الكلام، فى أن علمك مثلا أو موقعك يمثل عشرة أو عشرين بالمئة، فلا تتخدع بكلام الناس و لا تؤخذ بأقوالهم لأنك اذا خدعت ستسقط لا محالة، من هنا يدعونا الكاظم عليه السلام - فى وعينا لمسألة النقد - أن نفهم أنفسنا، و نعرف مواهبها و قدراتها كما هى بعيدا عن كلام [صفحة ١٤١] الآخرين، فاذا فهم الانسان نفسه و رأى فيها خيرا و صدقا، و أنها ترضخ لعملية الحساب و النقد، و رأى الناس غير ذلك، فان هذا لا يضره و لا يسقطه و لو شتموه أو سبوه، لأنه يعلم حقيقة ذاته فى شعوره بأصالته و قوته و صلابته، و اذا رأى فى نفسه غير ذلك و مدحه الناس و هو ليس بمستوى المدح فانه لا يعظم شخصيته أبدا. ٢- نقد الآخرين و تجريحهم قبل نقد الذات، و هذه هى مشكلتنا فى كل ما نعيشه من مواقع و مسؤوليات، أننا نعرف الناس أكثر من معرفتنا لأنفسنا، بحيث اننا نستطيع أن نحصى، بدقة، سلبيات و أخطاء الآخرين، و نقدم بذلك تقارير و بيانات مفصلة عن عيوب الناس و ثغراتهم ولكننا نعجز أو، بالأحرى، لا نملك الارادة و العزيمة التى يمكن أن تمنحنا فرصة فى أن نجلس مع أنفسنا جلسة مصارحة و صدق لنسأل: ما هى عيوبنا نحن؟ و ما هى أفكارنا؟! و ما هو خطنا السياسى؟ و ما هو خطنا الاجتماعى؟، فهل نستطيع أن نجيب الا بطريقة مبهمه و ضبابية و بلغه غير مفهومه؟ لذلك نقول دائما: ان فهمك لنفسك و محاسبتك لها هو مدعاة لفهم الآخرين لك، كما يعبر الامام على عليه السلام عن ذلك فى قوله المشهور: «احصد الشر من صدر غيرك بقلعه من صدرك» أى أن تفتح على الآخرين من موقع و عيك لمعالم ذاتك و خصائصها، أن تقمع أصل الشرور فى داخلها، ثم تطل على الآخرين من موقع الوعى و المحاوره الايجابية قبل أن توجه اتهاماتك اليهم بأنهم هم المسؤولون عن الشرور و الأخطاء. اذا علينا جميعا أن نبدأ بحركة نحو داخلنا فى أن نفهم أنفسنا و واقعنا، ذاتيا و موضوعيا «من عرف نفسه عرف ربه» أن نعرف خطونا الفكرية، و خطونا العاطفية و أيضا الحركية، حتى نعرف أن نمشى على الدرب الطويل، فكيف يمكن لك أن تستقيم على الطريق قبل أن تعرف هذه الطريق؟. فى الواقع نحن نعتبر أنفسنا، للأسف، فوق ميزان النقد، بل قد نصل الى مرحلة نفكر فيها بأن نكون نحن المقياس فى أية عملية نقدية هذه، حقيقة، درجة خطيرة من الشعور بالأناية و التضخم الذاتى، وصلنا اليها فى كثير من [صفحة ١٤٢] مواقع حياتنا، و يبدو أن هذا الجيل (جيل السرعة و الفضاء و الخيال) بدأ يتحرك منذ فترة على الطريقة نفسها، لكننا نقول بأنه مهما كانت ظروف العمل و الدعوة صعبة، يجب علينا جميعا، كمتقنين و دعاة، ألا نياس من ممارسة سبل الدعوة و النقد الموضوعى المتوازن، حتى لو رفضت ساحة المجتمع خطابنا و دعوتنا الفكرية، صحيح أن خطابنا الدينى يعانى، بشكل عام، كثيرا من الخلل و الارتباك، حيث لا يزال يعيش، فى مفرداته و أسلوبه، المفردات القديمة التاريخية، لكن الأمر الذى يلقى علينا مسؤوليات جديدة هو فى أن نظور صيغ ذلك الخطاب، خاصة الخطاب الدينى الموجه للشباب، بحيث يرى فيه الشباب تطلعاتهم و آمالهم و يرى فيه الانسان، كل انسان، الخطاب الذى يلامس عقله و روحه و قلبه و حياته، طبعاً أنا لا أقول: أن نسقط تحت تأثير مفاهيم و صيغ العصر الراهن المنحرفة و المبتدلة، لكن لا بد أن نعمل على أن نصوغ الخطاب الاسلامى

بأساليبه و مفرداته فى اطار الواقع الذى يعيشه الناس من أجل أن يستجيب لتطلعات المرحلة و الواقع. لأن المسألة هى أن نمتلك الارادة و الاصرار و المثابرة و الصبر على الدعوة فى خطها لايجابى و السلبى، فى أن نلاحق الناس لنثير اهتماماتهم بالدين من خلال من يمكن أن تقدمه من المفاهيم المضيئة و المشرقة للدين حتى يحاوروا فيه و يقتنعوا به فى نهاية المطاف، و علينا أن لا نتعقد من وجود مجتمع لا- يفتح على النقد الايجابى فى وعيه لمسألة الدين، و لا- يتحرك نحو الدين و المسجد، و لا- يستمع الى موعظة الواعظين و نقد الناقدين لأن الله أمرنا أن نقول الحق من ربنا فى كل ساحاته (و من شاء فليؤمن و من شاء فليكفر). ان نقد المجتمع لبعضه على المستوى الفردى، و نقد المجتمع لبعضه على المستوى الجماعى، أى القيام بمسؤولية الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، هو واجب و ضمانه حقيقىة لسلامة المجتمع بكل آفاه و مواقعه. انه النقد الذى يمكن أن يتحرك بالنظرة أو بالكلمة، من هنا يجعلنا النقد الواعى و البناء - فى هذا المجال - نكتشف واقعنا و واقع الآخرين، و ذلك بالوسائل [صفحة ١٤٣] الحضارية التى أشار اليها الله تعالى فى قوله: (و لا تستوى الحسنه و لا السيئه ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك و بينه عداوة كأنه ولى حميم) [فصلت: ٣٤]. و هنا تساءل: كيف نمارس النقد؟! و ما هو النقد المرفوض و النقد المقبول؟.

النقد الذاتى المرفوض

إشارة

ينطلق النقد للآخرين من خلال الشعور العالى بالمسؤولية عن هذا الآخر، لا لتصيد عيوبه، و نلتقط نقاط ضعفه لنستغلها و نبتزه من خلالها فيما بعد، ولكن نقوم بذلك النقد بقصد الاصلاح و البناء و التغيير نحو الأفضل، ان الاسلام يرفض هذا النمط من النقد فى العلاقة بين المؤمن و المؤمن، أى النقد من أجل أن تعير أو من أجل أن تعنف أو من أجل أن تسقط أحاك، لأنه نقد غيابى قائم على أساس اطلاع الآخرين على عيوب أخيك و حديثك عنها أمام الملاء، حيث أن الغيبة هى ذكرك أحاك بعيب مستور لا يرضى بكشفه و لا يقبل باظهاره، و العيوب الخفية هى المنطقة المحرمة التى لا يريد الاسلام لك أن تكشفها للآخرين (و لا يغتب بعضكم بعضا) [الحجرات: ١٢].

النقد الذاتى الموضوعى المقبول

إشاره

و هو النقد الذى يبنى على التقوى فى طبيعة الاطلاع على خطأ معين فى فكر الآخر (المؤمن مثلا) أو اكتشاف عيب فى خلقه أو سلبية فى حركته، هنا يكون من الواجب عليك - كانسان رسالى تعيش عمق التقوى لله - أن تقبل على أخيك بالكلمة الطيبة و الحلوة وفق المبدأ القرآنى المعروف: (و قل لعبادى يقولوا التى هى أحسن) [الاسراء: ٥٣] فلا تضغط عليه و لا ترهقه بالكلمة الثقيلة الحادة، قلها خفيفة على قلبه، قوية فى عقله، مؤثرة فى سلوكه و فعله، قلها سرا و لا تقلها علانية «من وعظ أخاه سرا فقد زانه من وعظه علانية أمام [صفحة ١٤٤] الناس فقد شانه» [٢٣٢] عليك، اذا، أن تنقد أحاك من أجل أن تصلح أمره، و تحسن وضعه و حاله، لتنقله من مستوى الضيق الى مستوى الانفتاح و السعة. و هذا هو الخط الذى يريدنا الامام الكاظم عليه السلام أن نتحرك عليه، و هو أن الذى يهدى اليك عيبك الذى تعيش معه، فانه يفتح لك الطريق من خلال اكتشاف عيبك الذى لم تكتشفه أنت لتصلح نفسك و تقوم مسارك و حركتك، فتبقى بلا- عيب من خلال ذلك. على هذا الصعيد يجب أن يمتاز الانسان الناقد بميزة هامة كما يعبر عن ذلك الامام

الكاظم عليه السلام في قوله: «أبلغ خيرا و قل خيرا و لا تكن أمعة، قلت: و ما الأمعة قال: لا تقل أنا مع الناس و أنا كواحد من الناس، ان رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم قال: يا أيها الناس انما هما نجدان: نجد خير و نجد شر، فلا يكن نجد الشر أحب اليكم من نجد الخير» [٢٣٣] أى أنه لا داعى للانسان الناضج و الواثق بفكره أن يستعير ثقته من الآخرين، بل عليه أن يدرس نفسه، و يعرف رصيده، في علمه و فقهه و وعيه و موافقه، و بمعنى مماثل يجب على الانسان الذى يعيش فى مجتمع الأسرة أو القرية أو المدينة- عندما ينطلق فى عملية الابلاغ و النقد - عليه ألا يسقط تحت تأثير مفاهيم و قيم المجتمع، من دون دراستها و عرضها على محكمة العقل و التفكير السليم. هل هى مفاهيم خيرة بذاتها أم شريرة؟ هل تنسجم مع الخط الاسلامى أم لا؟. فالكثير من الناس يحبون دائما أن يعيشوا تحت ظل تراثهم المحيط بهم، و يلزموا مفاهيم عوائلهم و عشائرتهم و قراهم و الناس من حولهم، من هنا جاءت كلمة الكاظم عليه السلام: «أبلغ خيرا»، عندما تريد أن تتحدث، أو تبلغ أو تنقد، تحدث بالخير «و قل خيرا» ليكن كلامك و ابلاغك فى الخير «و لا تكن أمعة» و الأمعة هو الذى يسأل عن رأيه فى أية قضية من القضايا، فيقول: أنا مع الناس، و الامام عليه السلام ينهى هنا عن أن يكون الانسان من دون شخصية و موقف، لأنه لا يريد للانسان المسلم أن يسقط موافقه، فكما للناس الآخرين عقل، فله عقل، و كما لهم موازينهم فله موازينه، و كما أن لديهم طرقهم فى ممارسة النقد و محاسبه [صفحة ١٤٥] النفس، فهو أيضا له طرقه و أساليبه فى هذا المجال لأنه يتحمل مسؤولية كلمته و موافقه و نقده فى الدنيا و الآخرة، و قد قال رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم: «انما هما نجدان، نجد خير و نجد شر فلا يكن نجد الشر أحب اليكم من نجد الخير». فالحياة طريقتان: اما خير أو شر، و لذا يخاطب رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم الانسان المسلم بأن يفكر فى الخير - حتى فى تحمله لمسؤولية النقد - فى الموقف العقيدى و الشرعى و السياسى و الاجتماعى و الاقتصادى و الأمنى - و فكر، أيها المسلم، بالخير فاتبعه حتى و لو وقف الناس كلهم ضدك لأنك عندما تتحمل مسؤولية وجودك و انتمائك، فانك تتحمل مسؤولية موافقك و قراراتك و خياراتك التى سيحاسبك عنها الله تعالى فى يوم القيامة فى كل كلمة نقديت قلتها، و كل موقف ناقد اتخذته، (يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها) [النحل: ١١].

تساؤل و استنتاج نقدي

كيف يمكن أن تمارس الحركة الاسلامية المعاصرة عملية النقد الذاتى الحضارى؟! دخلت الحركة الاسلامية المعاصرة - فى بداية عقد التسعينات - فى مرحلة جديدة على صعيد مكوناتها الذاتية و الموضوعية، و ممارساتها الحركية فى ميدان الواقع فى عصر شهد تحولات و تغيرات سياسية و فكرية ذات تعابير و خصوصيات دقيقة و متنوعة. شكلت، بمجملها، مفصلا هاما فى واقع العالم الحديث الذى يعبر، حاليا منعطفًا تاريخيا جديدا فى مسيرة حركة التقدم البشرى [٢٣٤]. [صفحة ١٤٦] و كانت فترة الثمانينات قد شهدت تحقيق بعض المكاسب و الانتصارات لمسيرة العمل الاسلامى و فى مقدمة تلك التحولات و المكاسب وصول الحركة الاسلامية الى الحكم السياسى فى ايران، و دخول الحركة الاسلامية فى لبنان فى حرب مواجهة عسكرية و أمنية حقيقية ضد الكيان الصهيونى، و تقدم [٢٣٥] الجهاد الاسلامى فى أفغانستان، و تطور مستوى الكفاح و النضال عند المسلمين فى بعض مواقع العمل فى الوطن العربى و الاسلامى، و تنامى الصحوة الاسلامية التى كانت علامة فارقة على تسييس الشارع الاسلامى، و يجب ألا ننسى، فى هذا المجال، الحدث الانتفاضى الكبير - اذا صح التعبير - الذى تمثل بالانتفاضة الشعبية العارمة فى الضفة و القطاع فى الأرض المحتلة و التى كان لها أعمق الأثر على طبيعة موازين حركة الواقع العربى و الاسلامى. ازاء كل هذه التحولات السريعة على مستوى العمل الحركى الاسلامى العالمى يمكن أن نتساءل: الى أى مدى نجحت الحركة الاسلامية فى وعى الواقع و استيعاب الأحداث و مراجعة الخيارات و الحسابات المطروحة أمامها؟ و الى أين وصلت نظيراتها الفكرية و السياسية، و كيف تخطط للعقد القادم المليء بالأحداث و المفاجآت؟ بمعنى آخر: كيف تنظر هذه الحركة، من خلال سياساتها و استراتيجياتها، الى مواقع العمل و الدعوة العالمية الراهنة؟ هل [

صفحة ١٤٧] عملت، تلك الحركة، على دراسة تجربتها و تجارب الحركات الأخرى السابقة؟ أين هي الايجابيات و مواقع الاشرار؟ و بالمقابل أين هي السلبيات و مواقع الظلمة؟ و لعل السؤال الأخطر بين كل تلك الأسئلة هو: ما هو موقع النقد و النقد الذاتى و محاسبة النفس و الذات الاسلاميه - اذا صح التعبير - من أفكار و مبادئ الحركة الاسلاميه المعاصرة؟! خلال الفترة الماضيه، تفاعلت الحركة الاسلاميه بصورة مباشرة، مع الواقع اليومى و مارست فيه نشاطات و فعاليات مختلفه و انخرطت، بشكل أو بآخر، فى اطار تطورات الواقع السياسيه و الاجتماعيه حتى باتت طرفا فاعلا و مؤثرا فى بنيتها و مكوناته و مجرياته و أحداثه؛ الأمر الذى جعل أفكار و نظريات الاسلاميين أكثر احتكاكا و تواسلا و قربا من مجريات التطبيق الواقعي، و بالتالى أصبح بالإمكان انضاج «و تشذيب» تلك المبادئ و الطروحات، خاصة بعد أن تعاضمت تحديات و متغيرات العصر الراهن. اننا نستطيع أن نقول - بعد النظر الى مسيره الاسلاميه المستنيره حاليا - ان عقلها الاسلامي قد أصبح أكثر وعيا و انفتاحا واتساعا، حتى أنه قد أنضج مفهوم النقد و النقد الذاتى، و ان كان ذلك الأمر لا يزال، على مستوى السلوك و الممارسه، بحاجة ماسه الى ترشيد موضوعى سياسى و اجتماعى و أخلاقى. اننا نعتقد أن المرحلة الحاضره هى فى أشد الحاجة الى بناء عمليه النقد و النقد الذاتى بطريقه حضاريه تتسع للجميع، و فى الوقت نفسه هى بحاجة أيضا - و كما ذكرنا - الى توعيه و ترشيد سلوكى منظم فى تكوين ممارسه نقديه فاعله و قادره على الاستجابه لتحديات الحضاره الحديثه. فالأولى الآن نقد الذات، أى نقد الفكر و نقد النقد، كرهان ايجابى للخروج من المأزق الذى نعيشه راهنا، و لا حاجة بنا الى التكرار بأن النقد ليس مجرد دحض للمقولات القائمه، أو اضافة لبعض المفاهيم السائده، أو تفكيك الآليات المعرفيه الاسلاميه القائمه أو اضافة و نقد محداداتها العامه، و لا هو اقصاء للرموز و الأسماء و الشخصيات بالعكس: ان النقد هو البحث و التقصى الدائب عن امكانيات و فضاءات عامه [صفحة ١٤٨] للتغيير و الحركة، انه محاوله توليد امكانيات جديده للقول و الممارسه و العمل. بالدخول الى كل ما يخرج عن نطاق التفكير من المناطق المجهوله المستعبده أو المطموسه فى ذاكرتنا و وعينا و حتى فى حضارتنا اننا نحتاج، من خلال النقد، الى اعاده صياغه حضاريه لعلاقتنا مع الوجود و العالم عبر قراءه الواقع و تشخيصه و خلق لغه فاعله تنتج تصورات و مفاهيم عمليه جديده يمكن أن تساهم فى تشخيص الواقع و اجترار القدرات أو ابتكار الحول و فتح الآفاق المسدوده، من هنا تكون احدى أهم وظائف و مهام المثقف الناقد و المراجع انخراطه النوعى الفعال فى الزمن الحاضر [٢٣٦]، بحثا و استقصاء عن مواقع جديده للتأثير فى طبيعه الأحداث الراهنه فى تغيير بعض معالم الفكر السائد، و ذلك لاعاده تنظيم و رسم خارطه القوه و علاقات السيطرة الموجوده، و المشكله الكبرى التى تقف أمام تقدم هذا العمل هو عدم الجمع بين الأصول العقيديه الاسلاميه و العلوم الاجتماعيه، أى ربط العقيديه بواقع المجتمع و الحياه المعاصره من أجل أحداث تلك التغييرات الكميئه و الكيفيه التى تتوقف على وجود رؤيه فكريه واضحه المعالم لتحقيق المثل الأعلى، فمثلا التوحيد - كأصل عقيدى - ينطوى على الايمان بالله تعالى كهدف أعلى و نموذج أرقى للمسيره الحضاريه و التكامليه البشريه، أما الرؤيه الاجتماعيه للعبد التوحيدي فانها توحد و تماهى بين العقيديه التوحيديه، و دافع الحياه الفردى و الاجتماعى، بين المثل و الطموح و الهدف، و بين التطلعات البشريه، و جعلها تحت ظل هذا [صفحة ١٤٩] المثل الأعلى الذى هو علم و قدره كله، عدل و رحمه كله، و انتقام من الجبارين كلهم. ان عقيدته التوحيد تقدم لنا المثل الأعلى (الله تعالى) الذى تتوحد فيه كل الغايات و الطموحات، بينما الرؤيه أو النظرة التطبيقيه الاجتماعيه لعقيدته التوحيد تعلمنا أن نتعامل مع صفات الله، و أخلاق الله، لا بوصفها حقائق عينيه منفصله عنا، كما تعامل معها فلاسفه الاغريق [٢٣٧]، و انما نتعامل مع هذه الصفات و الأخلاق بوصفها رائدا عمليا و هدفا لمسيرتنا العمليه، و بوصفها مؤشرات على الطريق الطويل للانسان نحو الله سبحانه و تعالى: (يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه) [الانشقاق: ٦]. و هكذا بالنسبه لبقية الأصول العقائديه الاسلاميه التى يجب أن نقيم، من خلال فهمنا لها و للأصول الاجتماعيه الأخرى، ارتباطا عمليا بين عقائد التوحيد من جهه و بين ما يترتب عليها من التزامات و تعهدات و اجراءات عمليه على أرض الواقع، على هيئه استعدادات و تهيئات مسبقه من جهه أخرى، بناء على ذلك نجد ضروره قصوى فى أن ينصب النقد [٢٣٨] حاليا على الجوانب الحضاريه فى الحركة الاسلاميه المعاصره خاصة الجوانب التى ذكرناها آنفا، و هو - فى الواقع

- تحد كبير يهدف، أساسا، الى ايضاح و ابراز - و من ثم نقد - معالم المشروع و المركب الحضارى الاسلامى الذى يعبر عن مضمون حضارة الاسلام و رؤيتها الكونية فى الحياة و الوجود و الانسان و الواقع الراهن كتجل لروح الاسلام و عقيدته التوحيدية بصورة قانونية و تشريعية فعالة فى كافة أوصال و أبعاد و اتجاهات الحياة و المجتمع السياسية و الفكرية و الثقافية و السياسية و الاقتصادية و التربوية، و يبقى السؤال المطروح فى ظل الوقائع و الظروف العامة الحافلة [صفحة ١٥٠] بالكثير من المتناقضات هل ننجح أم نفشل؟! نقول فى اجابتنا كخلاصة عامة لما تقدم: ان الحركة الاسلامية التى تمر اليوم بهذه التحولات و التقلبات الكثيرة ذات المعالم و السمات الكونية، هى بأمس الحاجة الى صياغة ذاتها و تحسين و وضعها الحضارى بين الأمم و الحضارات الأخرى، و ذلك على أسس و خصائص جديدة تطور من مشروعها و من وعيها لأبنيتها الداخلية فى علاقتها مع نفسها و مع الآخر فى الاتجاه الواقعى الحضارى، و لعل من أهم وسائل تحقيق ذلك: التزام النقد و المحاسبة الحضارية المنتجة و الفاعلة التى لها دور حاسم فى تغيير طريقة تفكير البشر و الارتفاع بنوعية ممارساتهم العقلية، أى بوعيتهم، و بالتالى فى تحسين قدرتهم (تنمية ارادتهم) على المبادرة التاريخية و الارتفاع بمستوى سلوكهم العملى الفردى و الجماعى، و أى مسعى للخروج من الأزمة الحالية (بما فيها أزمة عدم وجود نقد موضوعى هادف) لا بد و أن يبدأ باصلاح واقعنا السياسى، و نظرتنا الى السياسة بحد ذاتها، أى بتطوير الممارسة الجماعية و توفير فرص المبادرة و المساهمة المشتركة لجميع الناس فى المشروع الكبير لاعادة اكتشاف الانسان فى ثقافتنا الدينية و الدنيوية الحضارية و من ورائه اعادة انتاج و اختراع الحداثة. حداثة الانسان و الحداثة المؤنسة، و جوهر الجهد فى اصلاح السياسة لا يكمن فى الغاء أى عقيدة أو الدعوة الى تأويل أى نص دينى مقدس أو مدنى (بالمعنى السلبي) ولكن فى تغيير و تجديد قواعد التعامل بين مختلف الأطراف و السلطات الفردية و الجمعية الدينية و المدنية، أى فى تغيير شروط الممارسة الفكرية و العملية داخل النظام الاجتماعى، فهو الذى يسمح بتغيير التوازنات بين القوى و العناصر و التيارات و الرؤى المختلفة، و يساعد على نمو الأفكار و القيم و السلوكيات الجديدة، (خاصة النقدية منها).

العلم و المعرفة

يقول الامام الكاظم عليه السلام: «يا هشام، تعلم من العلم ما جهلت، و علم الجاهل مما علمت، عظم العالم لعلمه و دع منازعته، و صغر الجاهل لجهله و لا [صفحة ١٥١] تطرده ولكن قربه و علمه» [٢٣٩]، و يقول عليه السلام: «وجدت علم الناس قد اجتمع فى أربع: أن تعرف ربك، و أن تعرف ما صنع بك فى آياته (سنريهم آياتنا فى الآفاق و فى أنفسهم)، [فصلت: ٥٣]، و أن تعرف دينك، و أن تعرف ما يخرجك من دينك» [٢٤٠] لا شك بأن العلم من المقومات الحضارية الرفيعة المستوى، و هو لا يقل فى أهميته و جوهريته، بالنسبة الى الحضارة الانسانية، عن القيم الدينية و الأخلاقية. خاصة و أننا نعيش فى عصر لا يملك فيه الانسان - عندما يريد أن يفتح آفاقا واسعة الى فكره و التزاماته العملية - الا أن يكون عالما بلغه عصره فى السياسة و الثقافة و الاجتماع و الاقتصاد و الأمن و ما الى ذلك، بمعنى أنه لا بد للانسان أن يسعى لنيل درجات العلم و المعرفة فى شتى مجالات الحياة، و أن يطلع على حركة الفكر فى عصره و على اتجاهات الواقع فى كل شؤونه و شجونه السياسية و العملية لأن فهم لغة العصر هو شرط أساسى للدخول اليه و محاوره أهله، فعندما يكون علمك و فكرك علم و فكر للناس الذين كانوا يعيشون قبل مئات السنين فانت من جيل مضى و رحل لا تستطيع أن تحاوره الآن، لأنه مات و انقضى، أما الجيل الذى يعيش معك و يعاصر قضايا الحياة فى تنوعاتها و امتداداتها المختلفة، و أنت لم تعش فكره و لا- تطلعاته و لا- اتجاهات العلم فيه، فكيف يمكن أن تفاهم معه و تدعوه الى فكرك و قناعاتك؟! لذلك عليك أن تتعلم و تعرف - و أنت ابن العصر الحاضر - كل القوى و الاتجاهات التى تحاول أن تتحدى دينك فكرا و شريعة و منهجا و حركة. على ضوء ذلك يؤكد الدين الاسلامى على المعرفة و العلم كقيمة أساسية فى الحياة [٢٤١] تدفع الانسان اليها و تحمل الانسان المسؤولية من خلالها، و تجعل الانسان يعيش فى نفسه الشعور بأن الجهل لا يمثل عذرا للجاهل عندما يدفعه الجهل الى السير فى

المواقع التي تنحرف به عن خط المسؤولية الا اذا كان [صفحة ١٥٢] الجهل مشكلة واقعية تنطلق من خلال العناصر التي تطوقه من كل جانب فتمنعه من أن يجد أية نافذة تطل به على العلم [٢٤٢]، و بذلك يعتبر الاسلام العلم مسؤولية الانسان الجاهل الذي عليه أن يتعلم في كل ما أوكل اليه من المسؤوليات في المستوى الخاص و في المستوى العام، و هذا ما يشير اليه حديث الامام الكاظم الذي أوردناه في بداية حديثنا عن مسألة العلم، في قوله عليه السلام: «تعلم من العلم ما جهلت و علم الجاهل مما علمت». و هكذا نجد - كما يؤكد الكاظم عليه السلام - أن العلم مسؤولية العالم في أن يعلم الآخرين، تماما كما هي مسؤولية الجاهل في أن يتعلم لأن الجميع مسؤول عن التخطيط و العمل الدؤوب لبناء واقع الحياة الحضارية وفق مفاهيم و تصورات الاسلام، لذلك يجب أن ننطلق من موقع العلم في نظرنا الى أي مجال من مجالات الحياة و الوجود في حركة مسؤوليتنا تجاه هذه الحياة، و من أجل أن نبني حضارتنا على أساس العلم من حيث ما يمثله العلم من مسؤولية شاملة تنطلق بالانسان من معرفته لنفسه و معرفته لما حوله و معرفته لربه و معرفته لمسؤوليته عن كل مواقع الحياة، مما يجعل العلم يتحرك في كل جانب من جوانب الحياة التي يطل عليها الاسلام بحيث لا يرضى (الاسلام) لأي جانب من جوانب الحياة - ذاتيا على صعيد الفرد و موضوعيا على صعيد المجتمع و الأمة - أن يبقى غامضا في نطاق الجهل فمسؤولية الانسان هي أن يفتح كل النوافذ على حضارة المعرفة و أن يستنفر كل طاقاته و قدراته من أجل المعرفة و العلم لتكون المعادلة: ان معنى أن تكون انسانا، أن تكون عالما، و معنى أن تكون مؤمنا أن تكون متحركا في آفاق العلم، و معنى أن تكون مسؤولا أن تكون الانسان الذي يفتش عن المعرفة في كل موقع من مواقع المسؤولية في اطار بحثه للمنهج العلمي الرصين الذي يحكم حركته، و يخطط لكيفية الاستفادة من مساحات العمل و الابداع فيه، و الاسلام يؤكد - في مقابل المنهج العلمي في حركة التفكير [صفحة ١٥٣] و العلم [٢٤٣] - على ضرورة اعتماد المنهج العقلي أيضا كأساس أولى للمعرفة، الذي يمكن أن يفتح أمام العلم و التجربة الكثير من الآفاق التي تطلق التجربة المحدودة في نطاق الحس الى نظرية شاملة عامة تتجاوز مواقعها لتحرك الفكرة من الخاص الى العام. لقد فتح المنهج العلمي و العقلي في الاسلام طرقا و سبلا لا حصر لها أمام الحضارة الاسلامية فاستطاعت، من خلال ذلك، أن تشارك في صنع العلم و ابداع النظريات العلمية و تطبيقاتها التقنية منذ بداية نشوئها، حيث تعهدت الدولة الاسلامية و أجهزتها الرسمية آنذاك - و بتشجيع من المجتمع و دعم من هيئاته كافة - العلماء بالرعاية و أنشأت لهم دور العلم الكبرى. الى ذلك، فاننا نتساءل - في هذا المجال - : اذا كان هذا هو حال العلم و العلماء في عصر الحضارة الاسلامية الكبرى، فما هي الأسباب التي أدت الى توقف هذا الابداع العلمي؟ من الطبيعي أن نقول - في اجابتنا - بأن هناك أسبابا سياسية و اقتصادية و اجتماعية [٢٤٤] و كذلك [صفحة ١٥٤] فكرية [٢٤٥]، لكننا نجد أن السبب الأساسي - فيما يبدو و يظهر من خلال متابعتنا و استقراءنا لحركة الواقع العلمي التاريخي عند العرب و المسلمين - لكل هذا التخلف العلمي الذي نعيشه حاليا، قد ارتبط منذ ذلك العهد بابتعادنا عن الاجتهاد في فهم حركة الدين الذي يشكل أحد القوى الدافعة و المحركة للابداع في عالمنا الاسلامي، حيث أدى اغلاق باب الاجتهاد الى ضعف و انحطاط علمي و فكري كبيرين ما جعل العلماء، في بقية التخصصات، تتخاذل عن البحث و العمل، اذ أن ازدهار علوم العقل كل لا يتجزأ، فالتخلف عن ركب التقدم العلمي في أي علم من العلوم دينية كانت أو رياضية أو طبيعية أو اجتماعية أو انسانية يشير الى اختلال منظومة التقدم الحضاري ككل، و ليس أدل على صحة ما نقول الا النظر في تاريخ الحضارات قديمها و حديثها، فسنعجد أن مظاهر التقدم تتكامل كلها حينما تتوافر لها البيئة و المناخ الملائمان [٢٤٦] لعل من أهمها - كما ذكرنا - ضرورة توفير المناخ السياسي الملائم للابداع و الحدائث العلمية و الاقتصادية، باطلاق حريات الأفراد و توفير امكانيات المشاركة الفعلية أمامهم، سواء كانوا من العلماء النظريين أو من الفنيين، أو من العمال، أو من [صفحة ١٥٥] المتلقين و عامة الشعب، فملاحم التقدم في تاريخ البشرية ترتبط حلقاتها و تتسع لجهود الجميع، حكاما و محكومين، في مناخ من المساواة و الحرية و الأمان الجماعي و الحس الوطني الواعي [٢٤٧] و لعلنا نجد أن تخلفنا و اعاقه تقدمنا و تطورنا في ابداع و صنع حدثنا، يعود - بالدرجة الأولى - الى و هن استراتيجيات التحديث، و عدم فاعليتها، و عدم اتساقها، لأن الأصل في التطور و الحدائث بناء استراتيجية حقيقية لتعظيم الاستثمارات العلمية و العملية الجديدة في

كل ميدان: تكوين رأس المال الاقتصادي والعلمي والتقني والفكري والروحي، و تحرير الشعوب والجماعات والأمة من الخوف والاستلاب والجمود والضعف والأمية والاقتداء والاستسلام والمحسوبية والشعور بالصغار والدونية. ومن أجل ذلك، وفي سبيله، توسيع دائرة فعل هذا الاستثمار وضمان استمراره ونجاعته، وكل ذلك يتناقض مع ما شهدناه من ممارسات وسياسات مطبقة من قبل النخب الضعيفة التي سيطرت على مقاليد الأمور وحولت الاستثمار (العلمي والاقتصادي) الى مراكز للثروة الشخصية، وبناء الجماعة الحية الى تجديد لعلاقات العبودية والسخره، وتكوين رأس المال العلمي والتقني الى دعايات فظة لعقائد وشعارات هزيلة جوهرها تقديس الذات و عبادة الحاكم، وتحقيق الاندماج الاقليمي العربي الضروري الى استهلاك ممجوج لعقيدة قومية مخشبه توظف لترسيخ القطيعة بين البلدان بدل تشجيعها على الانفتاح على بعضها [٢٤٨].

الرفق واللين

اشاره

يقول الكاظم عليه السلام: «عليك بالرفق، فان الرفق يمن والخرق شؤم، ان الرفق والبر وحسن الخلق يعمر الديار ويزيد في الرزق» [٢٤٩] ويقول عليه السلام لبعض أصحابه وقد دار بين أحد الرجال وبين أشخاص آخرين نزاع عنف فيه هذا [صفحة ١٥٦] الرجل، فقال عليه السلام: (فارفق بهم)، فان كفر أحدهم في غضبه، ولا خير فيمن كان كفره في غضبه) [٢٥٠]، وقال عليه السلام «الرفق نصف العيش» [٢٥١]. يعتبر مفهوم الرفق من المفاهيم الأخلاقية الحركية التي تفتح على الجانبين الايجابي والسلبي، ولأكثر من موقع و رؤية في حياة الانسان والمجتمع في خط الدعوة بأسلوبها العملي وفي مواجهة المشاكل والتعقيدات التي تحدث بين الناس، و نلاحظ أن الكاظم عليه السلام يحدثنا عن الرفق كقيمة اسلامية رائعة يمكن أن تجعل الانسان قريبا الى الله والى الناس من خلال وعيه والتزامه بالمبادئ التي توصله الى الكمال الممكن له، لأن الرفق اذا كان ملكة راسخة في عقلك وقلبك، و حركة واعية في حياتك وأسلوبك مع الآخرين، فانه يعطيك الخير كله والسعادة كلها في الدنيا والآخرة وعلى ضوء ذلك، نجد أن مسألة الرفق والعنف لدى الامام الكاظم عليه السلام من المسائل التي تتسع لطريقة الانسان في تكامله الاجتماعي مع الناس الآخرين في توعيته لهم ثقافيا واجتماعيا، كما نلاحظ ذلك في قوله «فارفق بهم»، أي أن تعمل على أساس أن تدرس عقليتهم ووعيتهم فتعطيهم من عقلك بما يتناسب مع وعي عقولهم، وأن تدرك ثقافتهم فتعطيهم من ثقافتك الأسلوب الذي يمكنه أن يستوعب هذه الثقافة، فلا تفقد نفسك أمامهم، ولا تفقد مستواك معهم، ولكن حاول أن تتعامل معهم تعامل الانسان الذي يريد أن يصعد بالانسان الآخر الى مستواه برفق وأناة وعطف وحنان. فكله «الرفق» هنا تختزن في داخلها معنى هذا العطف الذي يفتح فيه انسان على انسان ليفهمه ويعيه و يؤصل معه علاقات الانسانية في التعامل والصحة والمعيشة. وطالما أننا نتحدث عن الرفق بمعناه الاجتماعي، فاننا نجد ضرورة في التطرق الى قضية الرفق والعنف بالمعنى السياسي والحركي في اطار الواقع العالمي الراهن، الذي يعمل فيه الاستكبار العالمي على محاصرة الاسلام والحركات الاسلامية وتشويه صورتها، بأنها مجرد حركات دموية تستخدم [صفحة ١٥٧] العنف والقوة من أجل الوصول الى مصالحها وتحقيق غاياتها الخاصة، كذلك الايحاء بأن العنف هو الوسيلة الوحيدة في حركيتها السياسية، كخصوصية مميزة لنشاط الاسلاميين. و كان العنوان الجديد الذي حاول الاعلام الاستكباري الداخلي والخارجي تحريكه ضد الاسلاميين هو عنوان «الأصولية»، كمفهوم يختزن في مضمونه الداخلي فكرة العنف والغاء الآخر، و ذلك من خلال التجربة السياسية والفكرية والتاريخية الغربية التي عاش فيها بعض الناس هذا الاتجاه، و من هنا انطلقت كلمات «التعصب» و «التطرف» و «الارهاب» في أجواء العنوان الأصولي لتلتصق به، و هو يوحى بذلك بأسلوب أو بآخر، لستهلكها الجو السياسي والاعلامي الداخلي والخارجي كمصطلحات سياسية يؤكدها (و يغذيها) الصراع بين الأنظمة والاسلاميين. و تنسب [٢٥٢] اليهم الكثير من الأعمال البعيدة عن التوازن الأخلاقي،

كما لو كانوا وحوشا تتحرك ضد الثقافة و العلم و المجتمع في عملية حقد دفين تائر على كل عناصر التقدم و الرقى و الابداع و النظام المدنى الانسانى العام، و يتم ذلك في غياب الامكانيات الاعلامية الواسعة لدى حركة الاسلاميين بالمستوى الذى تتولى فيه الدفاع عن الواقع الذى تعيش فيه دائرة الصراع، الأمر الذى جعل الأنظمة و حلفاءها الأوليين يمارسون القمع الأمنى و الاعلامى و السياسى ضد الحركة الاسلامية هنا و هناك في نعتها بالارهاب [٢٥٣] و قتل الأبرياء و الاعتداء على [صفحة ١٥٨] الناس، و هذه هي مشكلة الغربيين في ادارتهم السياسية أنهم يعتبرون طالب الحرية ارهايبا فيعتبرون مثالا المجاهدين في جنوب لبنان الذين يقاثلون جيش الاحتلال الاسرائيلى، ارهايبين (مخربين) كما و يعتبرون الذين يدافعون عن أنفسهم ضد عنف المستكبرين و الظالمين ارهايبين اننا نؤكد - في اطار تحليلنا لمفهوم الرفق و العنف في المعيار القيمى الاسلامى - أن اللين و الرفق هو القيمة الاسلامية الأعلى من العنف لأنه هو الأصل في مواجهة المشاكل في اتجاه الحل، اضافة الى كونه الأسلوب العملى الناجح في المجال السياسى في تحويل الأعداء الى أصدقاء، و ذلك من خلال الآية الشريفة: (و لا تستوى الحسنه و لا السيئه ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذى بينك و بينه عداوة كأنه ولى حميم و ما يلقاها الا الذين صبروا و ما يلقاها الا ذو حظ عظيم) [فصلت / ٣٥ - ٣٤]، و كما جاء الحديث الشريف: «ان الله رفيق يحب الرفق و يعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف» لكن العنف - حسب ما نعتقد - أسلوب اضطرارى و استثنائى، و قد يتحول في ظروف معينة الى أسلوب طبيعى، تفرضه طبيعة الحياة في صراعاتها و مشاكلها و تحدياتها، التى تلقى عليك بثقلها بالمستوى الذى يلغى وجودك أو يسقط قضيتك، أو يصادر حرمتك بالكامل من دون أن يفسح لك المجال في التماسك لتفكر، أو لتوازن، لتناقش أو لتحاوّر، فلا يبقى أمامك الا أن تقوم بعملية وقائية لتربك وضعه، و لتهدم مواقعه، و تسقط خططه، أو عملية دفاعية تحفظ بها موقعك و موقفك، و تملك بها قرارك، و هذا أمر لا يختص بالاسلاميين فقط، بل يؤمن به كل الناس الذين يملكون بعض مواقع القوة في الحياة. ان العنف مرفوض، كقيمة طبيعية، لكنه مقبول بل [صفحة ١٥٩] و مطلوب كمبدأ استثنائى. من هنا نجد أهمية أن تعى الحركة السياسية الاسلامية - في سلوكها الاسلامى - و سائل تركيز و تأصيل المنطق الحضارى الاسلامى في أساليبه و أهدافه و مناهجه و علاقاته، فيلين حيث تحتاج الوقائع الى لين، و يعنف حين تقتضى الحالة العنف، و يقيم علاقاته - سلبا أو ايجابا - على أساس المصلحة الاسلامية العليا في حركة الانسان في الواقع، من خلال الدراسة الدقيقة التى تفرض على السلوك الاسلامى أن يقطع أو يصل، على ضوء الحدود التى ينبغى الوقوف عندها أو تجاوزها، و يثير المسألة ما بين الحسم و المراوحة و المرونة و الرفق و الحدة تبعا للظروف الموضوعية التى تحيط به فيما هي طبيعة الأشخاص و الأزمنة و الأمكنة. و الملاحظ، ضمن هذا النسق، أن الحديث عن مسألة السلام، و مسألة القوة و العنف كشيء لا ينسجم مع الحياة و لا يلتقى بوجودنا فيها قد زاد في الآونة الأخيرة خاصة بعد أن دخلنا أو أدخلنا في جو التعب و السكون و الاسترخاء، حيث ظهرت على السطح الاعلامى هنا و هناك مفردات و صيغ كلامية من قبيل اللين أو التسامح و التساهل و المحبة و الرفق أطلقوها في دائرة المطلق من فكرهم و واقعهم، اننا نقول لهؤلاء و لغيرهم - ممن حرك تلك المفردات أو تحرك في هذا الجو بوحى ذاتى أو خارجى -: ان العنف و القوة أو اللين و الرفق هي قيم و أشياء ذاتية لا- تلون الحياة بلونها الخاص و لا تصبغها بصبغتها المطلقة، لذلك عندما يكون العنف هو الوسيلة الوحيدة لحماية الحياة و القيم، فهل يكون العنف شيئا ضد الحياة و ضد القيم؟! و بمقابل ذلك عندما يكون الرفق في حركة الحياة سقوطا للحياة و رهنا للقيمة، هل نوافق على سقوط الحياة و القيمة معا؟! و لمزيد من الايضاح نطرح الأسئلة التالية: ترى ما الذى يفعله الانسان الفرد، أو الجماعة، أو المجتمع السياسى (و الدولة) اذا هوجم من قبل قوة مسلحة معتدية من قبل دولة أو جماعة أخرى انتهكت حرمة أراضييه و عرضت حياته أو حريته أو أمواله أو كرامته للعدوان و السيطرة؟ ما الذى يفعله المجتمع [صفحة ١٦٠] السياسى و الدولة (مثل دولنا العربية الاسلامية) أمام دولة أخرى معتدية على أراضييه، مدججة بالسلاح، تدعى التفوق العنصرى و تريد أن تفرض ارادتها و سلطتها و وصايتها و تهيمن على شعوب المنطقة بأكملها من خلال مشاريعها العسكرية الأمنية و السياسية و الاقتصادية، هل يدافع هذا الانسان أو الجماعة أو المجتمع أو الدولة عن نفسها ضد المعتدى الغازى، أو تستسلم و تخضع و ترهن وعيها و ارادتها، و تسلم اليه مقاليد أمورها معترفة بدعواه تحت شعار

«حب السلام و الرفق و رفض و الحرب و استخدام القوة» فهل يكون هذا الموقف حكيما و نبيلًا - و أخلاقيا؟ أو ما هي هذه القيمة الأخلاقية لهكذا سلام ان صحت تسميته سلاما؟ و اذا ما انطلقت الأمة أو المجتمع للدفاع عن نفسه و محاربة المعتدين عليه و الغازين لوجوده، فهل يكون قد قام بعمل غير أخلاقي؟ هل يكون دفاعه عن نفسه - من الناحية الأخلاقية - عملا شريرا و رذيلة ينبغي أن ينزه الانسان نفسه عنها؟ ما هي القيمة الأخلاقية لوضعية تلغى الكرامة الانسانية و تحول الانسان الى عبد ذليل، و تحول الأمة الى مجرد أمة مستعبدة و مهانة؟! لقد أردنا، من خلال كل تلك التساؤلات، أن نعمل على فتح آفاق و معالم جديدة لمسألة العنف و اللين أو الحرب و السلم، و نحاول اضاءتها من جميع جوانبها في الوقت الذي يعمل فيه اعلامنا العربي و الاسلامي - المنفعل بالاعلام الغربي و الصهيوني - على استخدام مصطلحات سياسية و أمنية و ترويجها في أخباره و برامجها المختلفة تعكس، من خلالها، حركية القيم الأخلاقية في مسألة العنف و القوة و رد العدوان بطريقة سلبية توضح لمفاهيم و تصورات جديدة في حركة الواقع ليكون الاستسلام هو القيمة الأخلاقية المطلوبة و المرغوبة، و الحرب و العنف هو القيمة غير الأخلاقية المرفوضة، لذلك علينا ألا ننفعل بالاعلام، و أن ننهزم أمام الضراوة الشديدة للماكنة الاعلامية الغربية، التي تحاول أن تركز في واقعنا بعض المصطلحات من أجل أن تحاربنا بها و لتمنع الناس، من خلالها، أن يكون لهم حريتهم، من أجل أن يكون لهم استقلالهم و ليحركوا طاقاتهم و ثرواتهم في خدمة مستقبلهم و رخائهم و حياتهم. طبعًا لا- نريد القول بأن علينا أن نغيب في الفراغ و نضيع في التجريد [صفحة ١٦١] و نستغرق في الخيال و الأحلام، لنعيش بعيدا عن الواقع، ولكنني أريد أن أقول: بأنه علينا في كل شعار من الشعارات - أن نكون الواعين جيدا و المتيقظين جيدا، و المتابعين جيدا، لأن المسألة هي أننا اذا لم نفهم جيدا عمق قضايانا، و لم نفهم جيدا طبيعة المستقبل الذي نفكر فيه و نحلم به، فاننا قد نواجه مشكلة أننا نتحرك نحو الهزيمة بارادتنا و اختيارنا، من حيث انه يخيل لنا و كأننا نتحرك نحو النصر الحتمي، من هنا تؤكد و نصر على أن القوة و العنف الذي نستخدمه في حركية المواجهة المتصاعدة مع أعدائنا - خاصة الكيان الصهيوني - هو خيار استراتيجي، لا بديل له، ضد المحتل الغازي المستبد حتى يزول احتلاله للأرض و اغتياله للشعب. ان رد العدوان ليس حقا للمعتدى عليه، و انما هو واجب مقدس، يتمتع بأعلى المميزات الأخلاقية، و التخلي عنه هو انحطاط في القيمة الانسانية و هو عمل غير أخلاقي، من هنا نحن نعتبر أن استخدام القوة و العنف و بالتالي شن الحروب (التي هي بذاتها ظاهرة شريرة و أليمة و مفعجة) هو عمل أخلاقي و قيمة أخلاقية، (بل و ضرورة أخلاقية) علينا، عندما يستهدف بلوغ غايات نبيلة و خيرة و سامية في الدفاع عن الأرض و الوجود و الهوية و الثروة و الكرامات و الحريات، و دحر كيد المعتدين و الغازين. ان الاسلام يوجب على المسلم العنف الدفاعي (الحرب الدفاعية)، و يعتبر أن التخلي عن الدفاع خيانة و معصية كبرى، و يحرم عليه الاستسلام و الخضوع للطغيان و العدوان بحجة ضرورة المحافظة على الأمن و السلام و اللين، لأن الأمر في هذه الحالة ليس سلاما (فالسلم - كما قلنا - ليس مجرد عدم الحرب) و انما هو استسلام و خضوع للطغيان، و هو مناقض لأبسط مقتضيات الانسانية و ليس له أي مبرر عقلي أو أخلاقي عند أحد من البشر. ان مجرد عدم الحرب كنتيجة للاستسلام للمعتدى، و نتيجة للخضوع للطاغوت، ليس سلاما أو لنا أنه حرب و حركة عنف مستمرة من طرف واحد طاغ و شرير ضد طرف مستسلم «غير مسلم». ان الأمر الأخلاقي المشروع الوحيد، في هذه الحالة، هو الدفاع ضد المعتدى و ضد طغيانه ما دامت هناك [صفحة ١٦٢] امكانية للانتصار، أو لرد العدوان بأية درجة ممكنة، فهذا الموقف موافق لحقيقة السلام و الرفق دون الاستسلام و في هذا المجال، و طالما أننا نتحدث عن موضوع السلام و الحرب أو اللين و العنف فانه يمكننا أن نمر سريعا على واقع السلام المزعوم بين العرب و اسرائيل [٢٥٤] الذي تعمل دوائر الغرب و أمريكا و مواقعهما المتقدمة (الطابور الخامس) في بلداننا العربية و الاسلامية على تصويره و كأنه سلام العدل و الحرية و المساواة، في الوقت الذي تناسى فيه الجميع تقريبا ان الكيان الصهيوني «شرطي الغرب في منطقتنا» كيان غاصب للأرض و المقدسات، لا يزال يعمل ليلا و نهارا دون كلل أو ملل - بدعم و سند أميركي و غربي واضح، و بمساعدة مباشرة من بعض الأنظمة العربية - على تركيز كيانه اليهودي في قلب الأمة العربية بعد الغاء كامل لهوية المنطقة العربية و الاسلامية، و السيطرة التامة على ثرواتها و مقدراتها لكي تصبح، فيما بعد، (و البعيد عند الصهاينة قريب جدا بالعمل و

المتابعة و الجهد) عصب منطقة «الشرق الأوسط» [٢٥٥] و دماغها المفكر و حكومتها المركزية فى النظام الشرق [صفحة ١٦٣] - الأوسطى الجديد. لقد قدمت الأنظمة العربية - باستسلامها و خضوعها للعدو الصهيونى - استقلالها من واجباتها و مهماتها الوطنية و القومية و الاسلامية، و أضحى من الواجب المقدس على الشعوب العربية و الاسلامية - بجماهيرها الواسعة و نخبها المفكرة و الملتزمة - أن تبادر، و هى عملت ذلك، من لحظتها الى تسلم عملية ادارة الصراع الوجودى مع الكيان الصهيونى و مشروع التلمودى التفتيتى، و سيكون من نتائج هذا العمل - على المدى البعيد طبعاً - اصطدام الشعوب و التيارات الشعبى، المناهضة و الراضة لعملية التسوية، مع أنظمتها الحاكمة المفلسة التى لم تتوان. بالرغم من هزائمها و انكساراتها المتلاحقة - عن ضرب التيارات بعضها بالبعض الآخر و تفتيتها و كسرها، لذلك يجب أن تعمل تلك القوى و الاتجاهات و الحركات النضالية و الجهادية. أولاً - و قبل كل شىء على تفرغ تلك الاتفاقات من مضمونها أى تجويفها و جعلها «خاوية على عروشها». و هذا الأمر لن يتحقق الا بالانتقال - فى ادارة الصراع الداخلى و الخارجى - من سياسة الدفاع ورد الفعل الى سياسة الفعل و التأثير، و من سياسة التلقى و الخضوع و الارتهان الى سياسة المبادرة ضمن عمل منهجى مدروس و مخطط بوعى و حكمه، و عدم اصغاء (انصات) السمع كثيرا الى ما تحفل به ادارات الغرب السياسية من مصطلحات و مفاهيم سياسية [٢٥٦] مختلفة تروج لها عالميا بهدف اسقاط روح المقاومة و الممانعة ضد مشاريع القهر و الاستلاب و الاغتصاب. [صفحة ١٦٤]

ملاحظة حول واقعية الأخلاق و القيم الاسلامية

تتميز القيم الأخلاقية فى الاسلام بكونها واقعية ترتبط ارتباطا مباشرا بالممارسة العملية للانسان، تخاطب مشاعره و أحاسيسه فى أوضاعه الطبيعية المختلفة فى الحياة ثم تحاول، بعد تنمية وعيه و ارادته، الارتفاع به الى المثل الأعلى من حركة القيمة و المبدأ، ذلك المثل الذى لا يقترب من خلاله الانسان الى ذروة الحتميات التى تعزله عن واقعه، ولكن من خلال دفعه الى تقصير المسافة الفاصلة بين القيمة كنظرية و القيمة كتطبيق، لأن القيم لم تصنع ليلبغها الانسان ولكن ليقترب منها، و لتكون له قواعد تحميه من الانحراف، و تحدد له خط السير الواقعى. ان المسألة التى يريد لنا الاسلام أن نحركها فى كل التزاماتنا و مواقفنا العملية فى الحياة هى أن نكون واقعيين [٢٥٧] فيما نطلقه من أحكام و فيما نحركه من قضايا، لا بمعنى أن تسقط الواقعية قيمة أخلاقية هنا و قيمة أخلاقية هناك، ولكن أن تكون هناك حدود و ضوابط لحركة القيم الاسلامية تنطلق من الوعى بحاجات الناس الطبيعية فى الأرض، و التفكير بحجم طاقاتهم و قدراتهم و مواهبهم الذاتية، لأن القيمة عندما تكون مثالية (غير واقعية) فانها قد تشل حركة الانسان و تمنحه شيئا من الاسترخاء و السكون فى فكره و سلوكه، ولكنها لم تستطع أن تنزل الى الواقع. على هذا الأساس القيمة الأخلاقية نسبية حتى فى الأديان، و لهذا يقول الأصوليون: «ما من عام الا و قد خص» لذلك لا يقل أحد اننا عندما نفتح المجال للكذب - فى بعض مجالات عملنا -: أننا نحاول أن نهدم الصدق، بل اننا بذلك نحاول أن نحمل الصدق من الذين يستغلونه ليتحرك الصدق بعد ذلك، عندما تزول كل النقاط الطارئة، ليكون هو القاعدة، لذلك علينا ألا نشير القيمة الأخلاقية بطريقة مطلقة لنقف جامدين أمام التحديات التى [صفحة ١٦٥] تقف أمامنا (و ما أكثرها حاليا) و لهذا قلت: ان قيمنا لا تقيدنا بل تمنحنا مساحة نستطيع فيها أن نملك حرية الحفاظ على قضايانا الكبرى من دون اسقاط القيم، ليكون الانسان، من خلال واقعية قيمه، صلبا أمام كل المتغيرات و الظروف الصعبة التى تحاول ارباكه و هزيمته. ان طبيعة التحديات الخطيرة التى تواجه حركة الاسلام المعاصر فى وجوده و قيمه و انتمائه تفرض على العاملين، فى داخل الخط الاسلامى، التعامل مع الواقع فى ظروفه و أدواته و أساليبه من أجل اتخاذ المواقف الواعية و المدروسة على أساس مصالح الاسلام و المسلمين، و هذا هو الشىء الذى يحقق للأمة تقدما نوعيا فى طريقها نحو أهدافها العالية و الطموحة لأن الواقعية تمثل - فى عقيدتنا - المنهج العملى الذى يعتمد على العناصر و الوسائل العلمية المتحركة فى ظرفها الطارىء أو الدائم التى تجد لها مجالا فى الحركة نحو الغاية على صعيد الواقع، و على مستوى الحاضر فى المشاريع الحاضرة و على مستوى المستقبل فى المشاريع المستقبلية،

بحيث تربط النتيجة بالمقدمات، و تتحرك الغايات من خلال الوسائل، فلا تكون الأهداف (أهداف الأمة) - في تصور المؤمنين به و الساعين إليها - قفزة في المجهول و حركة في المطلق، كما يفكر المثاليون الذين يطرحون الأفكار كما لو كانت في عالم آخر غير عالم الحس و الحياة، من هنا تكون واقعية الحركة في تنمية قوتها و تجديد امكانياتها و وسائلها العملية، و مراقبة الواقع من حولها لاكتشاف ثغراتها و نقاط ضعفه، و الانحناء مؤقتا، أمام العاصفة المجنونة ريثما تمر ليوصل، العاملون فيها (في تلك الحركة)، السير من جديد في الاتجاه السليم انه التفكير الواقعي الذي يعمل ضد الاستسلام للأمر الواقع المحكوم بجملة متغيرات طارئ لا تملك القدرة على الثبات في عمق الحياة، و هو التفكير الذي ينطلق في تخطيط هادف دقيق متحرك على أساس أنه يضع، في حساباته، الهزائم المرحلية كما يضع في حساباته الانتصارات، و هذا ما يمكن وعيه و دراسته في تجربة الأئمة عليهم السلام في طبيعة علاقتهم بخلفاء زمانهم الذين كانوا لا يملكون شرعية الحكم و السلطة، و تجربة الكاظم عليه السلام مع حكام عصره تمثل، في تصورنا، معلما بارزا على طريق التفكير الواقعي المنسجم مع تطلعات و أهداف الاسلام الكبرى التي حاول [صفحة ١٦٦] الامام عليه السلام أن يثبتها في بعض المواقع لتنتقل المسيرة، فيما بعد، نحو العزة و الثبات بطريقة واقعية متوازنة. اننا نرى، حاليا، و في خطوات كثير من العاملين للاسلام، ما يخالف تلك التوجهات و التجارب التي قدمها لنا الكاظم عليه السلام و غيره من أئمة أهل البيت عليه السلام من خلال أنهم (الاسلاميون)، و كما أكد الامام أكثر من مرة، يواجهون الساحة العامة بالأفكار غير الواقعية، و ذلك من قاعدة ايمانية عامة، ت طرح الفكرة و القيمة الكبيرة بعيدا عن وسائلها الطبيعية في اطار ظروفها و ملاساتها الحقيقية، مما يجعل المسيرة ظنية تخمينية خيالية، تتجه الى الهدف (الذي لم تبلغه) فيما يشبه القفز في الهواء، و هذا ما يجعل القضية باقية في موقع التنظير، بعيدا عن حركة التطبيق، كما و يساهم - في أكثر من مجال - في تعبئة الأفكار بالمفاهيم و التصورات الضبابية المستغرقة في أحلامها الوردية التي تقدم الصورة في اطار من الغموض و الابهام، الأمر الذي يفقد الساحة حيويتها و مرونتها و فاعليتها في وضوح الرؤية و واقعية الحركة. [صفحة ١٦٧]

القواعد الأساسية لنظام القيم الأخلاقية و العلاقات الاجتماعية الإسلامية على ضوء معطيات الفكر الإسلامي عند الامام الكاظم

يختزن معنى العلاقة الاجتماعية، في داخله و ضمن نطاق حركة المسؤولية الفردية و الاجتماعية، مسألتي الحق و الواجب للفرد و المجتمع، لذلك يكون تعريف العلاقة الاجتماعية من خلال: أنها جملة الحقوق و الواجبات التي يترتب عليها بناء المجتمع الانساني في اطار الأخلاق و القيم الاسلامية باعتبارها مجموعة واجبات و سنن و آداب و حقوق و التزامات نوعية تنظم حركة المسؤولية العامة بين الفرد و الجماعة الانسانية، مع تحديد مسبق لشكل و نوعية الارتباط و السلوك الانساني للجماعة بعضها مع البعض الآخر، من خلال الموازين و الضوابط و الحدود التي يعبر المجتمع بها عن فهمه و رؤيته للحياة الاجتماعية في علاقته مع نفسه و مع الآخر، كما و يعبر في الوقت ذاته، عن نظرة أخلاقية عامة للسلوك الاجتماعي تنطلق من خلال وجود رؤية كونية و فهم عقائدي للكون و الوجود و الحياة. أما بالنسبة الى القواعد و الأسس التي لا بد أن تقوم عليها هذه العلاقات و اتجاهاتها، فهي تمثل الخطوط الفكرية العامة التي توجه مسيرة العلاقات الاجتماعية باتجاه التكامل الذاتي لحركة الفرد و سلوكه، و التكامل الاجتماعي لحركة الجماعة و مختلف نشاطاتها و فعاليتها ان اعتبار [صفحة ١٦٨] التكامل الفردي و الاجتماعي من أهم الأهداف المركزية لمسيرة الانسان و ارتقائه نحو الله؛ يعطى الأخلاق و القيم الاسلامية دورا فعالا- في هذه المسيرة، لأنه و في حالة عدم وجود ضوابط أخلاقية (قوانين الغرائز) تتحول العلاقات الاجتماعية الى قضية شكلية و آلية (ميكانيكية) شبيهة بالأعراف و التقاليد، حيث تصبح في معرض الانهيار و خطر التفكك عندما تتعرض البنية الاجتماعية الى الاهتزاز أو التغيير، كما يحصل ذلك فعلا- في بعض حالات الهجرة و الانتقال من مجتمع الى مجتمع آخر، أو في حالات تعرض المجتمع الى الغزو الثقافي و الاجتماعي، أو تبدل الأنظمة السياسية، أو كما نلاحظ في المجتمعات الغربية التي تحولت فيها الأخلاق الى مجرد قوانين و أعرف دون أن يكون لها مضمون فكري أو معنوي يرتبط بالنفس و الروح و الوجدان [٢٥٨]، و دون أن يكون لها أساس فكري أو معنوي يربط مقدمات العمل الانساني بحركة نتاجه و أهدافه في امتداد الحياة.

أما في الاسلام، فان تلك العلاقات الاجتماعية و النظم الأخلاقية تستند، بالدرجة الأولى، على وجود المثل الأعلى (الله تعالى مطلق الكون و الوجود و الحياة) الذى يسعى الانسان للوصول الى بعض قيمه و خصاله بكل مسؤولية و انفتاح، من أجل أن تكون علاقاتنا الاجتماعية التى نمارسها فى الحياة منطلقاً من مسؤوليتنا أمام الله تعالى، كعلاقة لا نمارس فيها تقليداً من تقاليد انتمائنا الدينى لنعبر عن حالة وظيفية تقليدية معينة نرتبط من خلالها، به سبحانه. و هذه هى مشكلتنا فى التدين البارد و الجامد الذى يدفع الانسان ليتحرك من موقع التقليد فى كل مفاصل و أركان حياته المادية و المعنوية. ان وعينا العميق لمسألة أن يكون الله تعالى هو مثلنا الأعلى المطلق فى الحياة - كركيزة أساسية فى البناء الاجتماعى و الأخلاقى الإسلامى تعطى كياننا الوجودى قيمة كبرى فى الحياة - هى مسألة تعنى أن نفكر فى سر وجودنا و أساس حركتنا، و نعتصم بحبله المتين. [صفحة ١٦٩] يقول الكاظم عليه السلام: «و عليك الاعتصام بربك و التوكل عليه» [٢٥٩] و يقول عليه السلام أيضاً: «و لا تخرج نفسك من التقصير فى عبادة الله و طاعته» [٢٦٠] و هذا يجعلك، كإنسان عابد، تشعر بالثبات فى وجودك، و عندها ترفض أن تعيش عبثية الحياة، كما يعيشها الكثيرون، فى سلوكهم و أنماط معيشتهم ممن استهلكوا العبث و الضياع و الحيرة و القلق، لأنك أحسست بمعنى وجودك، و بارتباط هذا الوجود بالله. فأنت مسؤول عن عقلك بأن تغنيه بالخير و بالقيم الأخلاقية ليتفجر من داخل الفكر، و أنت مسؤول عن قلبك بأن تنتج منه عاطفة المحبة فى تعاملك مع الآخرين، و أنت مسؤول عن طاقاتك و امكانياتك بأن تعطى الحياة طاقة جديدة، تفجرها فى مواضع نيل رضا الله تعالى، فى كل مشروع تقوم به و فى كل موقف تقف فيه، و فى كل موقع يكون فيه للمسؤولية معنى بعظمة الله، فى ساحة الحياة. و بالاستفادة من ذلك، لا بد و أن تعمل على عقلنة عواطفك و توجيه انفعالاتك التى تطرأ على ساحة الاحساس و الشعور لديك، بسبب تفاعلك مع الأحداث و مشاهدتها، و تفاعلات آثارها و نتائجها، التى قد تقودك الى الانحراف و الزيف و اتباع الهوى اذا لم تحكم عقلك، و تركز و عيك، يقول الامام الكاظم عليه السلام: «يا هشام ان الله جل و عز حكى عن قوم صالحين أنهم قالوا (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا و هب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب) [آل عمران: ٧] حين علموا أن القلوب تزيف و تعود الى عماها و رداها [٢٦١]، انه لم يخف الله من لم يعقل عن الله و من لم يعقد قلبه على معرفة ثابتة يبصرها و يجد حقيقتها فى قلبه، و لا يكون أحد كذلك الا من كان قوله لفعله مصدقا و سره لعلانيته موافقا، لأن الله لم يدل على الباطل الخفى من العقل الا بظاهر منه و ناطق عنه» [٢٦٢]. ان الغاية الأساسية، من ضبط العاطفة و تربيتها فى جو اسلامى قائم على أساس أن يجاهد الانسان نفسه و يسيطر عليها و يوجهها الوجهة الصحيحة و بما [صفحة ١٧٠] ينسجم مع الحكم الشرعى و الأهداف الالهية المقدسة، هى تربية الارادة الانسانية و تنميتها و تقويتها بشكل يجعلها منسجمة، فى فاعليتها و اختياراتها، دائماً مع العقل و حكم الشرع لأن الله تعالى جعل للعقل دوراً أساسياً فى حركة الانسان و توجيه ارادته نحو الصلاح و الرشاد. فى تحقيق المصلحة النهائية للانسان. و قد ورد فى حديث عن الكاظم عليه السلام أن الله قد خلق العقل ثم قال له: «أدبر فأدبر، ثم قال له: أقبّل فأقبّل، فقال الله جل و علا: خلقتك خلقاً [عظيماً] و كرمتك على جميع خلقى» [٢٦٣]، ان تركيز الاسلام على ضرورة الالتزام بالنهج العقلى الحكيم و المتوازن - فى سياق السلوك العملى لكل مفردات الواقع الاجتماعى و السياسية و الثقافية و الاقتصادية، فى محاولته منه لضبط نزعات و عواطف و انفعالات الانسان - يقدم لنا منهجاً علمياً و موضوعياً فى دراسة و تحليل حالات العصبية و الانفعال و التشنج التى تضج بها ساحتنا العربية و الاسلامية، و التى تطبع شخصية الكثير من العاملين للاسلام فى هذه الظروف، مما أدى الى أن يأخذ العمل نفسه هذا الطابع (الطابع الانفعالى). و من الطبيعى أن تؤثر هذه الظاهرة على مبادرات العمل و الانتاج و على نوعية الرؤيا للواقع و الأشياء و الأشخاص، فيفقد العاملون وضوح الرؤية، و تختلط الصورة الحقيقية فى العيون، و ترتبك الخطوات فى الطريق، لأن الانفعال يغرق الشخصية فى أجواء ضبابية، غارقة فى السحر و الاغراء فى جانب آخر، لأنه يتعامل مع الاحساس و الشعور و العاطفة، و لا يتعامل - غالباً - مع الفكر و العقل، مما يجعل للسرعة دورها الكبير فيما يصدره من حكم، و فيما يخلقه من انطباع، و فيما يتجه اليه من غايات، و بذلك يفقد الحكم حيثاته الهادئة المتزنة. و يغيب التركيز عن الانطباع فى غمار الضباب. من هنا نجد ضرورة أن يتحرك الاسلاميون فى الخط الثقافى و السياسى ليقدموا الاسلام الى الانسان المعاصر

كخط فكري عاقل و مستنير يملك مذهبا واسعا في السياسة و الاقتصاد و الاجتماع، بحيث تكون له رؤية منهجية واسعة عقلانية و دقيقة لكل الواقع الاجتماعي و السياسي الذي يتخبط فيه الانسان. [صفحة ١٧١] و لا يعود الاسلام مجرد فتاوى ضبابية متناثرة هنا و هناك، أو مجرد قيم حماسية انفعالية ليس لها أدنى ارتباط ببعضها البعض أو بالواقع، مع العلم أن الثقافة الاسلامية قادرة على أن تستجيب لتحديات العصر الراهن، و أن تخطط و ترسم للمنهج العملي، و أن تصنع كل المعالم و العناوين القادرة على حل مشاكل الانسان على كافة الصعد و المستويات. انها ليست مشكلة الفكر و المعرفة الاسلامية، ولكنها مشكلة العاملين و الدعاة الى هذا الفكر في وعيهم و في أسلوبهم و في ارادتهم.

باورقي

[١] على يوسف، التاريخ بين الواقعية و التوظيف و التقديس، (مجلة البلاد: ٢٢٤ ص: ٤٤).

[٢] يمارس هذا الاتجاه، المتفشي بكثرة في واقعنا، أساليب و طقوس التقديس للنبي (ص) و للأئمة (ع) دون أي احترام للرسالة و قيمها و مبادئها... أي أنهم يقدسون الشخصية الى حد الغلو و التطرف، و بالمقابل يغيبون منهجها و دورها و رسالتها.

[٣] نحن لا نريد، من خلال ذلك، أن نلغي الاحترام و التقديس للشخصيات التاريخية و ما له من فاعلية و تأثير في شحن النفوس و الهمم و اثاره العزائم و الارادات لدى الجماعات المختلفة في صناعة الحدث و المرغوب في حدوثه و انجازه، و هذا ما تأسست عليه المقاومة الاسلامية المباركة في لبنان التي استعادت بعض مقدسات التاريخ (بأحداثه و رموزه: كربلاء مثلا) لا للتعويض عن امكانات و اجتراح البطولة في مجتمع ساكن و خال من البطولات، ولكن لتهيئة التربة المناسبة لاحترام البطولة الفذة بالفعل في الظرف الصعب و القاهر و اتمام الحركة الفاعلة في خط البناء و التغيير، و قد نجحت هذه المقاومة الجهادية و الفكرية بجدارة حتى الآن، و أثبتت أنها أمل الأمة و رقمها الصعب المستصعب في زمن الاذعان و الهيمنة و الاستسلام.

[٤] و هي طريقة «الثابت الموضوعي» التي تقوم على أساس تحويل لغة التاريخ و أحواله العامة الى لغة حية متحركة، تستنبط من خلالها القواعد و السنن التاريخية المهيمنة على مجريات الواقع و أحداث الحياة المتنوعة، على صعيد ملاحظتها، و دراستها، و تحليلها، و تركيبها، و اكتشاف ضوابطها العلية و المعلولية كمرحلة من مراحل المسيرة الانسانية نحو أهدافها الكبيرة في الحياة. انها باختصار طريقة علمية معرفية تدرس التاريخ، برموزه و أفكاره و شخصياته، دراسة استقرائية غائية من خلال ايمانها بضرورة تنقية أجوائنا التاريخية من التراكمات الذاتية و الشعاراتية في إطار التعامل معها بلغة المنطق و العقل (لكل ظاهرة سببها الطبيعي).

[٥] و ذلك من خلال ارتباطنا برسالته كطريق للارتباط بشخصيته الرسالية لتظل الرسالة قاعدة رئيسية للانتماء، و للمشاعر، و تحديد العلاقات في بدايتها و نهايتها....

[٦] الأبواء: منطقة في الحجاز تقع بين مكة و المدينة، و فيها قبر آمنه بنت وهب أم النبي الكريم (ص).

[٧] نحيل القارئ الى مصادر أخرى لزيادة الاطلاع و المعرفة مثل: سيرة الأئمة الاثنى عشر لهاشم معروف الحسنی، و حياة الامام موسى بن جعفر لباقر القرشي، و مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب، بالاضافة الى مراجع أخرى مذكورة في نهاية الكتاب.

[٨] نشير هنا الى أحد أبرز تلك المشاريع الخاصة، و لعله أخطرها، أعني به (مشروع السقيفة) الذي استطاع تثبيت زعامات قبلية تقليدية على صعيد رئاسة الدولة، و قيادة الأمة في طبيعة القيادة السياسية، و على مستوى واقع الناس و المجتمع في طبيعة العلاقة الناطمة بين الفرد و السلطة، و قد رأينا، من خلال ذلك، كيف عممت و سادت الروح القبيلة التي حاربها الاسلام من دون هوادة، و تحكمت بمنطق و سلوك المتنافسين الأوائل على زعامه الدولة الفتية و النزوع المقصود، لهم، نحو تقرير مبدأ انحصار السلطة و الملك بكل واحد منهم (من ينازعنا سلطان محمد، كما عبر عن ذلك أحد الخلفاء) و عدم السماح للآخرين بالتعاطي الايجابي مع الواقع من خلال حرية ابداء الرأي و المشاركة السياسية - و لو بالحد الأدنى - في قيادة التجربة، و التأكيد على المبررات الوراثة

العائليّة تدعيما لذلك التوجه غير المسؤول.

[٩] الشهيد السيد: محمد باقر الصدر (رض)، بحث في الولاية، نقلا عن: الأئمة الاثنا عشر لعادل الأديب (ص: ٨) بتصرف.]

[١٠] اشتعلت خلال تلك الفترة ثورات و انتفاضات شعبية عارمة معلنة التمرد و العصيان دخلت الدولة (دولة الخلافة و امارة المؤمنين) على أثرها في أتون صراعات مسلحة ضد مركزية الدولة الظالمة.. (راجع: مقاتل الطالبين للأصفهاني، تاريخ الطبري، تاريخ يعقوبى... الخ)....

[١١] بقى الامام الكاظم (ع) مع أبيه عشرين عاما... منها خمس سنوات تقريبا في عهد الأمويين و أربع سنوات و نصف السنة في عهد السفاح العباسي، و تسع سنوات و نيف في عهد المنصور.

[١٢] قد يحتج على هذا التوصيف الذى عاينا من خلاله (بحسب مصادر التاريخ الأساسية) تلك المرحلة الزمنية، موضوع دراستنا، على أساس أنها لم تكن على هذا المستوى من الاسوداد أو الخطورة المبالغ فيها في تصوير واقع حالهم... في تركيزى على السلبيات دون الايجابيات... في الاجابة تؤكد لهؤلاء جميعا: أنه يكفى القارىء العودة الى بعض المظان التاريخية الهامة ككتاب الأغاني، و كتاب مقاتل الطالبين للأصفهاني، و غيرها كثير ليتضح له الحال، حال الأمة و حالة طاقاتها و ذخائرها و مقدراتها، أين ذهبت؟ و على أى طريق سارت؟... و لماذا وصلنا، حاليا، الى هذا المستوى الخطير الذى ينذر بالكارثة على كافة الصعد السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية و الفكرية، و من هو المسؤول عن حجم خسائرنا المادية و المعنوية؟ و متى يتوقف مسلسل الانهيارات و التراجعات و الانكسارات فى جسم الأمة؟.. طبعا أنا لا أحمل الماضى بأشخاصه و رموزه كل المسؤولية، كما و لا أهرب الى الأمام لألقى و أوزع الاتهامات على الآخرين... لكننا مسؤولون جميعا، فى الماضى و الحاضر، رؤساء و مرؤوسين عن حيز كبير من هذا الفراغ و الانقسام السياسى، و التفسخ التاريخى الذى نشهده حاليا.

[١٣] نبيل على صالح، وجع الحرية، (ص ١٦) مخطوط.. (راجع بهذا الخصوص: مروج الذهب للمسعودى، تاريخ الطبري ج: ٤، و الكامل فى التاريخ).

[١٤] الأموية: ظاهرة سياسية جاهلة و منحرفة مقنعة بالزى الدينى، و قانون قسرى متسلط على مفاصل الحكم الاسلامى، أقامت بنيانها على أساس الغلبة و القهر و القوة و العدوان، و اتسمت بالتدين السلبي، أى استغلال الواجهة الدينية النقية و الظاهرة كستار و شعار للحفاظ على مصالحها، و الوصول الى غاياتها و تكريس مواقعها الطغيانية الخاصة.

[١٥].

[١٦] نشير هنا الى أن البيت العباسى لم يضع أصول الدعوة و لم يبذر بذورها، و انما الظروف وحدها هى التى ساقته اليه قيادة نظام سرى محكم له أجهزته و دعائه و أتباعه، فجنوا ثمارا زرعتها بنو عمهم العلويون و ركبوا موجة المد الثورى، بعد طرحهم شعارا ذكيا، و قلبوا ظهر المجن للرواد الذين امتحنوا أشد المحن من أجل ارساء هذا النظام السرى المحكم... (راجع الحركات السرية، ص: ٦٦).

[١٧] سنتحدث لاحقا عن هذه النقطة بالتفصيل.

[١٨] دائرة المعارف الشيعية، دور الأئمة للشهيد السيد: محمد باقر الصدر، (ص: ٩٦).

[١٩] البداية و النهاية (ج: ١٠ ص: ١٨٣) و تاريخ بغداد.

[٢٠] دفن (ع) فى مقابر قریش فى الجانب الغربى من بغداد «مدينة الكاظمية» و عمره الشريف ٥٥ سنة.

[٢١] هاشم معروف الحسنى، سيرة الأئمة الاثني عشر، (ج: ٢)، (ص: ٢٩٧)، بيروت ١٩٨٦.

[٢٢] عادل الأديب، الأئمة الاثنا عشر، دراسة تحليلية، (ص: ١٨٥)، الدار الاسلامية، ١٩٨٥.

[٢٣] راجع رجال الكشي (ص: ١٧٢).

[٢٤] روى السيد ابن طاووس: أن أصحاب الامام موسى (ع) و خواصه كانوا يحضرون مجلسه و معهم فى أكماتهم ألواح آبنوس و

أمال فاذا نطق بكلمة أو أفتى في نازلة بادروا الى تسجيل ذلك، والاستفادة من العطاء العلمي الرصين للامام (ع). (راجع الأنوار البهية ص ٩١).

[٢٥] جاء في كتاب المكاسب للشيخ الأنصاري «باب الولاية من الجائر» أن الامام الكاظم (ع) قال لصاحبه زياد بن أبي سلمى محذرا اياه من مغبة الدخول في سلك حكومة هارون: «يا زياد، لئن أسقط من شاقق فأقطع قطعاً أحب الي من أن أتولى لهم عملاً أو أطاً بساط رجل منهم».

[٢٦] سيدرس هذا الموضوع لا حقا في الجانب السياسي من حياة الامام (ع).

[٢٧] رجال الكشي، (ص: ٣٦٧)، سفينة البحار (٢ / ٢٥٢).

[٢٨] نحيل القارىء الى بعض المصادر التاريخية التي نصت على ذلك مثل: رجال الكشي و اتقان المقال للمرزا محمد، و الكنى و الألقاب للقمي.

[٢٩] هاشم معروف الحسني، سيرة الائمة الاثني عشر. م. س.

[٣٠] يمكن متابعة توثيق أقوال و أخبار هؤلاء العلماء و الرواة في مظان و تصانيف اسلامية مشهورة كفهرست ابن النديم، و اعلام الزركلي، و رجال الكشي... الخ.

[٣١] أميز هنا بين لفظتين لكل منهما دلالة لغوية و حضارية الأولى كلمة «التراث» و أعني بها - في المفهوم الحضاري - مجموعة الآثار الثقافية و المعارف النظرية لشعب معين، كانت له مساحة عملية في التأثير و الفاعلية في ما مضى، فهو شىء من بقايا الآباء و الأجداد لا يصلح للحياة في تطلعاتها الحاضرة و طموحاتها المستقبلية، أما الثانية فهي لفظة «الفكر» التي تعبر، في الوعي الحضاري، عن مجموعة المعارف و المناهج و المعايير و القيم التي تقوم بها شخصية الأمة ثقافيا و حضاريا، و تدخل في صلب عقيدتها و عقلها و روحها و ضميرها الجماعي، و تعطيه دورها و حركتها في رحابة التاريخ و أنا أستعمل كلمة «التراث» هنا للدلالة على الفكر الاسلامي دون أن أقصد بها موقفا فكريا معينا من المعرفة الاسلامية أي أنني أستخدم كلمة التراث لمجرد الدلالة اللغوية ليس الا.

[٣٢] نحن لا نقصد، من خلال هذا التحليل، أن نحكم على كل تاريخنا بأنه مجموعة أخطاء متراكمة لا تصلح أن تعيش في الحاضر و المستقبل... بل نريد أن نقول بأن هناك مواقع مضيئة الى جانب وجود مواقع مظلمة في تاريخنا الاسلامي... فهناك الكثير الكثير من التجارب الماضية المليئة بالصور الحكيمة و المشرقة و الناصعة التي تكبدت مجتمعاتنا من أجلها أنواعا شتى من الآلام و المصاعب، و تحملت كثيرا من الأهوال في سبيل الوصول اليها و الاهتداء الى بعض معالمها هنا و هناك، و بالمقابل فاننا نتصور أن حركة التاريخ الانساني ليس دائما على صواب - كما يعتقد أصحاب الموقف التقديسي للتاريخ - لأن الايمان بصحة و قدسية التاريخ يلغى جميع العوامل المؤثرة فيه و يبقى الانسان، تبعا لذلك، خاضعا لمنطق الضرورة و الحتم كتاريخ الجماد و النبات و الحيوان.

[٣٣] صائب عبد الحميد، اعادة كتابة التاريخ الاسلامي، مجلة التوحيد (١٧٦ / ٨٦).

[٣٤] كامل الزيارات (ص: ٥٠ باب: ٤٣).. ثورة الحسين في الوجدان الشعبي للعلامة الشيخ: محمد مهدي شمس الدين (ص: ٦٦ - ٦٥).

[٣٥] المناقب، ج: ٢، (ص: ٣٨١).

[٣٦] جاء في بعض المرويات أنه المهدي العباسي. و لا فرق - في نظرنا - بينهما لأن هذا العمل يمكن أن يصدر عن كليهما.

[٣٧] نفهم من كلمة الكاظم عليه السلام في هذا المجال أن السيدة الزهراء (ع) عليها السلام عندما طالبت باعادة فدك، فلأنها كانت (و لا تزال) تمثل رمز و عنوان المطالبة بحق علي (ع) في الولاية، و لم تكن تمثل بالنسبة اليه قطعة أرض فقط.

[٣٨] هذا الى جانب انتشار اتجاهات مختلفة من الزهد الكاذب و الرهينة الخادعة.

[٣٩] في هذا المجال يركز بعض الفقهاء و الوعاظ على أهمية الرأي و القياس و الاستحسان و اتباع المصلحة الى حد قد يتجاوز كل

نص، و يؤدي - أحيانا - الى دخول الفكر. الانساني الى ساحة التشريع الالهى، و هو خطر كبير، فى حين يركز بعضهم الآخر - احتياطا على دينه - على حدود النص و الحديث الى حد أدى الى جمود خطير فى حركة الفكر.

[٤٠] الشيخ: محمد على التسخيرى، مؤتمر الامام الصادق (ع). (ص: ٢٨٢).

[٤١] من قبيل أن للرسول شيطانا يعتريه... الخ.

[٤٢] راجع الكتب التالية: خمسون و مائة صحابى مختلق، و عبدالله بن سبأ، و معالم المدرستين للمحقق العلامة السيد: مرتضى العسكرى.

[٤٣] الغدير، (ج: ٥، ص: ٢٩٠).

[٤٤] الشيخ: محمد على التسخيرى، مؤتمر الصادق (ع)، (ص: ٢٨٢). م. س.

[٤٥] الغدير، ٥ / ٢١٦.

[٤٦] الغدير، ٥ / ٢١٦.

[٤٧] م. س، ٥ / ٢١٦.

[٤٨] م. س. ٥ / ٢١٧.

[٤٩] مؤتمر الصادق (ع)، م. س (ص: ٢٨٣).

[٥٠] بحار الأنوار (ج: ١١، ص: ٢٣٤).

[٥١] م. س (ص: ٢٨٤).

[٥٢] يقول عن ذلك الشيخ القرشى: «و فجر الامام الصادق (ع) يبايع العلم و الحكمة فى الأرض، و فتح للناس أبوابا من العلوم لم يعهدوها من قبل، و ملأ الدنيا بعلمه - كما قال الجاحظ - و نقل عنه الناس من العلوم ما سارت به الركبان و انتشر صيته فى جميع البلدان، كما أدلى بذلك ابن حجر» (راجع حياة الامام موسى بن جعفر (ع)، (ج: ١، ص: ٧٦) نقلا عن رسائل الجاحظ للسندوبى (ص: ١٠١)، و الصواعق المحرقة (ص: ١٢٠).

[٥٣] سبق أن أشرنا فى الفصل الأول الى أهم و أبرز تلامذة و أصحاب و رواة أحاديث و فكر الامام الكاظم عليه السلام، (راجع كتاب: الذريعة الى تصانيف الشيعة للشيخ آغا بزرگ الطهرانى (ج: ٦)، فهرست ابن النديم، الفهرست للشيخ الطوسى).

[٥٤] تستلزم كل حركة أربعة أمور: المحرك، و المتحرك، و ما منه حركة، و ما اليه حركة.

[٥٥] الطبرسى، الاحتجاج، (ج: ٢، ص: ٣٨٦).

[٥٦] م. س، (ص: ٣٨٧).

[٥٧] الوسائل (ج: ١٨، ص: ٢٣).

[٥٨] وجع الحرية، (ص: ٩٣) م. س، مخطوط.

[٥٩] الكافى للكلىنى، (ج: ٢، ص: ٧٢)، (ط: ٣)، دار الكتب الاسلامية، ١٣٨٨ هـ.

[٦٠] م. س، (ج: ١، ص: ١٦).

[٦١] نبيل على صالح، نورالولاية. مخطوط.

[٦٢] الكافى (ص: ١٧) م. س.

[٦٣] الكافى ٢ / ٤٧٠ م. س.

[٦٤] م. س (ص: ٤٧١).

[٦٥] على محمد على الدخيل، أئمتنا (ج: ٢، ص: ٥٧) (ط: ١٢)، دار المرتضى، بيروت: ١٩٩٥، نقلا عن مهج الدعوات: ٣٣.

[٦٦] م. س (ص: ٥٧) نقلا عن «المجتبى من الدعاء المجتبى».

[٦٧] الفيض الكاشاني، المحجة البيضاء (ج: ٤، ص: ٢٦٧).

[٦٨] أئمتنا، مصدر سابق، (ص: ٥٦)، نقلا عن مهج الدعوات، ص ٣٠٠.

[٦٩] منتهى الآمال، (ج: ٢، ص: ٢٢٢).

[٧٠] يريد (ع) العبودية لله.

[٧١] راجع المصادر السابقة، و سيرة الأئمة الأطهار للشهيد مطهرى، (ص: ١٥١).

[٧٢].

[٧٣] تاريخ بغداد: ١٣ / ٢٨، كشف الغمة: ٢٤٧، أعيان الشيعة: ٤ ق ٣ / ٤٢.

[٧٤] وهذا النمط السلوكى الروحى الراقى ليس ببعيد عنه عليه السلام باعتباره معلما فريدا و أنموذجا حيا للزاهد و العارف و العابد.

[٧٥] وجع الحرية، م. س. (ص: ٣٧).

[٧٦] أعيان الشيعة ٤ ق / ٢ / ٤٤، كشف الغمة: ٢٤٣، تاريخ بغداد: ١٣ / ٢٩.

[٧٧] نهج البلاغة ٣ / ٨١.

[٧٨] سنتعرض لهذه النقطة بشكل تفصيلى عند حديثنا عن الحياة السياسية للإمام الكاظم عليه السلام.

[٧٩] أبو محمد الحسن بن على بن الحسين بن شعبة الحراني، تحف العقول، (ص: ٣٠١) مؤسسة الأعلمى، بيروت: ١٩٧٤.

[٨٠] م. س (ص: ٣٠١).

[٨١] م. س (ص: ٣٠١).

[٨٢] م. س (ص: ٢٩٣).

[٨٣] م. س (٢٩٣).

[٨٤] تحف العقول، (ص: ٢٩٠).

[٨٥] م. س (ص: ٢٩٣).

[٨٦] م. س (ص: ٢٩٢).

[٨٧] انه الصبر الايجابى العملى الذى يتحرك فيه الفرد فى خط العمل و الاصلاح و التغيير، (الصبر المتقدم و المتوثب).

[٨٨] تحف العقول... (ص: ٣٠٣).

[٨٩] م. س (ص: ٢٩٢).

[٩٠] م. س (ص: ٣٠٣).

[٩١] الغرب: مفهوم يشير الى فضاء جغرافى مشحون بدلالة حضارية تستند الى التراث الاغريقى الرومانى المسيحى ثم تراث النهضة

الأوروبية و مختلف مكتسبات الحضارة التى تولدت فى قلب الحضارة الأوروبية منذ عدة قرون، ثم شملت بعد ذلك قارات أخرى

تغربت بفعل تاريخ قسرى اكرهى، تمثل فى الهيمنة الامبريالية بمختلف النتائج التى ترتبت عليه.

[٩٢] أى من عصر النهضة حتى الثورة الفرنسية.

[٩٣] (P:١٣ - ١٤)، Harold J.Lski, The Rise Of European Liberalism.

[٩٤] خصوصا و أن واقع الاتصالات العالمى الراهن (و المستقبلى)، الذى يمسكه الغرب بقوة، يزيل كل الحدود و يلغى كافة الحواجز،

بحيث أنك اذا استطعت - من حيث المبدأ - أن تراقب الانسان و تمنعه من التعامل مع وسائل الاعلام حاليا (من تحفظنا الشديد على

سياسة المنع هذه) فان ذلك لن يحصل فى المستقبل القريب أبدا.

[٩٥] أى التدمير الشامل لحضارات الأنكا و الأزتيك، و قد حصل الشىء عينه بالنسبة الينا نحن فى العالم الاسلامى، و بالنسبة الى شبه القارة الهندية.

[٩٦] أصبحت قضية التلوث البيئى من أخطر الكوارث التى تهدد وجود الانسان و الحياة على الأرض، و عند الفحص و التدقيق نجد أن المسؤولية الكبرى عن هذا الوضع البيئى الخطير و المأساوى تقع على عاتق العالم الصناعى الغربى، و على هؤلاء الذين يمثلون الحضارة الغربية، لقد أنتج هؤلاء حضارة كبيرة من الدبوس الى الأقمار الاصطناعية و المركبات الفضائية المسافرة الى المشترى و المريخ و غيرهما، حضارة غالية الثمن وضعت تحت تصرف الذين يتمكنون من الاستمتاع بها فقط و شراء منتجاتها، فكانت المحصلة أن ٥ / ٤ البشرية يدفعون ثمن انجاز حضارى مادم لا يستطيعون شراءه أو التمتع به،. بينما خمس البشرية على الأكثر يستمتعون بكل المنتجات لمجرد أنهم يستطيعون شراءها.

[٩٧] نعطى مثلاً- قريبا جدا عن عقليته هذه الحضارة و هى تشن الحروب و تنشر الدمار و الخراب و الخوف و الرعب حفاظا على مصالحها، أعنى به حرب الخليج الثانية، التى شنها الغرب للسيطرة على منابع الطاقة النفطية و الغازية فى الخليج، فى الوقت الذى نلاحظ أن شعوبا بكاملها تفتقر الى أبسط كمية من الطاقة لتشغيل معمل أو تسيير باخرة، بينما نجد بعض الدول الغربية تنفق مقادير ضخمة من النفط لتدفئه أحواض السباحة فى بلاد باردة لمجرد الاستمتاع بالسباحة فى أحواض دافئه، فى حين أن ملايين البشر يموتون بردا لأنهم لا يجدون ما يتدفأون به أو يموتون جوعا لأنهم لا يجدون وسيلة نقل تنقل الطعام من مكان الوفرة الى مكان الحاجة، هذه هى بعض ملامح هذه الحضارة التى تزعم أنها عالمية، أو تريد أن تجعل نفسها أساسا لنظام العالم.

[٩٨] أعنى به الادارات السياسية الغربية.

[٩٩] العلامة الشيخ: محمد مهدي شمس الدين، مقدمة كتاب: «الحضارة و النظام العالمى، أصول العالمية فى حضارتى الاسلام و الغرب»، للدكتور: على الشامى، صحيفة السفير: ٢٠ / ١ / ١٩٩٤.

[١٠٠] أقصد به ذلك الحشد الهائل من الشخصيات السياسية و الاقتصادية و الأمنية التابعة لأنظمتنا العربية و الاسلامية ممن تربوا فى أحضان أصحاب المؤامرات و الدسائس الدولية، و عاشوا أجواء المخابرات المركزية الأمريكية و تربوا سياسيا من خلال تربية الغرب لهم و رعايته لهم و تحمله مسؤولية و صولهم الى هذا الموقع أو ذاك، أى هناك أنظمة تسيطر على شعوبنا تمارس دور الحرس الاحتياطى للسياسات الغربية و الأمريكية بالذات.

[١٠١] تهدف هذه المشاريع كاملة الى تكريس واقع الهزيمة و الهيمنة و الانكسار فى عالمنا الثالث، فى أن يستورد و يستهلك حضارة و منجزات الآخر، و باختصار شديد: دفن أى أمل بإمكانية نشوء مشروع نهضة عربية و اسلامية.

[١٠٢] حيث اننا نجحنا، خاصة على صعيد أنظمتنا الحاكمة، فى شكل و اطار التحديث، أى ربما نجح السياسيون، بهيئاتهم المختلفة، فى أن ينقلوا لنا فنادق خمس نجوم، و شوارع معبدة، و أبنية جامعية و مدرسية حديثة، و مختبرات و منشآت و اعمارات مختلفة - اذا صح التعبير - ولكنهم فشلوا ذريعا فى تكييف روحنا و ثقافتنا مع ما يلائمنا، بل على العكس لقد حاربوها و لا حقوقها و صادروا كلمتها و موقفها، كما و حاولوا المجرىء بنسخة و جعلنا صورة سيئة (مشوهة) عنها، و قد فشلنا و الفشل يمتد الى كل مواقع المسلمين.

[١٠٣] لأن الغرب يقود ضد العالم الاسلامى حرب مصالح و مكاسب مادية لا حوار حضارات، أى مسألة المصالح الغربية التى تعيش الصراع مع مصالح العالم الثالث، انها حرب مصالح حقيقية. ان العالم الثالث، بما فيه العالم الاسلامى، يعمل على أن يملك حريته السياسية و امكانيات تطوير موارده الاقتصادية، و الحصول على استقلاله الاقتصادى و الأمنى، لكن الغرب لا يوافق على ذلك. انه يريد أن يبقى أمن العالم الثالث على هامش أمنه، و سياسته على هامش سياسته، و اقتصاده على هامش اقتصاده.

[١٠٤] لا يستطيع الغرب أن يحتفظ بمصالحه الا اذا استطاع أن يستشير الرأى العالم فى داخله الى درجة متقدمة حادة من التوتر بحيث يملاً ذهنية مجتمعه و رأيه العام بالاحساس بخطر عدو قادم لكى يملك حرية الحركة فى سياسته و اقتصاده و أمنه كما لو كان يدافع

عن شعبه، وهذا ما لا حظناه قبل و أثناء حرب الخليج الثانية عندما أثارت أمريكا الرأي العام الأمريكي و الأوروبي ضد العراق، بينما نجد أن الكويت لا تمثل أى موقع يثير الاهتمام لدى الشعوب الغربية، ولكن المسألة أنه استطاع أن يثير مسألة آبار النفط و سيطرة صدام عليها و ما الى ذلك.. بحيث أصبح يفكر كل الأمريكيين و كل الأوروبيين بأنهم سوف يفقدون لقمه عيشهم، من هنان و بعد سقوط الاتحاد السوفيتي لم يبق للغرب أى عدو، و هو بحاجة دائمة و ماسة الى عدو حتى يستطيع أن يبرر، لشعوبه، سياسته ضد العالم الثالث حتى يستطيع أن يحتفظ بمواقعه داخل هذا العالم، لذلك بات الاسلام حاليا عدو الغرب (بشهادة كبار سياسيه و مفكره و نخبه) و هو يحاول تضخيم الحركة الاسلاميه كما لو كانت تستطيع، الآن و فى امكاناتها الحاليه، اسقاط الحضارة الغربية.

[١٠٥] بدأت نظرية العدو البديل (و العدو الأخضر فى اشارة الى الاسلام، كما قال ليفى كلاسى أمين عام حلف شمال الأطلسي) فى الغرب، حيث بدأ برنار لوسى يتحدث عما أطلق عليه «صراع الثقافات، المسيحيون و المسلمون و اليهود فى عصر الاكتشاف»، و هو كتاب صادر عن جامعة اكسفورد، ثم نشر صموئيل هنتغتون اطروحته «صدام الحضارات» Clash Of Civilization فى دوريه Foreign Affairs، ثم طور هذه الأطروحة فى كتاب صدر مؤخرا، و يذهب هنتغتون الى أن «الخطوط الفاصلة بين الحضارات ستكون هى خطوط لمعارك فى المستقبل»، و يشير الى أن خطوط التقسيم الحضارى تحل محل الحدود السياسيه و الأيدولوجيه للحرب الباردة و يتحدث عن احتمال تحالف «كونفوشيوسى - اسلامى» فى مواجهة الحضارة الغربية.

[١٠٦] لا نقصد من مصطلح الآخر هنا - الذى بات له استخدام واسع فى بعض خطابات التطبيع الراهنة مع الكيان الصهيونى - اسرائيل و حركتها الصهيونية العنصرية، لأنها لا تمثل واقعا حضاريا متميزا يمتلك خصائص و محددات ثقافية و تاريخية متراكمة كليا و كيفيا، كما أننى لا أقصد من هذا المصطلح الأيدولوجية الصهيونية، لأننا نعلم جميعا أنها أيدولوجية القهر و الاحتلال و الاغتصاب و القتل و الطرد و الترحيل و التفوق العنصرى و التوسع المستمر و الاستيطان و الاستعمار الاقتلاعى و حقن الأطفال بالايذز.

[١٠٧] السيد: محمد خاتمي، حوار الحضارات و صعوباته، صحيفة الحياة اللندنية: ١١ / ٧ / ١٩٩٧.

[١٠٨] ساهمت ممارسات كثير من تلك الرحكات المسماء (اسلاميه؟!) فى مسخ و تشويه صورة الاسلام فى المحافل الدولية.

[١٠٩] العلامة السيد: محمد حسن الأمين، أزمة الآخر فى الانشطار بين المجتمع و مؤسساته الحاكمة، مجلة البلاد (عدد: ٥٨) (ص: ٤٦).

[١١٠] لا أريد أن أتحدث مع أولئك الذين يفكرون ببساطة و سذاجة بأنه يكفى الأمة أن تنطلق من عقيدتها و مخزنها التراثى كحل و مفتاح سحرى لتبنى طموحها و مشروعها التنموى المتقدم، بل أؤكد - فى هذا السياق - أن الأمور ليست بهذه البساطة بل هى على درجة من التعقيد، لذلك و صفت و قلت بأن هذا الانطلاق نحو مواقع البناء و التحرر شرط ضرورى لازم لكنه ليس كافيا.

[١١١] أعنى بها حكومة السيد: محمد خاتمي.

[١١٢] السيد: محمد حسن الأمين، م. س.

[١١٣] لا- يمكن لعملية النهوض و التغيير أن تنجح فى مجتمعاتنا العربية و الاسلاميه من دون أن تكتسب اطارا و مضمونا يعبر عن طموحات و آمال الأمة كلها فى أن تركز طاقاتها و تحشد امكاناتها و قدراتها وفقا لمناهجها الأصيلة و متطلباتها النفسيه و السلوكيه و سياقاتها التعبيرية الحيويه لأن مواجهة الواقع الحالى المتخلف بكل مواقعه و امتداداته، و التخطيط للمستقبل الواعد لا يمكن أن يتم باطاره العام الهادف و المثمر الا- اذا شاركت الجماهير، كل الجماهير، و الأمة، كل الأمة، فى عملية صنع حقيقه عميقه و بنويه للمستقبل، و استنفرت كل مواهبها فى هذا الاتجاه، من خلال شعورها المتحرك بضرورة التغيير ضمن المركب الواعى الذى تؤمن به و تلتزمه فى حركة الحياة.

[١١٤] باستثناء بعض المواقع المضيقه و النيرة، و فى مقدمتها المقاومة الاسلاميه الجهاديه و الفكرية و السياسيه فى لبنان، التى أرانى مضطرا أن أعرج عليها، مثنيا و مادحا، بشكل متواصل.

[١١٥] راجع: حياة الامام موسى بن جعفر (ع) لباقر شريف القرشي، مقاتل الطالبين و كتاب الأغاني للأصفهاني، تاريخ الطبري، تاريخ اليعقوبي، و مناقب ابن شهر آشوب.

[١١٦] نبيل على صالح، وجع الحريه، (ص: ٢٥)، م. س. مخطوط.

[١١٧] يقول عنه الفرزدق الشاعر في ديوانه (جزء: ٢ ص: ١٣٧)، مصورا الجو المختق الذي أحدثه الحجاج و أشعل نيرانه بين الناس: اذا ما بدا الحجاج للناس أطرقوا و أسكت منهم كل من كان ينطق ما هو الا بائل من مخافه و آخر منهم ظل بالريق يشرق و طارت قلوب الناس شرقا و مغربا فما الناس الا مهجس أو ملقلق.

[١١٨] راجع: تاريخ الأدب العربي ٢ / ١٠، و ديوان أبي الأسود (ص: ٢٤٣)، و كتاب الأغاني للأصفهاني ٢١ / ٣٣.
[١١٩].

[١٢٠] جاء في كتاب شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد (ج: ٣، ص: ١٥) نقلا عن الامام الباقر عليه السلام في وصف العهد الأموي: «ثم جاء الحجاج فقتلهم - يعني أهل البيت و شيعتهم - كل قتله و أخذهم بكل ظنه و تهمه، حتى أن الرجل ليقال له: زنديق أو كافر أحب اليه من أن يقال له أنه من شيعه علي عليه السلام».
[١٢١].

[١٢٢] كان الامام الصادق يحذر العلويين دائما من التصدي لطلب الحكم و ادارة البلاد في ظل أجواء القمع و الفتنة التي كانت سائدة في الساحة الاسلاميه، التي لم تصل فيها الظروف بعد الى مستوى اعاده الحق الى أصحابه «فالأمر لم يأت بعد» على حد تعبيره عليه السلام.

[١٢٣] سيرة الأئمة الاثني عشر، لهاشم معروف الحسنی ٢ / ٣٢١.

[١٢٤] بحار الأنوار للمجلسي، ٤٩ / ٢١٠، و تاريخ الخلفاء (ص: ١٠٢).

[١٢٥] راجع تاريخ الطبري ٦ / ٣٢٠.

[١٢٦].

[١٢٧].

[١٢٨] وجدنا - بعد الرجوع الى المصادر التاريخية المعتره - أن الحاكم المنصور كان يجب كل أرجاء البلاد (بقراها و مدنهما)، و ينشد مدحا بأمر المؤمنين عليه السلام و ذكرا لمناقبه، و فضائله و مآثره، و كان الناس يوصلونه بالمال، و يمدونه بأسباب القوة و الدعم المادي؟!.

[١٢٩] راجع: كتاب عصر المأمون (ج، ١، ص: ٩٣).

[١٣٠] راجع: تاريخ اليعقوبي ٣ / ١٢١، و تاريخ الطبري ٩ / ٣١٩.

[١٣١] راجع: تاريخ ابن الأثير ٤ / ٣٥٥، و تاريخ اليعقوبي ٢ / ٣٩٢.

[١٣٢] راجع أخبار الدول (ص: ١١٣) نقلا عن (الأئمة الاثنا عشر) لعادل الأديب (ص: ١٨٩).

[١٣٣] تذكرة الخواص (ص: ٣٥٩).

[١٣٤] راجع تاريخ الخلفاء، و تاريخ السيوطي، و أخبار الدول، و تاريخ ابن الأثير.

[١٣٥].

[١٣٦] راجع تاريخ الطبري، ١٠، ص ١٤٦، و النزاع و التخاصم للمقريزي (ص: ٥٢).

[١٣٧] يبدو أن الدافع الحقيقي وراء هذا التصرف الاجرامي من قبل المنصور، هو رغبته في أن ينهج الخلفاء من بعده نهجه و أسلوبه العنيف و القاسي تجاه العلويين و كل من يشكل خطرا على عروشهم و وجودهم.

[١٣٨] راجع الحياة السياسية للامام الرضا للسيد: جعفر مرتضى (ص: ٨٨).

[١٣٩].

[١٤٠].

[١٤١] الحسنی، سيرة الأئمة، (ج: ٢، ص: ٣٢٥)، م. س.

[١٤٢].

[١٤٣] راجع: الأغاني، مقاتل الطالبين للأصفهاني.

[١٤٤] راجع كتاب الكافي للكيني، و سيرة الأئمة الاثني عشر (ج: ٢، ص: ٣٢٩)، م. س.

[١٤٥] لاحظ الخوف و الرعب النفسى من وهج الحق الذى كان يضىء حياة أئمتنا (ع)، الخوف و الخشية الفطرية - اذا صح التعبير -

الموجودة فى كينونة أى انسان، انها نقطة الضعف التى تترصد الفرصة السانحة لتظهر، لأن الحاكم كان يدرك أنه على باطل و أن

الامام على حق، فخاف من مجرد رؤيا رآها فى نومه، فحاول من بعدها أن يثبت حسن نواياه تجاه الامام عليه السلام باطلاق سراحه.

[١٤٦].

[١٤٧].

[١٤٨].

[١٤٩] كتاب المأمون (مجلد: ١).

[١٥٠]، و هنا أنقل من تلك المصادر الرواية التالية عن لهو و عبث الرشيد و أعوانه من ولاة و وعاظ السلاطين: وقعت ذات مرة فى

نفس هارون جارية من جواري المهدي فراودها عن نفسها، فقالت: لا أصلح لك، ان أباك قد طاف بي، لكنه شغف بها فأرسل الى

أبي يوسف قاضية الشهير و الملقب «بفقيه الأرض و قاضيتها!» فسأله هارون: أعندك فى هذا شىء؟ و جاءه الجواب: «أهتك حرمة

أبيك، و اقض شهوتك، و صيره فى رقتي»، (لاحظ استعداد الفقيه السلطاني لاصدار أى فتوى ارضاء لشهوات الحاكم)، و قال الرشيد

لأبي يوسف: انى اشتريت جارية، و أريد أن أطأها الآن قبل الاستبراء، فهل عندك حيلة؟! قال: «نعم! تهبها لبعض ولدك ثم

تزوجها!». (راجع تاريخ الخلفاء، ص: ٢٨٦ - ٢٨٤).

[١٥١] راجع تذكرة الخواص لابن الجوزي، تاريخ المسعودي (ج: ٢) سيرة الأئمة للشهيد مطهرى، (ص: ١٤٣).

[١٥٢] انظر: سيرة الأئمة للشهيد مطهرى، و سيرة الأئمة الاثني عشر: ٢ / ١٥٠.

[١٥٣].

[١٥٤] كان هارون يحسد الامام موسى على موقعه الاجتماعى و يشعر بالخطر منه، فى كل لحظة، مع أنه عليه السلام لم يكن فى مراده

القيام بثورة أو بأى تحرك سياسى - كما قلنا سابقا - لكنهم هم (أنفسهم) شخصوا (كونهم على باطل و الذى يكون على باطل يشعر،

بشكل دائم، بأن الواقع يهتز من تحته) بأن الامام قد أعلن ثورة عقائدية ضدهم.

[١٥٥] الشهيد: مرتضى مطهرى، سيرة الأئمة (ص: ١٤٩).

[١٥٦] المناقب، ج ٢، ٣٨١.

[١٥٧].

[١٥٨] نلاحظ هنا أن هارون يعتذر، و كأنه يستطيع أن يكذب على الله تعالى و النبى (ص)؟!.

[١٥٩] لا تزال هذه النغمة (الذريعة) سائدة حتى أيامنا الحالية فى أوساط الحكام و القيادات فى بلادنا العربية و الاسلامية، التى تتدرع

دائما بالمصلحة العليا للبلد من أجل تحقيق مصالحها الخاصة فى الرئاسة و الحكم و البقاء على رأس السلطة و الوقوف فى وجه كل

من تسول له نفسه حتى فى مجرد التفكير برفض الواقع القائم بوعيه و قلبه.

[١٦٠] راجع: ارشاد الشيخ المفيد، و تاريخ المسعودى (ج: ٢)، و سيرة الأئمة، للشهيد مطهرى (ص: ١٤٥).

[١٦١].

[١٦٢] راجع المناقب (ج: ٢)، و ارشاد الشيخ المفيد.

[١٦٣].

[١٦٤] المكاسب للشيخ الأنصارى (باب الولاية من الجائر)، و معجم رجال الحديث ٩ / ١٢٢.

[١٦٥] عادل الأديب (ص: ١٩٣).

[١٦٦] راجع سيرة الأئمة الاثني عشر للحسنى (ص: ٣٢٢)، حيث أورد الكاتب هناك، نقلا عن مرويات مشهورة، حديثا عن هذه النقطة بالذات.

[١٦٧] رجع المناقب، و تاريخ ابن الأثير، و سيرة الأئمة للشهيد مطهرى (ص: ١٤٩).

[١٦٨] الواقعية التى لا تعنى السكون و الاسترخاء و الانهزام أمام الأمر الواقع كما هو، بل التى تعنى تغيير الواقع بأدوات الواقع. الواقعية تعنى أيضا أن تركز عناصر القوة فى نفسك و أمتك، فى سياستك و فكرك و اعلامك لتحمى نفسك و ترعى أهدافك و لتفرض، على الذى يريد أن يضطهدك و يضطهد وجودك و يفترس أهدافك، أن يعود انسانا من خلال ضغطك عليه كوسيلة لحماية انسانيتك.

[١٦٩] المناقب (ص: ٤٥٣).

[١٧٠] المناقب (ص: ٤٥٣).

[١٧١].

[١٧٢].

[١٧٣] تحدثنا عن هذه المسألة بالتفصيل عند مناقشتنا لدور الكاظم (ع) فى حقل العقيدة الاسلامية و الدفاع عن القيم الاسلامية الأصيلة.

[١٧٤] عادل الأديب، الأئمة الاثنا عشر (ص: ١٩٤).

[١٧٥] أحد العاملين فى حقل الاستشراق.

[١٧٦] راجع الحضارة الاسلامية (ج: ١، ص: ١٢٧).

[١٧٧] م. س، ص: ٣٨٧.

[١٧٨] السيد عبدالله الغريفى، التشيع: نشوءه - مراحل - مقوماته (ص: ٢٤٤) دار الموسم للأعلام - بيروت، ط: ٢، عام ١٩٩١.

[١٧٩] المناقب، (ج: ٢، ص: ٣٨١)، نقلنا هذا الحديث فى موقع آخر من الكتاب.

[١٨٠] التشيع، م. س (ص: ٢٦٨).

[١٨١] قلنا سابقا: ان ذلك قد حدث مع على بن يقطين فقط من خلال سماح الامام له بالدخول الى الجهاز الادارى لنظام هارون، و هو يلحظ بذلك مصلحة عليا للاسلام و المسلمين.

[١٨٢] قد يتحفظ بعضهم على استخدامنا لهذه المفردة، لكننا نقول: انها زعامة فكرية و عقائدية و شرعية تتأصل بالاسلام و تنمو بنموه و امتداده فى ساحة الحياة، و هى، من خلال ذلك، ليست زعامة تقليدية بالمعنى السائد و المتداول هنا و هناك.

[١٨٣] ليس فى الظروف المعقدة التى عاشها الامام الكاظم و انما فى مستقبل الدعوة على مستوى التكامل النوعى بين الأدوار و المواقف و الرؤى و الأهداف التى سعى أهل البيت الى تجسيدها و تنفيذها.

[١٨٤] طبعا هناك مشاكل و عقبات و تحديات و متغيرات ذاتية و موضوعية مختلفة تقف فى وجه هذا الطرح المشروع على الصعيد

الذاتي و الموضوعي، درسنا بعضها في مباحث سابقة و سنقوم بدراسة و تحليل بعضها الآخر، لاحقاً، في الباب الثاني من هذا الكتاب ان شاء الله، و ذلك على ضوء و عينا و استلها منا لتجربة الكاظم عليه السلام في حقل الفكر و التاريخ و العقيدة.

[١٨٥] نبيل على صالح، وجع الحرية، (ص: ١٠٥)، م. س. مخطوط.

[١٨٦] كامل الزيارات باب ٤٣، ٥٠ و ثورة الحسين في الوجدان الشعبي، (ص: ٦٥، ٦٦). لسماحة الشيخ: محمد مهدي شمس الدين (نقلنا هذا الحديث في مبحث سابق).

[١٨٧] السيد: عبدالله الغريفي، التشيع (ص: ٢٤٥).

[١٨٨] نبيل على صالح، وجع الحرية (ص: ١٠٦).

[١٨٩] العلامة السيد: محمد حسين فضل الله، صحيفة السفير اللبنانية، ٢٧ / ٥ / ١٩٩٧.

[١٩٠] العلامة الشيخ: محمد مهدي شمس الدين، صحيفة السفير، ٢٧ / ٥ / ١٩٩٧.

[١٩١] قوله تعالى: (لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب)، و هذا هو دور القصة أو الواقعة التاريخية - دور العبرة أو الدرس - الذي يمكن أن يستوحيه العاملون من التاريخ الماضي لمصلحة التاريخ الحاضر و المستقبل.

[١٩٢] يبدو أنه من الممكن أن نفضل و فق ما نشاهد و نقرأ و نحلل، طبعاً ليس بسبب النظرية الانسانية الاسلامية، بل بسبب سلوك المسلمين و غياب (تغيب) ارادتهم و ضعفها و ارتهانها للخارج.

[١٩٣] من قبيل ضرب الرؤوس و الأجساد بالسلاسل و الحديد، التي انطلقت من مبادرات شعبية استثارت عواطف الناس فقلدوها و تأصلت في واقعهم فأصبحت من المقدسات، حيث لا تزال قطاعات شعبية (و حتى نخوية) كثيرة من الشيعة على ممارستها بالرغم من صدور بيانات و فتاوى علمائية من أرفع مراجع المسلمين في العالم بتحريمها و ضرورة الابتعاد عن ممارستها لكن بعضهم يظن، واهما، أن تنقية و تهذيب الاحياء العاشورائي هو مس في المضمون الداخلي و العاطفي لعاشوراء، مع العلم أن تلك الأفعال و الممارسات لا علاقة لها بالشيعة و الاسلام لا من قريب و لا من بعيد، لأن الشريعة لا تقول لك: اضرب رأسك و اهدر دمك على التراب، لكنها تقول لك، بمعنى من المعاني، اذهب و تبرع بدمك للمحتاجين، و بذلك تقدم للناس صورة مضيئة عن الامام الحسين (ع) و تشاركهم، انسانياً، مشاركة حسينية واعية و ملتزمة.

[١٩٤] لأن الاعلام بات يشكل قوة أساسية في هذا العصر الذي أصبح فيه العالم كقرية صغيرة.

[١٩٥] نبيل على صالح، وجع الحرية، (ص: ١٠٨).

[١٩٦] الذي ظهر من خلال ريادة الفكرية و الاجتماعية، و مواقفه و أفكاره المتحركة في مناظراته و أحاديثه التي تحدثنا عنها في موقع آخر من هذا الكتاب.

[١٩٧] السيد الغريفي، التشيع، (ص: ٢٦٦). م. س.

[١٩٨] نبيل صالح، نور الولاية، (ص: ١٧٥).

[١٩٩] المكان الشاهق.

[٢٠٠] الكافي ج: ١ (ص ١١٠ - ١٠٩) نقلنا هذا الحديث سابقاً.

[٢٠١] قمنا في موقع سابق من هذا الكتاب بدراسة و تحليل هذه الثورة و كيفية و عيها و استلهاها على ضوء قضايا المعاصرة.

[٢٠٢] في اشارة الى حديث أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: ان رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم بعث سريه فلما رجعوا قال: مرحبا بكم بقوم قضوا الجهاد الأصغر، و بقي عليهم الجهاد الأكبر، قيل: يا رسول الله و ما الجهاد الأكبر؟ فقال: جهاد النفس. و قال أمير المؤمنين عليه السلام: ان أفضل الجهاد من جاهد نفسه التي بين جنبيه، (وسائل الشيعة للحر العاملي، ط: دار احياء التراث العربي: ١١ / ١٢٤).

[٢٠٣] تحف العقول، (ص: ٣٠٢).

[٢٠٤] تحف العقول: (ص: ٢٩١).

[٢٠٥] م. س (ص: ٣٠٣).

[٢٠٦] يعبر الوجود الذهني في داخل الانسان عن شيئين: الأول: الفكر، أى الذى يمثل جملة التصورات و المفاهيم المخترنة عن الهدف و الغاية. و الثانى: الارادة أى الطاقة الكامنة فى ذات الانسان التى تحفز (الانسان) للحركة باتجاه الغاية فى المستقبل.

[٢٠٧] ان التفاعل و الامتراج الوجودى بين الفكر و الارادة يحقق فاعلية المستقبل فى تحريك النشاط التاريخى الانسانى على الساحة الاجتماعية و السياسية.

[٢٠٨] الامام الشهيد السيد: محمد باقر الصدر (رض)، التفسير الموضوعى و الفلسفة الاجتماعية فى المدرسة القرآنية (ص: ١١٥).

[٢٠٩] أى جهاد النفس و البدن.

[٢١٠] جهاد العدو الداخلى و الخارجى.

[٢١١] تحف العقول... (ص: ٢٩٤).

[٢١٢] يبدو أن تلك الصفات و الخصائص النفسية و السلوكية الخاصة، التى من الضرورى أن تتسم بها شخصية الانسان المسلم، لا تزال غريبة و بعيدة المنال عن كثير من الاسلاميين المعاصرين الذين قد يكونون من الناس الذين ينظرون لهذه الأخلاق ولكنهم لا يعيشونها بعمق و وعى لأنهم لم يتربوا عليها؛ الأمر الذى يجعلهم يمتلكون مزاجا حادا و انفعاليا قد تتزايد حدته و تيرته بفقدان هؤلاء للنضوج الحركى الناشىء من التجارب التى تهىء، للانسان المسلم الملتزم، الكثير من الأوضاع النفسية و الشعورية فى ساحات الصراع و المعاناة.

[٢١٣] يجب ألا- تمس المصلحة الثابتة المبدئية و الطروحات الأساسية (من قيم و مبادئ و ضوابط معيارية و مركزية) لأنه يمكن اقامة نسيج من علاقات سياسية و من تحرير و عدالة و حرية و مقاومة العدو و مواجهة السياسات الخارجية التى تريد فرض هيمنتها على الواقع العربى و الاسلامى، من هنا تعطى القيمة - التى تفهم فى اطارها الواقعى المتزن - قوة للموقف العملى المتحرك على أرض الواقع كونها جاءت لتخدم الانسان و لتساهم فى تركيز و تثبيت انسانيته فى الحياة البشرية و تعمل على حمايته من نقاط ضعفه؛ الأمر الذى يجعل (القيمة) تعطى الانسان حرية الحفاظ على قضاياها المصيرية الكبرى من دون اسقاط المبادئ و القيم نفسها.

[٢١٤] و ذلك من خلال العمل الدؤوب على الدخول الى الهياكل المتنوعة للمؤسسات الديمقراطية من أجل الوصول الى مواقع متقدمة هناك ليسهل، من خلال ذلك، العمل على تحريك قواعد النظام و الاتجاه السياسى فيه الى اتجاهات جديدة منفتحة تلتقى بالتطلعات الاسلامية للانسان، فيما تتحرك نحوه من تغيير لبعض آفاق و محاور الواقع المحلى و الاقليمى فى افساح المجال للأجيال الطالعة أن تنمو فى الاتجاه السليم، و مواجهة القوى التى تعمل على اضعافها و تحجيم مواقعها.

[٢١٥] اننا عندما ندرس الكاظم عليه السلام فى مرحلتنا الراهنة، التى نعيش مفاهيمها و تلوناتها و اختلافاتها، فاننا نريد أن ندرس طبيعة الخطوط الفكرية التى أرادنا عليه السلام أن ننطلق باتجاهها، و نستهدى بها على خط الله تعالى و رسوله صلى الله عليه وآله و سلم و الأئمة عليهم السلام لأن دورنا كأمة و أفراد و مجتمع فى علاقتنا مع فكرنا و مع أئمتنا، هو دور الأمة التى تعيش مع أهل البيت عليهم السلام فى امتداد حركتها فى الحياة، و فى تصوراتها الفكرية و المفاهيمية، و فى علاقاتها بكل المسؤوليات التى تتحملها، و فى معرفتها العميقة بالقيم الاسلامية.

[٢١٦] نبيل على صالح، وجع الحرية (ص: ١١٤) م. س.

[٢١٧] يراجع بهذا المضمون: المحجة البيضاء للفيض الكاشانى (ج: ٤، ص: ٢٦٦) و ما بعدها، و الفصول المهمة، و مناقب آل أبى طالب لابن شهر آشوب، و كشف الغمة، و بحار الأنوار (ج: ٦، ص: ٦٦) و ما بعدها، الخ.

[٢١٨] سمي كذلك لأنه كظم الغيظ و صبر على ما أحيط به من البلاء، و فى رواية ابن الجوزى فى تذكرته أنه سمي الكاظم لأنه كان

إذا بلغه عن أحد سوء بعث إليه بمال يغنيه.

[٢١٩] الارشاد للشيخ المفيد (ص: ٢٧٧).

[٢٢٠] الارشاد للشيخ المفيد، (ص: ٢٧٨).

[٢٢١] ابن طلحة، مطالب السؤل (ص: ٨٣)، نقلا عن المحجة البيضاء للفيض الكاشاني (ج: ٤، ص: ٢٦٦).

[٢٢٢] تاريخ بغداد ١٣ / ٣١.

[٢٢٣] م. س.

[٢٢٤] نبيل على صالح، وجع الحرية، (ص: ٤٩) مصدر سابق.

[٢٢٥] تحف العقول، (ص: ٣٠٢)، م. س.

[٢٢٦] العلامة السيد: محمد حسين فضل الله، فكر وثقافة (٩ / ١١ / ١٩٩٦)، ٢٠ م.

[٢٢٧] وجع الحرية (ص: ٤، م. س).

[٢٢٨] تحف العقول، (ص: ٢٩٢).

[٢٢٩] م. س. (ص: ٢٨٨).

[٢٣٠] تحف العقول (ص: ٢٩٢).

[٢٣١] المصدر نفسه (ص: ٢٨٥).

[٢٣٢] أي عابه.

[٢٣٣] تحف العقول: (ص: ٣٤)، م. س.

[٢٣٤] فعلى الصعيد العالمي: اتصفت هذه المرحلة بتحويلات على أكثر من صعيد، وضمن عدة محاور لعل أبرزها اكتشاف «التقنية الحيوية» والهندسة الوراثية» أو ما اصطلح على تسميته «بالتكنولوجيا» الذي أثار جدلا واسع النطاق في أوساط علماء القانون والأخلاق والاجتماع. أما على صعيد الفكر والفلسفة: فقد شهدنا سقوط وانهايار أكبر أيديولوجية وضعية في العصر الحديث وهي الماركسية والاشتراكية العلمية. أما على الصعيد العسكري والأمني: فقد كانت حرب الخليج الثانية عام (١٩٩٠ م) مسرحا حقيقيا لصراع التكنولوجيا المتطورة والالكترونيات الحديثة والتقنية الاعلامية «فائقة السرعة» بالاضافة الى صراع المصالح والنزاعات السياسية والاقتصادية والثقافية، الأمر الذي خلق تحولات في نظم وقيم المجتمع الثقافية والقانونية والاقتصادية، وأحدث تداعيات وانهايارات عربية و اسلامية تظهرت، في أعلى تجلياتها، بمسيرة التسوية المزعومة بين العرب والكيان الصهيوني، وفتح المجال لشرعنة وجود اسرائيل في قلب المجتمع العربي وما يمليه ذلك من تحولات سلبية ضد مصالح العرب والمسلمين.

[٢٣٥] أقصد بكلمة «التقدم» هنا، استمرارية الجهاد الأفغاني ضد الوجود الشيوعي في أفغانستان حتى انتصاره عليه في مطلع التسعينات، ولا أعني بها مطلقا تقدم الفكر أو المعرفة عند أولئك، بل على لعكس من ذلك فقد دخل هؤلاء الأفغان «المسلمون؟!» في صراعات قبلية وعرقية وعشائرية دموية طاحنة ضد بعضهم البعض بعد اخراجهم للسوفييت من بلادهم.

[٢٣٦] هذا لا يعنى، اطلاقا، انخراط المثقف في ثقافة التسوية التي أصبحت جزء من ثقافة الغرب المعاصر، بل يعنى وعى ودراسة الشروط والمقومات الذاتية والاحضارية لهذا الانخراط، عبر تحديدها للأطر أو البنى أو النواة الفكرية أو الحضارية أو السلوكية التي تشكل جوهر الثقافة وجوهر الشخصية الحية في تمايزها عن الآخرين، وهذا التحديد هو الذى يسمح، دون قلق، بالانفتاح والانخراط فى الواقع والعصر، حيث أنه كلما كانت شروط ونظام المناعة فى داخلنا قويا تصبح قدرتنا على استيعاب الأشياء الخارجية، ثقافية كانت أم غير ثقافية، أكثر حيوية ودينامية، ويصبح انخراطنا فى الواقع العصري هادفا ومدروسا.

[٢٣٧] الشهيد السعيد السيد: محمد باقر الصدر (رض)، التفسير الموضوعى والفلسفة الاجتماعية (ص: ١٥٢)، م. س.

[٢٣٨] النقد الذي ينطلق - كما ذكرنا سابقا - من خلال وعى الحركة الاسلامية لنقاط ضعفها فى داخلها، لا من خلال أن تنتظر المتغيرات السياسية و الدولية و الاقليمية لتراجع حساباتها و تفكر فى أوضاعها الصعبة التى تتحداها من الخارج.

[٢٣٩] تحف العقول (ص: ٢٩٠).

[٢٤٠] م. س (ص: ٢٩٠).

[٢٤١] بحيث يجب أن يعمل الانسان على الأخذ بأسباب العلم و المعرفة و بكافه صورهما.

[٢٤٢] يمثل العلم - فى نظر الاسلام - القيمة التى تقسم الناس الى قسمين: فى الجانب الايجابى و فى الجانب السلبي، فالقيمة الايجابية هى قيمة العلم، و القيمة السلبية هى قيمة الجهل، (قل هل يستوى الذين يعلمون و الذين لا يعلمون).

[٢٤٣] يتحدث القرآن الكريم عن الذين يملكون أعينا لا يبصرون بها و يملكون آذانا لا يسمعون بها و يملكون قلوبا لا يفقهون بها، و يبدو أن تركيز القرآن على السمع و البصر، باعتبارهما عنصرين من عناصر حركة التجربة الحسية، يعنى أنه يقدمهما كنموذج للعنصر التفكيرى الحسى، الى جانب تركيزه على العقل كأداة فكرية عملية، مما يفيد بأن المنهج الاسلامى السليم فى الوصول الى المعرفة هو هذا المزيج بين الحس و العقل، بين تجربة تفتح على عقل و عقل يتغذى من خلال تجربة.

[٢٤٤].

[٢٤٥].

[٢٤٦] مجلة المستقبل العربى (ص: ١٣٦) م. س.

[٢٤٧] مجلة المستقبل العربى (ص: ١٣٦).

[٢٤٨] د. برهان غليون: حقيقة الحداثة و اعاققتها، و الغدر بوعودها، (صحيفة الحياة، ص: ١٧) تاريخ ٢٩ / ٨ / ١٩٩٧.

[٢٤٩] تحف العقول (ص: ٢٩١).

[٢٥٠] م. س.

[٢٥١] الكافى (ج: ٢، ص: ١٢٠).

[٢٥٢] عن السبب الحقيقى للأزمة الواقعة هناك؟ و من هو المسؤول عن تلك المجاز الرهيبة التى تحدث؟ و هل صحيح - كما تقول بعض وسائل الاعلام - أن الاسلاميين و الجماعات المسلحة هناك هى المسئولة الأولى و الأخيرة عن ذلك الوضع المأساوى الفظيع؟.

[٢٥٣] الارهاب مفهوم نسبي، يعنى - حضاريا (بالمعنى السلبي للكلمة) - أن تندفع لتقتل انسانا أو لتنهب ماله أو لتخطفه من خلال حالات ذاتية فردية تتصل بمنافعك و مصالحك الخاصة أو تحقيق مشاريعك القائمة على أساس العنصرية و القهر و الاستعباد، و ما يحدث فى العالم الغربى من تزايد حالات الجريمة و العنف و الارهاب (ارهاب أفراد المافيا و عصابات الاجرام و المخدرات) هو دليل ساطع على أن العالم الغربى، و أمريكا خصوصا، هو بؤرة الارهاب، حتى أنها شرعت لنفسها قانونا يخولها أن تخطف أى شخص فى العالم مطلوبا للقضاء الأمريكى بعيدا عن رضا هذه الدولة أو تلك. ان الدليل الأبرز و الأوضح على تورط الادارات السياسية الغربية فى قضايا الارهاب هو أن أغلب حلفاء الغرب - و لا سيما حلفاء أمريكا - فى العالم الثالث هم أكثر الحكام و الأنظمة انغلاقا و ارهابا و مصادرة للحريات.

[٢٥٤] قد يتبادر لأذهان بعض القراء أننا نخرج - بهذا النوع من التحليلات السياسية من واقع حياتنا المعاصرة - عن سياقات بحثنا حول حياة و فكر و شخصية الامام الكاظم عليه السلام، لكننا نحب أن نذكر الجميع بأننا قد أكدنا - فى بداية هذا الكتاب (تحديدا فى مقدمته) - أننا سنعمل على استلهاهم تجربة الكاظم عليه السلام و دراسة فكره و مواقفه فى مواجهته لواقعه المنحرف و الفاسد بكل السبل و الوسائل الفكرية و العلمية التى أتاحت أمامه، و نحن هنا نعيش فى واقع منحرف و ظالم و متغير نجد أنفسنا أمام الأهداف

نفسها التي سعى امامنا عليه السلام الى تحقيقها في مواجهة الظروف و المشاريع التفتيتية و الاذلالية - ان صح التعبير - لذلك من الطبيعي أن نعمل على تحليل واقع حياتنا المعاصرة، بمتغيراته و مستجداته، حتى نمتلك أسس مواجهتها و اسقاطها في المستقبل القريب أو البعيد.

[٢٥٥] مصطلح «جغرافي -سياسي» اقترن بالدراسات الأمريكية عن المنطقة العربية و الاسلاميه، يجمع بين «الجغرافيا - السياسة»، و قد تم طرحه في سياق مفاوضات التسوية بين العرب و اسرائيل التي انطلقت في مدريد ٣٠ / ١٠ / ١٩٩١، و هو يعنى جغرافيا وجود اقليم يتوسط دائرة تضم قارات آسيا و أفريقية و أوروبا، تغيرت دلالتها الجغرافية ما بين اتساع و ضيق بحسب تطور المفهوم نحو الغرب، أما سياسيا فهو يعنى وجود نظام سياسى اقليمى جديد فى المنطقة يعطى الكيان الصهيونى امكانية الدخول و الاندماج فى الجسم الاجتماعى و السياسى للمنطقة فى اقامه مشروعات اقتصادية و سياسيه و أمنيه تجعل اسرائيل على رأس المستفيدين منها. اذا يعتبر هذا المصطلح عن دلالة سياسيه دقيقه الصلة بالسياسة الاستعمارية الغربية التي أوجدهته و اعتمدهته.

[٢٥٦] من قبيل التطرف و التعصب و الأصولية و الارهاب.

[٢٥٧] ليس معنى أن تكون واقعا فى تفكيرك و فى سلوكك و فى التزامك للقيمة، أن تنحنى أمام الأمر الواقع و تخضع له و تسلم لقدره المحتوم لكن ان معنى واقعية القيمة و الفكر، أن تحاول اكتشاف وسائل و أساليب و خيارات عملية واضحة المعالم و الخطوط لحركة القيمة فى الواقع، أن تتحرك عمليا من أجل تغيير الواقع بأدوات الواقع التي تحتاج الى من يصنعها و يحركها و يصبر عليها و على ثمنها الباهظ.

[٢٥٨] العلامة السيد: محمد باقر الحكيم، نظام العلاقات الاجتماعية، مجله رسالة الثقلين، (عدد: ١٦، ص: ٣٢).

[٢٥٩] تحف العقول (ص: ٢٩٤) م. س.

[٢٦٠] تحف العقول (ص: ٣٠٢).

[٢٦١] يعنى الهلاك.

[٢٦٢] تحف العقول، (ص: ٢٨٦).

[٢٦٣] م. س، (ص: ٢٩٥).

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/٤١).

قال الإمام على بن موسى الرضا - عليه السلام: رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا أَخِيَا أَهْرَنًا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بِنَادِرُ الْبِحَار - فى تليخيص بحار الأنوار، للعلامة فيض الاسلام، ص ١٥٩؛ عُيُونُ أَخْبَارِ الرُّضَا(ع)، الشَّيْخُ الصَّدُوقُ، الباب ٢٨، ج ١/ ص ٣٠٧).

مؤسس مجتمع "القائمية" الثقافي بأصبهان - إيران: الشهيد آية الله "الشمس آبادي" - رَحِمَهُ اللَّهُ - كان أحداً من جهابذة هذه المدينة، الذى قد اشتهر بشغفه بأهل بيت النبى (صلوات الله عليهم) و لاسيما بحضرة الإمام على بن موسى الرضا (عليه السلام) و بساحة صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف)؛ و لهذا أسس مع نظره و درايته، فى سنة ١٣٤٠ الهجرية الشمسية (= ١٣٨٠ الهجرية القمرية)، مؤسسه و طريقة لم ينطفي مصباحها، بل تتبّع بأقوى و أحسن موقف كل يوم.

مركز "القائمية" للتحري الحاسوبى - بأصبهان، إيران - قد ابتدأ أنشيطته من سنة ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية) تحت عناية سماحة آية الله الحاج السيد حسن الإمامي - دام عزه - و مع مساعده جمع من خريجي الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالات شتى: دينية، ثقافية و علمية...

الأهداف: الدفاع عن ساحة الشيعة و تسيط ثقافة الثقلين (كتاب الله و اهل البيت عليهم السلام) و معارفهما، تعزيز دوافع الشبَاب و عموم الناس إلى التَحَرِّي الأَدَقَّ للمسائل الدِّيَنِيَّة، تخليف المطالب النَّافِعَة - مكانَ البَلاتِيَّةِ المبتدلة أو الرَّدِيئَة - في المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيد أرضِيَّة واسعة جامعة ثقافيَّة على أساس معارف القرآن و أهل البيت عليهم السلام - بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطُّلاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغه هُوَءَ برامج العلوم الإسلاميَّة، إنالهُ منابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة في الجامعة، و...
- منها العَدالة الاجتماعيَّة: التي يُمكن نشرها و بثها بالأجهزة الحديثه متصاعدهً، على أَنه يُمكن تسريع إبراز المرافق و التسهيلات - في آكناف البلد - و نشر الثقافة الإسلاميَّة و الإيرانيَّة - في أنحاء العالم - من جهةٍ أُخرى.
- من الأنشطة الواسعة للمركز:

(الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبه، نشره شهريَّة، مع إقامة مسابقات القراءة

(ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقيَّة و مكتبيَّة، قابله للتشغيل في الحاسوب و المحمول

(ج) إنتاج المعارض ثَلَاثِيَّة الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرِّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيَّة، السياحيَّة و...

(د) إبداع الموقع الانترنتي "القائمية" www.Ghaemiyeh.com و عدَّة مواقع أُخرى

(ه) إنتاج المُنتجات العرضيَّة، الخطابات و... للعرض في القنوات القمرية

(و) الإطلاق و الدَّعم العلميّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيَّة، الاخلاقيَّة و الاعتقاديَّة (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

(ز) ترسيم النظام التلقائي و اليدوي للبلوتوث، ويب كَشِك، و الرِّسائل القصيرة SMS

(ح) التعاون الفخري مع عشرات مراكز طبيعيَّة و اعتباريَّة، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلميَّة، الجوامع، الأماكن الدينيَّة كمسجد جَمكران و...

(ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع "ما قبل المدرسة" الخاص بالأطفال و الأحداث المُشاركين في الجلسة

(ي) إقامة دورات تعليميَّة عموميَّة و دورات تربية المربي (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرِّيسي: إيران/أصفهان/ شارع "مسجد سيد" / "ما بين شارع "بنج رَمضان" و "مفترق" و فاني" / "بنايه" القائمية"

تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجريَّة الشمسيَّة (=١٤٢٧ الهجريَّة القمرية)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهوية الوطنيَّة: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكتروني: Info@ghaemiyeh.com

المتجر الانترنتي: www.eslamshop.com

الهاتف: ٢٥-٢٣-٢٣٥٧٠٢٣ (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٣٥٧٠٢٢ (٠٣١١)

مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التجارية و المبيعات ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩

امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١)

ملاحظة هامة:

الميزانية الحاليَّة لهذا المركز، شعبيَّة، تبرعيَّة، غير حكوميَّة، و غير ربحيَّة، اقتنيت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكنّها لا تُوفى الحجَم

المتزايد و المتسع للامور الاديبيه و العلميه الحاليه و مشاريع التوسعه الثقافيه؛ لهذا فقد ترجى هذا المركز صاحب هذا البيت (المسمى بالقائمية) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحه بقيه الله اعظم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أن يوفق الكل توفيقاً متزائداً لإعانتهم - في حدّ التمكن لكل احد منهم - إيانا في هذا الأمر العظيم؛ إن شاء الله تعالى؛ و الله ولي التوفيق.

مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
أصبحان
الغائمي

WWW



للحصول على المكتبات الخاصة الأخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir

و للإيحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

